

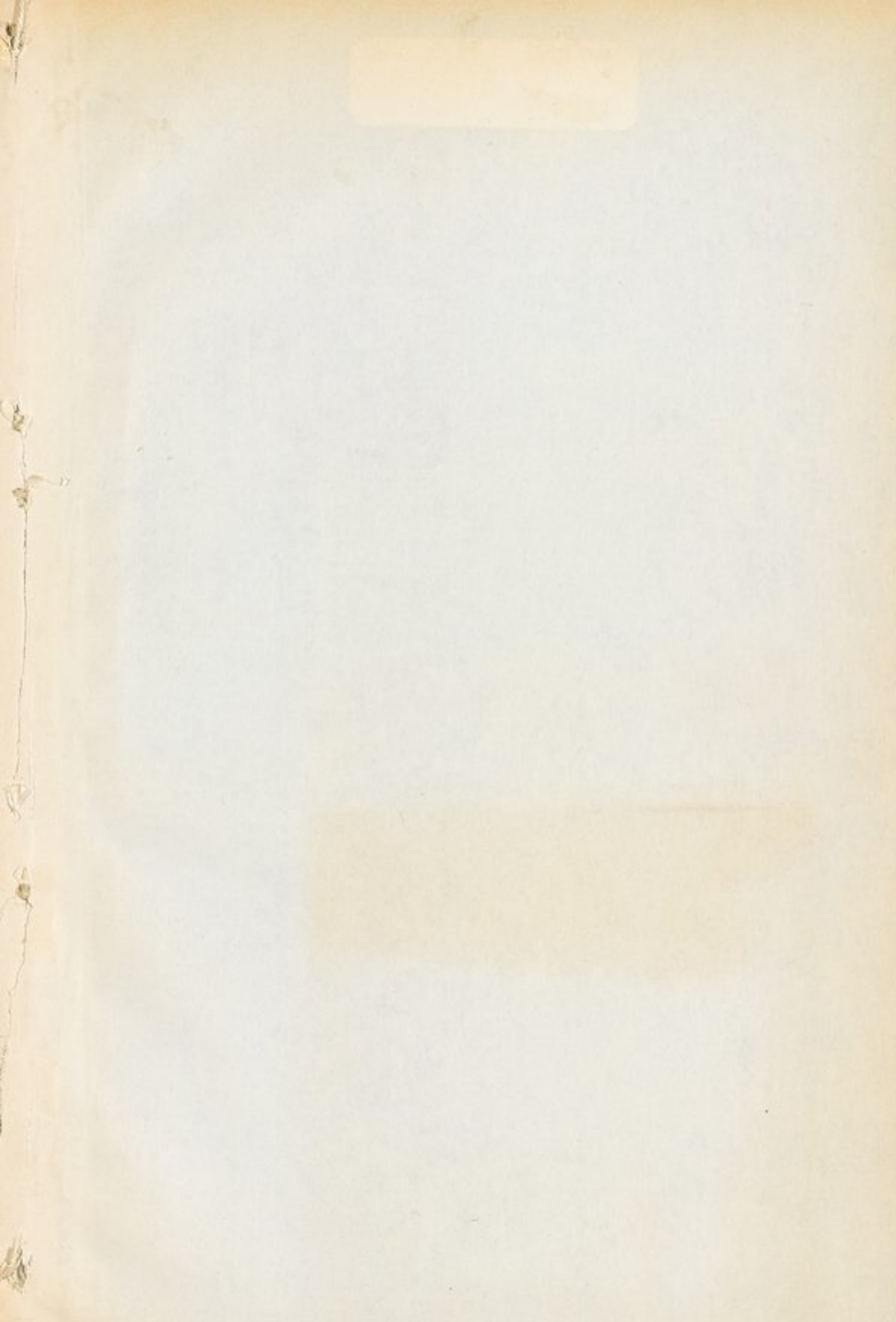
SURUR

QIYAM AL-DAWLAH
AL-'ARABIYAH

Princeton University Library



32101 072238965



قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم

تأليف

الدكتور محمد جمال الدين مرسور

أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

Surūr, Muḥammad Jamāl al-Dīn

قيام الدولة العربية الإسلامية

في حياة محمد صلى الله عليه وسلم

Qiyām al-dawlah
al-ʿArabīyah

تأليف

الدكتور محمد جمال الدين سرور

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى

مكتبة الطبع والنشر
دار الفكر العربي

كتاب الصلاة
في المساجد

كتاب الصلاة
في المساجد

كتاب الصلاة
في المساجد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فهذا كتاب يتناول ناحية هامة من نواحي تاريخ العرب والإسلام ؛ يتجلى لنا منها فضل الدعوة الإسلامية على العرب ، فقد جعلت منهم أمة موحدة سياسياً ودينياً بعد أن كانوا شعوباً وقبائل متفرقة لا تجمعهم رابطة دينية ولا يظلمهم نظام معين : ففي نجد وأطراف الحجاز كانت القبائل العربية تحيا حياة سياسية فطرية ولا تنقطع الحروب بينها ، وفي أطراف جزيرة العرب الجنوبية والشرقية والشمالية قامت عدة دويلات عربية اتخذت كل منها ما يلائمها من نظم الحكم ، وفي بلاد الحجاز شاهد مدنا ذات حياة سياسية خاصة .

وبينما كان يسود أقاليم جزيرة العرب ومدنها الاضطراب السياسي ويخضع بعض أطرافها للنفوذ الأجنبي ويهدد كيائها العصبية القبلية ، وتتقسمها الديانات والمذاهب المختلفة ظهر محمد صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة حيث أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق . فدعا في بادئ الأمر القرشيين — وهم قومه وعشيرته — إلى الدخول في الإسلام ليعاونوه في نشر الدعوة الإسلامية ويكونوا عوناً له على مخالفيه . فلقبت دعوته قبولا من فريق منهم ، على حين ناهضه بعض زعمائهم اعتقاداً منهم أن الإسلام سيقضى على ما كانوا يتمتعون به من عز وسلطان . وما زالوا يقاومون دعوته ويناثون حتى أصبح بقاءه في مكة محفوفاً بالخطر ، فأثر الرحيل إلى المدينة مع صحابته من المسلمين .

بدأت الدولة العربية الإسلامية في الظهور بالمدينة بعد أن هاجر إليها الرسول وحقق الوحدة بين المسلمين من أهلها واضطر اليهود إلى الجلاء عنها . وقد أخذت

2276

03

374

1952

55-14

هذه الدولة في النمو تدريجياً تبعاً لانتشار الدعوة الإسلامية . فبسطت سلطانها أول الأمر على مكة بعد نجاح الرسول في القضاء على مقاومة قريش ونظامها القديم القائم على الوثنية ، ثم اتسعت رقعتها فشملت بلاد الحجاز بعد انصواء الطائف تحت لواء الإسلام . ولم تنته السنة العاشرة للهجرة حتى امتد نفوذها إلى أنحاء جزيرة العرب المختلفة بفضل السياسة التي اتبعها الرسول لتعميم الدعوة الإسلامية والتي كان من أثرها أن ارتبطت بلاد العرب بعضها ببعض برباط وثيق بعد أن كانت مفككة العرى . ولما كان الرسول قد بعثه الله للناس جميعاً فطبيعي أن يفكر في توسيع نطاق الدعوة الإسلامية ويولى وجهه إلى سائر بلاد العرب ، بل إلى خارجها . فلما علت كلمة الإسلام وانهار صرح الوثنية في أقطار جزيرة العرب ، جهز الحملات لتأمين حدود دولته الإسلامية المهددة بالخطر من ناحية الشمال حيث كان الروم يرابطون على حدود الشام الجنوبية ، ووضع بذلك أساس سياسة التوسع للدولة العربية الإسلامية ونشر لواء الإسلام خارج حدودها .

* * *

وقد بدأت الكتاب يبحث مظاهر الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الإسلام لأن دراسة قيام الدولة العربية الإسلامية تتطلب الإلمام بهذه الناحية من نواحي تاريخ العرب ، ثم تحدثت عن ظهور الدعوة الإسلامية في مكة والجهود الذي بذله الرسول في نشرها وما لاقاه في سبيل ذلك من شدائد اضطرتة إلى اتخاذ المدينة دار هجرة للمسلمين .

* * *

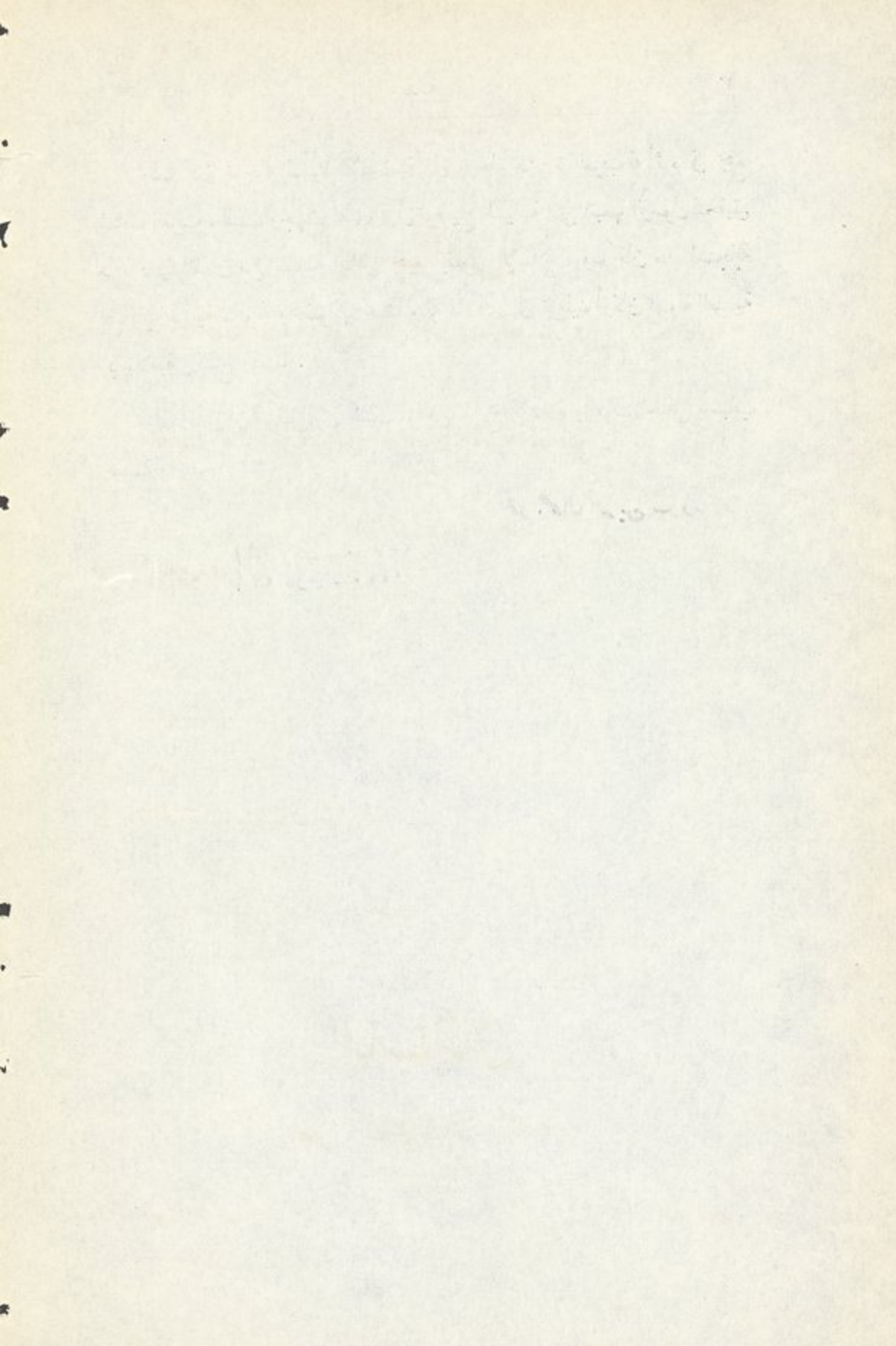
كذلك تناولت بالبحث سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة في تحقيق الوحدة الدينية والسياسية بجزيرة العرب ، فوضحت كيف ظهرت الدولة العربية الإسلامية بالمدينة بعد أن وحد الرسول كلمة المسلمين بها وأجلى اليهود عنها . كما بينت ما كان لقضاء الرسول على مقاومة قريش من أثر في بسط سلطان الإسلام على بلاد الحجاز .

ولما كان توجيه الدعوة الإسلامية إلى أرجاء جزيرة العرب له أثره في جمع شتات العرب ، لذلك وجهت اهتمامي إلى توضيح السياسة التي اتبعها الرسول لتحقيق ما ورد في القرآن من مطالبة الناس جميعاً بقبول الإسلام ، وما كان من استجابة القبائل العربية لدعوته وانضوائها تحت لوائه مما أدى إلى توطيد أركان الدولة العربية الإسلامية واتساع رقعتها .

والله أسأل أن يوفقني إلى كشف نواحي تاريخ الإسلام والعرب الحافل بأسباب
العظمة والمجد ؟

محمد جمال الدين سرور

القاهرة في { أول رجب سنة ١٣٧١
٢٧ مارس سنة ١٩٥٢ }



فهرس موضوعات الكتاب

الباب الأول

الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الاسلام

صفحة

- ١ — المظهر السياسى للقبائل العربية في بادية العرب . . . ١١
- أيام العرب وعوامل قيامها ١٣
- الحروب بين القبائل العربية في نجد وأطراف الحجاز . . . ١٣
- ٢ — الممالك العربية ٢٣
- دول اليمن ٢٣
- مملكة الحيرة ٢٨
- مملكة الغساسنة ٣٢
- ٣ — مدن الحجاز ٣٦
- ٤ — الحياة الدينية عند العرب ٤٨
- الوثنية في بلاد العرب ٤٨
- اليهودية والنصرانية في بلاد العرب ٥٢
- الديانة الخنيفية ٥٤

الباب الثاني

ظهور الدعوة الاسلامية

- ١ — بعثة الرسول ٥٩
- إعلان الدعوة الاسلامية ٦٢

صفحة

٦٣	٢ — الدعوة الإسلامية بمكة وموقف قريش منها
٦٤	مناهضة قريش الدعوة الإسلامية
٦٥	هجرة المسلمين إلى الحبشة
٦٨	خروج الرسول إلى الطائف وانصرافه منها دون أن يستجيب له أهلها
٦٩	الرسول يدعو قبائل العرب في مواسم الحج إلى الإسلام
٧٠	وفد الأوس والخزرج يبايع الرسول على الإسلام
٧١	تحالف الرسول مع عرب يثرب في بيعة العقبة الثانية
٧٢	هجرة المسلمين إلى المدينة

الباب الثالث

سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة في نشر الدعوة الإسلامية وتوحيد جزيرة العرب

٧٧	١ — تنظيم صفوف المسلمين بالمدينة وتوكيد وحدتهم
٧٧	الرسول يؤاخى بين المهاجرين والأنصار
٧٨	تنظيم الحياة العامة في المدينة
٨٠	تشريع الجهاد وأهميته بالنسبة للمسلمين في المدينة
٨١	٢ — سياسة الرسول في إخضاع عرب الحجاز لسلطته
٨٢	حرص المسلمين في المدينة على إضعاف نفوذ القرشيين في مكة
٨٣	النضال بين المسلمين في المدينة ، والقرشيين وحلفائهم من عرب الحجاز
٨٣	غزوة بدر
٨٧	غزوة أحد
٩٠	غزوة الخندق أو الأحزاب

- ١٠١ نهاية النزاع بين المسلمين في المدينة ، والقرشين في مكة
- ١٠٤ اهتمام الرسول بالعمل على ضم مكة إلى دولته الاسلامية
- ١٠٦ دخول المسلمين مكة
- ١٠٧ موقف قبائل هوازن وثقيف من الرسول
- ١١٠ دخول قبيلة هوازن في الاسلام
- ١١٢ عدول ثقيف عن الاحتفاظ بوثنيتهما وإرسالها وفداً إلى الرسول
- ١١٣ إسلام أهل الطائف
- ٣ - موقف الرسول من يهود الحجاز
- ١١٤ إجلاء بني قينقاع و بني النضير عن المدينة
- ١١٦-١١٧ سيطرة الرسول على المدينة بعد قضائه على بني قريظة
- ١١٩ انتصار المسلمين في خيبر وأهميته
- ١٢٠
- ٤ - توجيه الدعوة الاسلامية إلى سائر بلاد العرب وخارجها
- ١٢١ كتب الرسول إلى أمراء العرب
- ١٢٣ كتب الرسول إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة لجزيرة العرب
- ١٢٥ الرسول يوجه المسلمين إلى غزو الأراضي الجنوبية لبلاد الشام
- ٥ - تحقيق الوحدة السياسية والدينية بجزيرة العرب
- ١٣٢ القبائل العربية ترسل وفوداً إلى المدينة لتعلن إسلامها للرسول
- ١٣٢ بعوث الرسول إلى بلاد اليمن ونجاحها في أداء رسالتها
- ١٤٠ خروج الرسول على رأس المسلمين لأداء فريضة الحج
- ١٤٣ علو كلمة الاسلام وانهيار صرح الوثنية في جزيرة العرب
- ١٤٥ اهتمام الرسول بتأمين حدود بلاد العرب الشمالية وتوطيد سلطان المسلمين عليها
- ١٤٦ قيام الدولة العربية الاسلامية على أساس الوحدة الدينية والسياسية
- ١٤٨

اللوحات

رقم	اللوحة	مقابل صفحة
١	مدخل مدينة الطائف من ناحية مكة	٤٦
٢	حتى جروه بالطائف	٤٨
	جبل السكارى بالطائف	
٣	غار حراء بمكة المكرمة	٦٠
٤	مسجد قباء بضواحي المدينة	٧٢
٥	منظر عام للمدينة المنورة	٧٤
٦	الساحة التي دارت فيها واقعة أحد	٨٨
٧	الكعبة الشريفة	١٠٢
٨	مكة المكرمة يتوسطها بيت الله الحرام	١٠٦
٩	الروضة الشريفة بالحرم النبوي الشريف	١٣٤
١٠	محراب الرسول بمسجده بالمدينة	١٣٨
١١	الحرم النبوي الشريف والقبعة الخضراء	١٤٦
١٢	المدينة المنورة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم	١٤٨

البَابُ الْأَوَّلُ

الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الإسلام

١ - المظهر السياسي للقبائل العربية في بادية العرب

٢ - الممالك العربية

٣ - مدن الحجاز

٤ - الحياة الدينية عند العرب

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين

الباب الأول

الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الإسلام

تمهيد : كانت جزيرة العرب مسكنًا لأكثر العناصر العربية ، ويتألف غربها من إقليمين كبيرين : الحجاز شمالا ، واليمن جنوبا ؛ ويمتد الحجاز من أَيْلَه (على رأس خليج العقبة) إلى اليمن ، وفي جنوبه بلاد اليمن ، وهي تشمل الزاوية الغربية الجنوبية من الجزيرة . أما الزاوية الجنوبية الشرقية منها ، فيقع فيها إقليم عُمَّان ، وهو قطر جبلي على شاطئ البحر . وهناك بجزيرة العرب جزء مرتفع يمتد من جبال الحجاز ، ويسير شرقا إلى صحراء البحرين يسمى نجدًا ، وبين نجد واليمن إقليم اليمامة وهو يتصل بالبحرين شرقا ، وبالحجاز غربا .

لم يكن هناك في بلاد العرب قبل الاسلام دولة عربية ، بل كان بها وحدات سياسية مستقلة تعرف بالقبائل ؛ وهذه الحالة نلاحظها في الجهات الصحراوية التي في أواسط جزيرة العرب مثل نجد وأطراف الحجاز . أما في الحجاز فنجد مدنا ذات حياة سياسية خاصة ، كذلك كان بأطراف جزيرة العرب في الجنوب ممالك اليمن ، وفي الشمال الشرقي مملكة الحيرة ، وفي الشمال الغربي دولة الغساسنة ؛ ومن ذلك يتضح عدم وجود حكومة مركزية في بلاد العرب .

١ — المظهر السياسي للقبائل العربية في بادية العرب

كانت القبائل العربية في نجد وأطراف الحجاز ، تحيا حياة سياسية فطرية . وقد حرص بعضها على الدخول في رعاية إحدى الدول الكبرى المعاصرة لها لما فطر عليه أهل البادية من التنارع والتخاضع ، فسعوا في الانضمام إلى الدول العربية المتحضرة للاستنجاد بها ، كما سعى بعضهم إلى التقرب منها للتفاخر بخدمتها ؛ فكان بنو يربوع

يتفاخرون برعاية أمراء الحيرة لهم^(١). وقد دخلت بعض قبائل البادية في رعاية دولة حمير ببلاد اليمن ، فصاروا يؤدون لها الإتاوة كل عام . أما الدول العربية الأخرى فكانت علاقات هذه القبائل معها في كثير من الأحيان تنحصر في عقد محالفات بينها وبينهم ؛ فالمناذرة كانوا يقر بونهم إليهم ليستعينوا بهم على الغساسنة ؛ وكذلك كان يفعل هؤلاء للاستعانة بهم على المناذرة .

كانت القبيلة من أهل البادية إذا دخلت في رعاية دولة عربية كدولة حمير ، طلبت إليها أن تولى عليها أميراً ؛ فتختار لها أحد أمراء تلك القبيلة أو أحد أفراد القبائل المعروفة بالقوة والسيطرة .

كان زهير بن جناب الكلابي من أشهر من تولى الرئاسة على بدو الشمال تحت رعاية دولة حمير . وبلغ من تقدير حاكم هذه الدولة له أن ولّاه الإمارة على قبائل بكر وتغلب ؛ فصار يدير شئونهم ويأخذ منهم الإتاوة . على أن هذه القبائل لم تظل طويلاً خاضعة لزهير بن جناب ، ذلك أنه لما أصابهم في أثناء إمارته ضيق وأجذبت أرضهم ، تأخروا في دفع الإتاوة المقررة عليهم ، فجاءهم زهير وألح في مطالبتهم بها ، فشكوا إليه عجزهم ، غير أنه لم يصغ لشكواهم فنقموا عليه ؛ فأجابهم على ذلك بإعداد جيشا من أهل اليمن ، غزا به بكر وتغلب ، وقتلهم قتالا شديدا ، انتهى الأمر فيه بهزيمتهم وأسر كليب ومهلل ابنا ربيعة ، كما أسر جماعة من زعماء بني تغلب ، فعظم ذلك على قبائل ربيعة وولوا عليهم ربيعة والد كليب ، وخرجوا على زهير وأقذوا الأسيرين منه^(٢).

لما توفي ربيعة أمير وائل خلفه ابنه كليب — وكان يضم الحقد على اليمنيين — فجمع تحت لوائه ربيعة وقضاعة ومضر وإياد ونزار وحارب اليمنيين في معركة عرفت بيوم خزاز^(٣) وأوقع بهم الهزيمة وتخلص من سيادتهم^(٤) . وهكذا علت مكانة

(١) جرحى زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٢١٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٧٩ — ١٨٠ .

(٣) جبل ما بين البصرة إلى مكة .

كَلَيْبَ بين عشيرته ، فولوه الملك عليهم ودانوا له بالطاعة ؛ وخرجوا بذلك عن سلطان اليمن ^(١) .

على أن خروج هذه القبائل من رعاية اليمن لم يؤد إلى تمتعهم بالاستقلال التام وإنشأهم دولا مستقلة لتغلب البداوة على طباعهم واستمرار النزاع والتخاصم والحروب فيما بينهم أو مع سواهم .

كانت الحروب التي تقع بين القبائل العربية في ذلك العهد تسمى الأيام ، ويرجع السبب في قيامها إلى عوامل مادية كطلب المرعى أو غير مادية كالأخذ بالثأر . وإذا وقعت الحرب بين قبيلتين ودارت الدائرة على إحداها ، فإما أن ترضخ القبيلة المهزومة أو تتحين الفرصة للانتقام في وقت آخر . وكانت الحرب لا تعد منتهية بين الفريقين إلا بعد أن يأخذ الفريق الكثير القتلى الدية من الفريق الآخر الذي قتلاه أقل .

لم تنقطع الحروب بين القبائل العربية في نجد وأطراف الحجاز ، ومن بين هذه القبائل ربيعة ومضر ؛ وتعدان من أقوى القبائل العدنانية وأكثرها رجالا ؛ وكانت تنتقل في نجد واليمامة والحجاز سعيًا وراء الماء والمرعى والغنائم . وكانت كل منهما تغزو أرض الأخرى طمعًا في مالها من إبل أو ماشية أو ماء أو مرعى أو للأخذ بالثأر . وكثيراً ما كانت المعارك الحربية تقوم بين قبائل من ربيعة وقبائل من مضر أو بين قبائل ربيعة نفسها أو بين قبائل مضر .

ومن بين الوقائع التي جرت بين قبيلة تميم من مضر ، وبكر بن وائل من ربيعة يوم الغبيط ^(٢) ، فقد سار جمع من بني شيبان على رأسهم بسطام بن قيس إلى بلاد تميم ، فأغاروا على بعض عشائرهم في صحراء فلج ^(٣) ، ودار القتال بينهم ، ولحقت الهزيمة بالتميميين وقتل منهم عدد كبير ، وغنم بنو شيبان أموالهم ، ثم مروا في طريقهم

(١) ابن الأثير : ج ١ ص ١٨٦ ، جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٢٢٢ — ٢٢٤

(٢) الغبيط : أرض لبني يربوع .

(٣) واد لبني العنبر بن عمرو بن تميم يقع أول الدهناء . حاشية رقم ١ كتاب أيام العرب في

الجاهلية ص ١٩٧ .

على بنى مالك بن حنظلة من تميم ، وهم بين صحراء فدايج وغبيط المدرة ، فأخذوا إبلهم . ولما بلغ ذلك بنى يربوع أكبروا هذا التعدى وساروا بقيادة عتيبة بن الحرث اليربوعي في أثر بنى شيبان ، فلحقوا بهم بغبيط المدرة وقاتلهم ، ثم انهزمت شيبان واستعادت تميم أموالها ؛ ولحق عتيبة بسطام وأشار عليه اليربوعيون بقتله ، لكنه أبى وسار به إلى بنى عامر بن صعصعة لئلا يؤخذ فيقتل . فلما توسط عتيبة بيوت بنى عامر ، صاح بسطام واشيابه ولا شيبان لى اليوم ، فبعث إليه عامر بن الطفيل « إن استطعت أن تلجأ إلى قبتي فافعل ، فإني سأمنعك ، وإن لم تستطع فاقدف بنفسك إلى الرّكى »^(١) التى خلف بيوتنا . ولما علم عتيبة بذلك أتى ابن الطفيل وقال له : قد بلغني الذى أرسلت به إلى بسطام ، فأنا مخيرك فيه خصالا ثلاث ، فقال عامر : وما هى ؟ قال : إن شئت فاعطني خلعتك وخلعة أهل بيتك حتى أطلقه لك ، فقال عامر : هذا ما لا سبيل إليه ، فقال عتيبة : فضع رحلك محل رحله ، فليست عندى بشر منه ، فلم يقبل ، فقال عتيبة : تتبعني إذا جاوزت هذه الراية فتقارعني عنه على الموت ، فإما لى وإما على ؛ فقال عامر : هذا أبغضن إلى ، فانصرف عتيبة بسطام . ولما شاهد بسطام ركب أمّ عتيبة ، قال : يا عتيبة أهدا رحل أمك ؟ ، قال : نعم ، قال : مارأيت رحل أم سيد قط مثل هذا ، إن ركب أمك لرت ، فقال عتيبة : « واللّات والعزى لا أطلقك حتى تأتيني أمك بهودجها - وكان ذا قيمة كبيرة - ثم أرسل بسطام ، فأحضر هودج أمه وفدى نفسه بأربعمائة بعير ، وقيل بألف بعير وثلاثين فرسا وهودج أمه ونجا من الأسر »^(٢) .

وكان يوم الزورين^(٣) من بين الأيام التى حدثت بين بكر وتميم وسببه النزاع على الماء والمرعى ، ذلك أن بلاد بكر بن وائل أجذبت ، فانتجعوا بلاد تميم (بين اليمامة وهجر) وتفاقم الشر بينهما بسبب ذلك حتى صار لا يلقى بكرى تميميا إلا قتله ، ولا يلقى تميمي بكرى إلا قتله ، وإذا أصاب أحدهما مال الآخر ، أخذه ؛ ثم خرج

(١) جمع ركية وهى البئر . حاشية رقم ١ . أيام العرب ص ١٩٩ .

(٢) ابن الأثير : ج ١ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٣) الزوران : بعيان مجلان .

الحوفزان بن شريك والوادك بن الحارث وكلاهما من شيبان ومعهم قوة من بكر ليغزوا على تميم ؛ وكانت تميم إذ ذاك قد اجتمعت في جمع كثير وسارت إلى بكر بن وائل ، وعلى تميم أبو الرئيس الحنظلي ؛ فبلغ خبرهم بكر بن وائل ، ففتقدموا وعليهم الأصم عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني أبو مفروق ، وأقبلت تميم ببعيرين مجللين مقرونين متقيدين وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوها بين الصفين معقولين وسموها زُورَين (يعنى إلهين) ، وقالوا : لا نولى حتى يولى هذان البعيران ؛ فلما وقف أبو مفروق على خبر البعيرين ، قال : أنا زوركم وبرك بين الصفين ، وقال : قاتلوا عني ولا تفروا حتى أفر ، ثم التقى الفريقان ودار بينهما قتال شديد ودبحت شيبان البعيرين ، ولحقت الهزيمة ببني تميم وقتل مقدمهم أبو الرئيس وغنمت بكر أموالهم ونساءهم وأخذت كثيراً من أسراهم^(١) .

ومن الأيام التي أحرزت فيها تميم النصر على بكر يوم النَّبَاج^(٢) وثبتل ، وسببه حب الغزو ؛ وكان زعيم تميم في هذا اليوم قيس بن عاصم المنقري الذي خرج مع بعض بطون تميم للإغارة على بكر بن وائل ، فلما وصل النَّبَاج سقى خيله ، ثم أراق ما مع رجاله من الماء ، وقال لهم : قاتلوا فالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم ، فأغاروا على أهل النَّبَاج من بكر ؛ ودار القتال بين الفريقين وحلت الهزيمة ببكر ، ووقع في يد قيس من غنائمهم ما لا يحصى كثرة . وكان قيس قد أنفذ سلامة بن ظرب ليغزو مكانا آخر للبكرين يعرف بثبتل ، فلما فرغ من النَّبَاج عاد مسرعاً نحو ثبتل ، فوجد سلامة ومن معه لم يغزوا بعد ؛ فأغار برجاله على ثبتل وأوقع بالبكرين الهزيمة وغنم منهم مثل ما غنم بالنَّبَاج^(٣) .

كذلك دارت معارك بين تميم وقبائل أخرى نذكر من بينها يوم شعب جبلة ، وسببه أن لقيط بن زرارة سيد بني تميم عزم على غزو بني عامر بن صعصعة للأخذ بثأر

(١) ابن الأثير : ج ١ ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٢) النَّبَاج . ماء على عشر مراحل من البصرة ، وثبتل . ماء قرب النَّبَاج (باقوت ج ٨

ص ٢٤٣ — ٢٤٤ ، ج ١ ص ٣٠) .

(٣) ابن الأثير . ج ١ ص ٢٣٨ .

أخ له كان أسيراً عندهم ومات . وبينما كان يتجهز للقتال أتاه الخبر بحلف بني عبس وبنى عامر ، فاستجد لقيط بنى ذبيان لعداوتهم لبني عبس ، فأجابته غطفان كلها كما خرجت معه بنو أسد لحلف كان بينهم وبين غطفان ، وأقبلت تميم وأسد وذبيان نحو جبلة ، فلقوا في طريقهم كرب بن صفوان من أشراف سعد ، فخافوا أن يُطلع أعداءهم على خبرهم ، وسألوه لماذا لا يصحبهم في الغزو ، فقال : إنه يبحث عن إبل ضلت منه وتعهدهم بالأخبار أحداً بمسيرهم ، ولكنه ما لبث حين دنا من عامر وعبس أن أخذ خرقة وضع بها حنظلة وشوكا وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم ، فأخذها بعضهم وجاء بها إلى قيس بن زهير أمير عبس ، فعلم ما يعني الرجل بهذه الأمور وقال : « هذا رجل قد أخذ عليه عهد ألا يكلمكم ، فأخبركم أن أعداءكم مثل التراب كثرة وأن شوكتهم شديدة ؛ وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم ، وأما الخرقتان اليمانيتان فهما حيّان من اليمن معهم ، وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة ، وأما الأحجار فهي عشرين ليال يأتيتكم القوم بها قد أنذرتكم فكونوا أحراراً ، واصبروا كما يصبر الأحرار الكرام . » فأثنوا على حكمته واستشاروه في ماذا يعملون فقال : « أدخلوا إيلكم هذه شعب جبلة ثم اظمئوها هذه الأيام ولا توردوها الماء ، فإذا جاء القوم أخرجوها عليهم وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاكير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم واخرجوا أنتم في آثارها » ، ففعلوا ما أمرهم به وكثر القتل في تميم وأسرجاعة من رؤسائهم وقتل لقيط بن زرارة وتمت هزيمة تميم وغطفان ^(١) .

ومن الأيام التي دارت الحرب فيها بين تميم وغيرها من القبائل القحطانية يوم الكلاب الثاني ^(٢) ، وسببه أن رجلاً من بني قيس بن ثعلبة قدم نجران على بني الحارث بن كعب - وهم أخواله - وحدثهم بما أصاب بني تميم ، وأن أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها ، فاجتمعت بنو الحرث من مذحج وأحلافها في عسكر عظيم ، بلغوا ثمانية آلاف ، ثم ساروا يريدون بني تميم ، فحذرهم كاهن لهم ونصح

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٤ - ٣١٦ .

(٢) الكلاب . اسم ماء بين الكوفة والبصرة . حاشية رقم ١ ص ١٢٤ كتاب أيام العرب .

لهم ألا يغزوا تيمًا . ولما بلغ الخبر تيمًا ، اجتمع ذوو الرأي منهم إلى أكرم بن صيفي الأسدى ، فأشار عليهم بأن ينزل حنظلة بن مالك بالدهناء وينزل سعد بن زيد مناه والرباب^(١) : الكلاب ، وأوصاهم ألا يأخذوا معهم نساءهم ، وحذرهم الخلاف فقبلوا مشورته ، وأقبلت مذحج ومن معها من قضاة ققصدوا الكلاب ، واقتتل الفريقان قتالا شديدا ، وحمل بنو تميم على أهل اليمن حملة صادقة ، فانهزموا وبذلك تمت الغلبة لتييم على مذحج^(٢) .

ومن الأيام التي وقعت بين قبائل ربيعة نفسها ما جرى بين بكر وتغلب ونعنى بها حرب البسوس ، ذلك أنه لما فض وائل بن ربيعة الذي يلتب بكليب جموع اليمنيين وهزمهم ، اجتمعت تحت رايته كل قبائل معد وأبستة تاجاً ، وجعلوه في مقام الملوك ، وظل فترة من الزمن على هذه الحال ، ثم دخله زهو شديد ، وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، فأتخذ لنفسه مساحة من الأرض لا يحسر أحد أن يطأها ، وصار إذا جلس لا يمر أحد بين يديه إجلالا له ، ولا يغير إلا بإذنه ، ولا توقد نار مع ناره ، ولم يكن بكرى ولا تغلبى يبحر رجلا ولا بعيراً أو يحمى حمى إلا بأمره ، وتجاوز من سبقه من أصحاب الحمى ، فجعل حمايته تشمل كل أنواع الوحش حتى كان يقول : « وحش أرض كذا في جوارى فلا يهاج »^(٣)

تزوج كليب جلييلة بنت مُرّة بن ذهل بن شيبان من بكر ، ولها أخ اسمه جساس ابن مرة ، وكان فارساً شهماً ، فحدث ذات يوم أن قال كليب لامرأته جلييلة : هل تعلمين على الأرض أمنع منى ذمة ؟ فقالت : أخواى جساس وهما ؛ فاستاء من هذا القول . وكانت لجساس خالة نزلت عليه اسمها البسوس بنت منقذ من تميم ، ولها ناقة ومعها فصيل لها ؛ فلما خرج غاضباً من قول زوجته جلييلة رأى فصيل ناقة البسوس ، فرماه بقوسه ، فقتله . وظل كليب ينتقم على أخوى زوجته حتى إذا مرت به إبل جساس

(١) كلاماً من تميم .

(٢) ابن الأثير . ج ١ ص ٢٢٧ — ٢٢٩ .

(٣) كتاب أيام العرب . ص ١٤٣ .

وفيهما ناقة البسوس رمى ضرعها فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها ؛ فلما رأتها البسوس صاحت : واذا له ، فقال لها جساس : إني سأقتل جملاً أعظم من هذه الناقة ، سأقتل غلاماً وهو غل إبل لكليب لم يرفى زمانه مثله — وكان جساس يعنى بمقاتلته كليياً .

ولما مرت بعض قبائل بكر على بعض مواطن المياه منعهم كليب من الاقتراب منها ؛ فسأ ذلك جساس ، وقال لكليب : طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً ؛ فقال كليب : ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون ، فقال له : هذا كفعلك بناقة خالتي . وكان جساس إذ ذاك راكباً فرسه ، فعطف على كليب وطعنه برمح أرداه عن فرسه ، فقال : « يا جساس أغثنى بشربة من ماء » ، فلم يأت به شيء وقضى كليب نحبه ، ثم انصرف جساس إلى أهله راكباً فرسه وقد بدت ركبتاه ، فقال له أبوه : ما وراءك يا بني ؟ قال : ورأى أني قد طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زماناً ؛ فقال له أبوه : ومن طعنت ؟ قال : قتلت كليياً ؛ فقال له أبوه : « إذن نسلمك بحريرتك ، ونريق دمك في صلاح العشيرة ، والله لبئس ما فعلت ؛ ثم أخذ يتأهب للحرب ، فدعا قومه إلى نصرته ، فأجابوه .

لما علم مهليل بقتل أخيه كليب ، أعد نفسه للحرب ، وجمع قومه ، ثم جز شعره وقصر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يهتم بلبو ولا يشم طيباً ولا يشرب خمرأ ولا يدهن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلاً من بكر بن وائل ، وحث بني تغلب على الأخذ بالثأر ، وانطلق رهط من أشراف قومه حتى أتوا مرة والد جساس ، وقالوا له : « إنكم أتيتم أمراً عظيماً بقتلكم كليياً بناقة وقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمه ونحن نكره العجلة عليكم دون الإعذار ، وإننا نعرض عليكم خلالاً أربعاً لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع : « إما أن تحيي كليياً أو تدفع إلينا قاتله جساساً فنقتله به أو نهماً فإنه كفء له أو تمكنا من نفسك فإن فيك وفاء لدمه » ، فقال لهم مرة : « أما إحيائي كليياً فلست قادراً عليه ، وأما دفعي جساساً إليكم فإنه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه ولا أدرى أى بلاد قصد ، وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة

وعم عشرة ، وكلهم فرسان قومهم ، فلن يسلموه بجزيرة غيره ، وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل ، فما أتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان : أما إحداهما فبؤلاء أبنائي الباقون ، فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم ، وأما الأخرى فإني أدفع إليكم ألف ناقة سود الخدق حمر الوبر » ، فغضب القوم من إجابته ونشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة بأبيها وقومها ، ودارت بين الفريقين عدة وقائع ، منها يوم عنيزة ؛ وكان فيه متكافئين ، ثم التقوا بماء يقال له النسي كانت بنو شيبان نازلة عليه . وكان رئيس تغلب مهلب ورئيس شيبان الحارث بن مرة ، ودارت الدائرة في هذا اليوم على بني تغلب ، ثم التقى الفريقان بالذنائب^(١) حيث أحرز التغلبيون النصر . وهكذا طال أمد النزاع بين بكر وتغلب ودامت الحرب بينهما التي عرفت بحرب البسوس أربعين سنة .

تسكبد بنو بكر وتغلب كثيراً من الخسائر في هذه الحرب ؛ ووجه مهلب إلى قومه وصية ضمنها رغبته في الإبقاء عليهم بعدما فقدوه من الأموال والأنفس من جراء القتال الدائر بينهم وبين بني بكر فقال : « قد رأيت أن تبقوا على قومكم ، فإنهم يحبون صلاحكم ، وقد أتت على حربكم أربعون سنة ، وما ملتكم على ما كان من طلبكم بوتركم ، فلومرت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تمل من طولها ، فكيف وقد فنى الحيان وثكلت الأمهات ، ويطمأن الأولاد ، ورب نائمة لا تزال تصرخ في النواحي ، ودموع لا ترفأ ، وأجساد لا تدفن ، وسيوف مشهورة ، ورماح مشرعة ؛ وإن القوم سيرجون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم ، وتتعطف الأرحام حتى تتواصوا ؛ أما أنا فما تطيب نفسي أن أقيم فيكم ، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب ، وأخاف أن أحلحكم على الاستئصال ، وأنا سائر عنكم إلى اليمن^(٢) » .

ومن أيام العرب التي وقعت بين القبائل المضرية حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان ، سببه أن قيس بن زهير سيد بني عبس ، سار إلى المدينة ليتجهز لقتال بني عامر ويأخذ بثأر أبيه زهير بن جذيمة الذي قتله خالد بن جعفر الكلابي

(١) الذنائب . موضع بنجد (أبو عبيد البكري . معجم ما استمعهم ص ٣٨٥) .

(٢) ابن الأثير . ج ١ ص ١٩٣ ، كتاب أيام العرب . ص ١٦٤ — ١٦٥ .

العامري ، فأتى أحيحة بن الجلاح^(١) يشتري منه درعاً موصوفة تسمى ذات الحواشي ؛ فقال له : « لولا أن تدمني بنو عامر لوهبته لك » ثم باعه إياها ، وعاد قيس إلى قومه ، ومر أثناء عودته بالربيع بن زياد العبسي - أحد زعماء عبس - فدعاه لمساعدته على الأخذ بثأر أبيه ، فأجابه إلى ذلك . ولما رأى الربيع الدرع التي يحملها قيس أعجبه ولبسها واحتفظ بها لنفسه وأبى أن يردّها إليه ، فحقد قيس على الربيع وعول على الانتقام منه ، فأغار على إبله وأخذ منها أربعائة بعير وسار بها إلى مكة ، فباعها واشترى بثمنها خيلاً ، كان من بينها فرسان اسمهما داحس والغبراء ، وتبعه الربيع فلم يلحقه .

وكان أهل مكة يفاخرون قيساً أثناء وجوده بينهم بإقامتهم بجوار البيت الحرام ، فقال لهم : « نحوا كعبتكم عنا وحرّمكم وهاتوا ماشئتم » فقال له عبد الله بن جدعان : « إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور والحرم الآمن فبم نفاخرك » ، فلما قيس مفاخرتهم وعزم على الرحيل عن مكة ، فسر ذلك قريشاً لكرهتهم مفاخرته ، ولحق قيس بنى بدر بن فزارة^(٢) .

لما نزل قيس بنى بدر أجاره حذيفة بن بدر سيد ذبيان ، وكان حذيفة يغدو ويروح إلى قيس فينظر إلى خيله فيحسده عليها ويكتم ذلك في نفسه ، كما أنه كره قيساً وأراد إخراجه من جواره ، لكنه لم يجد مبرراً لفعله ، فعدل عن ذلك .

لما سار قيس إلى مكة لأداء العمرة ، تفاخر فتى من عبس يقال له ورد بن مالك مع حذيفة في الخيل ، ثم تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة . غير أن هذا الرهان لم يرض به قيس حين عاد من مكة ، وقال لحذيفة : علام تراهنني ؟ فقال حذيفة : على فرسيك داحس والغبراء وفرسي الخطار والخنفاء ، وأعدت معدات السباق ، وأضمر حذيفة الغدر بقيس ، فأقام رجلاً من بنى أسد في الطريق وأمره أن يلتقي داحساً في أسفل أحد الوديان إن جاء سابقاً ؛ فلما أرسلت الخيل سبقتها داحس سبقاً بيناً ، فعارضه الأسدى وألقاه في الماء ، وكاد يغرق هو وراكبه ، ولم يخرج إلا بعد

(١) سيد الأوس قبل الإسلام . حاشية رقم ٣ ص ٢٤٦ . كتاب أيام العرب .

(٢) إحدى بطون ذبيان .

أن فاتته الخيل . أما الغبراء فجاءت سابقة وتبعها الخطار ثم الحنفاء ، ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله .

ولما علم قيس بالمكيدة التي دبرت لفرسه ، رفض أن يعطى حذيفة ما زعمه أنه حقه في الرهان ، وقتل ابنه نذبة حين وفد إليه ، ونادى : يا بني عبس الرحيل ، فرحلوا جميعهم ووقعت بسبب ذلك عدة وقائع بين قبيلتي عبس وذبيان ، كانت الحرب فيها سجلاً يوماً لذبيان ويوماً لعبس . ولما مل بنو عبس الحرب بعد أن قتلوا كثيراً من رجالهم وأموالهم بعثوا بوفد منهم إلى بني ذبيان لوقف القتال ، وانتهى الأمر بعقد الصلح بينهم ^(١) .

* * *

ومن الوقائع التي دارت بين القبائل المضرية يوم الفجار الأول ؛ وكان بين كنانة وقيس عيلان ، وقد عرف بذلك لأن القتال فيه وقع في الشهر الحرام ؛ وسببه أن رجلاً من بني كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فقتل النصرى الكناني وذهب إلى سوق عكاظ ^(٢) بقرد وصار ينادى : « من يبيعي مثل هذا بمالي على فلان الكناني » . فلما طال نداؤه مر به رجل من كنانة ، فضرب القرد بسيفه وقتله ؛ فصرخ النصرى في قيس وصرخ الكناني في كنانة ؛ فاجتمع الحيان وتحاوروا حتى كادت الحرب تقع بينهم ، ثم توسط عبد الله بن جدعان في عقد الصلح بين الفريقين ^(٣) .

كذلك وقع يوم الفجار الثاني بين كنانة وقيس عيلان ، ولم يكن في أيام العرب أشهر منه ؛ وسببه أن البرأض بن قيس بن رافع الكناني كان رجلاً سكيراً خليعاً ، فخلعه قومه وتبرءوا منه لكثرة شره ، فخرج حتى قدم على النعمان بن المنذر ملك الحيرة -

(١) ابن الأثير : ج ١ ص ٢٠٤ - ٢١٢ .

(٢) كانت تقام فيما بين نخلة والطائف ؛ ونخلة موضع قريب من مكة فيه نخل وكروم .

(٣) حاشية رقم ٧ ص ٣٢٦ . كتاب أيام العرب

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦ ، ابن الأثير : ج ١ ص ٢١٤

وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة^(١) للتجارة إلى عكاظ تباع له - ؛ فقال النعمان : من يحيز لي لطيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ ؛ فقال البراض : أبيت اللعن أنا أحيزها على بني كنانة ، فقال النعمان : إنما أريد رجلاً يحيزها على أهل نجد ؛ فقال عروة بن عتبة السكابي وهو من قيس عيلان - وكان حاضراً إذ ذاك - : « أكلب خليع يحيزها لك ، أبيت اللعن ، أنا أحيزها على أهل تهامة ونجد » ، فغضب البراض وقال : « وعلى كنانة تحيزها يا عروة ؟ » فقال عروة : « وعلى الناس كلهم » ، فدفع النعمان اللطيمة إلى عروة وأمره بالمسير بها ، وخرج البراض يتبع أثره ، وعروة يرى مكانه ولا يحشاه ، حتى إذا كان بين قومه أدركه البراض بنواحي فذك ووثب عليه بالسيف فقتله وأخذ العير إلى خيبر وتبعه رجلان من قيس ، فاحتال عليهما حتى قتلهما وسار بالعير إلى مكة ، وبعث رسولاً إلى حرب بن أمية كبير قريش ، يخبره أنه قتل عروة ويحذره من قيس . فبعث حرب بن أمية إلى أشراف قريش - ومنهم عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة المخزومي - يخبرهم بذلك ؛ فاجتمعوا وتشاوروا وقالوا : نخشى أن تطلب قيس ثأر صاحبهم منا ولا ترضى أن يقتل البراض به لأنه خليع ، ثم قابلوا أبا براء عامر ابن مالك بن جعفر بن كلاب سيد قيس وأخبروه بما حدث وكاد الصلح يتم بين الفريقين لولا أن نفراً من قريش - كانوا في عكاظ - بلغهم ما فعله البراض فحشوا أن يكون قومه في مكة في ضيق ، فساروا إليها لنصرتهم ، فلما بلغ عامر بن مالك سيد قيس ذلك عده غدرًا وقال : غدرت قريش وخدعني حرب بن أمية وأقسم ألا تنزل كنانة عكاظ أبداً ، ودار القتال بين القرشيين والقيسين في نخلة ، وكادت قريش تنهزم ، فلجأت إلى الحرم للاحتماء به - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم إذ ذاك وله من العمر عشرون سنة .

ولما دخلت قريش الحرم ، رجعت قيس عنها وقالت لهم : يا معشر قريش ، إنا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ في العام المقبل وانصرفت إلى بلادها يحرض بعضها بعضاً على الأخذ بالثأر ، ثم جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها من قبائل العرب ،

(١) اللطيمة : الجمال التي تحمل البز والمسك

(حاشية رقم ٢ . كتاب الاسلام السياسي ج ١ ص ٦١)

وجمعت قريش جموعها ومنهم كنانة وخرجوا في الموعد - وعلى رأسهم - حرب بن أمية ، وتقدمت قيس إلى عكاظ قبل قريش ، وعقّل حرب نفسه ، وقيد سفيان وأبو العاص نفسيهما ، وقالوا : لن يبرح رجل منا مكانه حتى نموت أو نظفر ؛ فسموا يومئذ العنابس ، أى الأسود ، ودار القتال بين الفريقين ؛ فكان النصر أول النهار لقيس وانهزم كثير من بنى كنانة وقريش . ولما انتصف النهار عاد الظفر لقريش وكنانة ، فقتلوا كثيراً من قيس وانتهى الأمر بانهزام قيس ثم تداعوا إلى الصلح واتفق الفريقان على أن يعدوا القتلى ، فإذا ما وجد فريق أن قتلاه زاد عددهم عن قتلى الفريق الآخر ، أخذ دية العدد الزائد من هذا الفريق ، وبذلك وضعت الحرب أوزارها بين قريش وقيس ، وتعاهدوا على ألا يؤذى بعضهم بعضاً فيما كان من أمر البرّاض وعُروّة^(١) .

٢ - الممالك العربية

أولاً : دول البعث :

كانت اليمن قبل الاسلام تنقسم إلى محافد جمع محفد ؛ والمحفد يشمل عدة قصور وكان القصر إذ ذاك كالحصن أو القلعة ، يحيط به سور ، ويقيم فيه شيخ أو أمير . ويعرف صاحب المحفد أو القصر بلفظ « ذو » أى صاحب . وكان يضاف هذا اللفظ إلى اسم المحفد ، فيقال « ذو غمدان » أى صاحب غمدان ، « وذو معين » أى صاحب معين . ومن أشهر المحافد : غمدان وناعط وصرواح وسلحين بمأرب وظفار وبراقش ومعين^(١) .

كان يحدث في بعض الأحيان أن تجتمع عدة محافد ويتولى شئونها أمير واحد يسمى « قيل »^(٢) ؛ ويطلق على مجموع المحافد مع مايلحقها من القرى والمزارع « مخلاف » .

(١) ابن الأثير : ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٧ ، كتاب أيام العرب ص ٢٢٦ - ٢٤١

(٢) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٢٠٣

(٣) جمه أقيال ، وسمى بذلك لأنه ذو القول أى الذى إذا قال لم يرد أحد قوله . (حاشية

رقم ٣ . ابن هشام : سيرة النبي ج ٤ ص ٢٥٨)

كان الأقبال يغزو بعضهم بعضا ، ويغير أحدهم على جاره . وقد نجح بعضهم في مد سلطانهم على جيرانهم ؛ وهؤلاء عرفوا بالملوك وأصبح محندهم حاضرة لهم وتوالى الحكم في أعقابهم ، وبهذه الوسيلة قام في بلاد اليمن قبل الإسلام عدة دول أشهرها ثلاث :

١ — الدولة المعينية (١٣٠٠ — ٦٥٠ ق . م) : لم يرد لتلك الدولة ذكر في كتب العرب ، لكننا وقفنا على أخبارها من النقوش التي كشفت في جنوب جزيرة العرب ، وكذلك مما كتبه مؤرخو اليونان .

ورد في النقوش المعينية أن الحكم في هذه الدولة كان ملكيا وراثيا ، ينتقل من الأب إلى الابن وقد يشترك الاثنان معا^(١) . وقد حقق D. S. Muller أسماء ستة وعشرين ملكا من ملوكها . لكننا لا نعرف شيئا مفصلا عن أعمالهم ومدد حكمهم . ويستدل من تلك النقوش أيضا أن نفوذ دولة معين امتد إلى شمال جزيرة العرب^(٢) .

أقام المعينيون بمنطقة الجوف بين نجران وحضرموت ، واتخذوا قرناو عاصمة لهم^(٣) . وكانوا يشتغلون بالتجارة عملا بما تقتضيه طبيعة الإقليم الذي استقر مقامهم به ، واقتبسوا الأبجدية الفينيقية لتدوين حساباتهم لسهولة استعمالها ودونوا بها لغتهم^(٤) .

٢ — دولة سبأ (٩٥٠ — ١١٥ ق . م) : أقام السبئيون بجوار المعينيين ، واختلطوا بهم واقتبسوا لغتهم وعاداتهم وديانهم . ولما اشتد ساعدتهم قضوا على المعينيين وأسسوا دولتهم ، واتخذوا في بادئ أمرهم قلعة صرواح حاضرة لهم^(٥) .

كانت دولة سبأ ذات نظام ملكي وراثي ، ويستدل من مقابلة أسماء ملوك سبأ

1) O'Leary, Arabia before Muhammad p. 95.

2) Margoliouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam. p. 51.

3) Hitti, History of the Arabs, p. 52-54

٤) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١١٣ — ١١٤

5) Hitti, History of the Arabs, p. 54

المدونة على آثار مأرب^(١) أن السبئيين تدرجوا في الحكم من الإمارة البسيطة إلى الملك الواسع .

مرت دولة سبأ بعصور مختلفة ، تتميز بألقاب ملوكها ؛ ففي العصر السبئي الأول الذي ينتهي سنة ٦٥٠ ق . م كان لقب القائم على أمور دولة سبأ « مكرب سبأ » . وهذا اللقب يتضمن معنى الكهانة أى أن حاكم سبأ كان ملكا وكاهنا^(٢) . أما في العصر السبئي الثاني (٦٥٠ - ١١٥ ق . م) فنجد الحاكم تجرد من صفته الدينية وأصبح يطلق عليه « ملك سبأ » . وفي هذا العصر أصبحت مأرب عاصمة للسبئيين^(٣) .

كانت دولة سبأ تتمتع بثروة عظيمة ، ولا أدل على ذلك من منشآتها وخاصة الخزانات التي منها سد مأرب ، ويعرف أيضا بسد العرم وهو بمدينة مأرب . وقد تيسر لأهالى مأرب بوساطة هذا السدان يرووا أرضهم رياً منظماً .

اتفق المؤرخون من العرب على أن السبب في زوال هذه الدولة يرجع إلى تصدع سد مأرب ، إذ اضطر السبئيون بعد أن غمرت المياه ما حوله من القرى والمزارع إلى الرحيل عن مأرب وتعمير بلدة ظفار ، ثم أخذوا بعد ذلك ينزحون إلى الجهات الشمالية والشرقية من جزيرة العرب ؛ فهاجر بنو غسان إلى حوران ، و بنو لخم إلى أرض الحيرة . وقد جعل الغساسنة حادثة انفجار السد بداية عهدهم الجديد ، وصاروا يؤرخون بها حوادثهم^(٤) .

٣ - دولة حمير (١١٥ ق . م . ٥٢٥) : كان الحميريون يقيمون في ريدان التي عرفت أيضا باسم ظفار . ولما تغلبوا على إخوانهم السبئيين صار لقب كبيرهم

(١) تقع مأرب على ارتفاع ٣٩٠٠ قدم فوق سطح البحر ، على بعد مائة كيلو متر إلى الشرق من صنعاء . وكانت مركزاً هاماً للتجارة .
أما عن لفظ مأرب ، فهو آراى الأصل ، مركب من « ماء » و « راب » أى الماء الكثير أو السيل الكبير .

Hitti, History of the Arabs, p. 55.

جرجى زيدان : العرب قبل الاسلام .

(2) Nicholson, Literary History of the Arabs p. 10.

(3) Hitti, History of the Arabs p. 54 — 55.

(4) Hitti, History of the Arabs b. 64 — 65.

« ملك سبأ وذو ريدان » ؛ ومنذ ذلك الوقت بدأت دولة حمير الأولى التي ظلت قائمة حتى سنة ٣٠٠ م . وكانت عاصمة الأسرة الحميرية ظفار^(١) .

أخذت قوة عرب الجنوب في الضعف خلال عهد الدولة الحميرية الأولى ، ذلك أن زمام احتكار التجارة البحرية في البحر الأحمر أخذ يُفقد من بين أيديهم . وقد بدأت أول محاولة لانتزاع سيادة عرب اليمن على البحر الأحمر منذ أعاد بطليموس الثاني فتح القناة التي تصل النيل بذلك البحر^(٢) .

أما دولة حمير الثانية فتبدأ حوالي سنة ٣٠٠ م حيث أصبح اللقب الملكي في جنوب جزيرة العرب « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمينات^(٣) » . وقد لقب بهذا اللقب الجديد شمير عرش^(٤) (٢٨٠ - ٣٠٠ م) ، وهو من أشهر ملوك حمير . ويرى مؤرخو العرب أنه غزا أرض العراق وفارس وخراسان وافتتح مدائنها وخرب مدينة الصغد وراء نهر جيحون ، وبنى مدينة هناك عرفت بشمرقند وهي التي تعرف باسم سمرقند^(٥) .

كانت دولة حمير موضع تنافس بين كل من الدولة الساسانية في فارس والدولة الرومانية الشرقية . وقد استخدمت هذه الدولة السلاح الديني في بسط سيادتها فنشرت المسيحية في بلاد الحبشة ، كما أدخلت هذه الديانة إلى بلاد اليمن نفسها ، وأصبح في نجران جالية نصرانية قوية . وكان الروم يرمون من وراء نشر المسيحية في هذه البلاد أن يكون لهم نفوذ سياسي واقتصادي فيها ؛ فصارت تجارتهم تسير بين الخليج الفارسي والبحر الأحمر مارة ببلاد اليمن الأمر الذي استاء منه العرب وحملهم على مضايقة الروم والوقوف في وجه تجارتهم .

كان الفرس في هذه الأثناء قد وقفوا على ما يرمى إليه الروم من وراء نشر

(1) Hitti, History of the Arabs p. 55 — 56.

(2) Hitti, History of the Arabs p. 58 — 59.

(3) Hitti, History of the Arabs p. 60.

(4) Philby, The Background of Islam p. 110 — 111.

(٥) ابن هشام : كتاب النيجان في ملوك حمير ص ٢٢٢ . جرجي زيدان : العرب قبل

الإسلام ج ١ ص ١٢٤ .

المسيحية في بلاد اليمن . فعمدوا إلى عرقلة مجهوداتهم في سبيل تنمية متاجرهم الشرقية ؛ فبعثوا بفريق من جندهم إلى شواطئ الخليج الفارسي من ناحية حدود جزيرة العرب . ولما علم بذلك قيصر الروم أرسل إلى بني حمير يحرضهم ضد الفرس ؛ فلم يجيبوا طلبه وظلوا يعترضون تجار الروم أثناء اجتيازهم اليمن بتجارهم الهندية مما كان سببا في وقوف حركتها^(١) .

كذلك انتشرت اليهودية باليمن في عهد الدولة الحميرية الثانية واشتد ساعدها في أوائل القرن السادس الميلادي ، بحيث أن آخر ملوك حمير وهو ذو نواس كان يهوديا . اشتدت المنافسة بين عرب الجنوب الذين انضوا تحت لواء هاتين الديانتين . وكان ذو نواس يمثل الروح القومية في البلاد ، فرأى في النصارى من مواطنيه ما يذكره بسيادة الأحباش المسيحيين^(٢) . فقام بهجوم عنيف على نجران حوالي سنة ٥٢٢ م وخير أهلها الذين كانوا يدينون بالمسيحية بين الارتداد عن دينهم والاستشهاد ، فوقفوا منه موقفا حازما تحت رئاسة أمراءهم وقساوستهم ، فأبيدوا دون رحمة في الخنادق التي أعدت لإحراقهم^(٣) .

لما بلغ الامبراطور البيزنطي Justin I ما حل بأهل نجران من التنكيل ، كتب إلى نجاشي الحبشة يحرضه على غزو جزيرة العرب^(٤) . فأنفذ حملة تحت قيادة أرياط لفتح بلاد اليمن ، فغلب أرياط على ذى نواس وقبض على زمام الأمور في بلاد حمير . وظل يحكم هذه البلاد إلى أن أخذ عليه قواده انخيازه إلى فريق منهم في توزيع العطاء والغنائم . فاجتمعوا بقيادة أبرهة وقضوا عليه . وبذلك خلا الجو لأبرهة ، فولى الحكم في بلاد حمير بدلا من أرياط^(٥) .

لم يلبث الأحباش بعد أن دخلوا بلاد اليمن أن عملوا على استغلال أراضيها

(١) جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص ١٢٨ .

(2) Hitti, History of the Arabs p. 62.

(3) Philby, The Background of Islam p. 119.

(4) Margoliouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam p. 65.

(٥) جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص ١٣٠ .

واستعمارها ، كما وجهوا اهتمامهم إلى نشر النصرانية بين أهلها ؛ فبنى أبرهة في صنعاء كنيسة كبيرة تعد من أفخم الكنائس التي بنيت في هذا العصر . وكان يطمع أبرهة في تحويل حجاج العرب إليها ، فأرسل جيشاً لهدم الكعبة بمكة ، لكن حملته أصيبت بالفشل وتعرض هو وجنده لمختلف الأمراض ، ثم توفي بعد عودته منهزماً^(١) . لم يمض غير قليل على تلك الهزيمة التي منيت بها حملة أبرهة حتى قامت حركة وطنية في دولة حمير لتخليص اليمن من حكم الأحباش . وكان على رأس هذه الحركة سيف بن ذي يزن الحميري الذي سعى في إقناذ قومه من الأحباش ، فسار إلى ملك الحيرة ليتوسط له لدى كسرى أنوشروان ليُمده بقوة يستعين بها في إخراج الأحباش من بلاد اليمن .

وكان العرب المسيحيون في تلك البلاد يتطلعون إلى الحماية والرعاية من الروم كما كان اليهود والوثنيون من العرب يلوذون بالفرس ويطلبون العون منهم . فلما استنجد سيف بن ذي يزن بكسرى فارس ، أمدّه بحملة سنة ٥٧٥ م تحت قيادة وهرز . وقد تغلب هذا القائد على الأحباش في اليمن ؛ وأتخذ هذه البلاد من حكمهم البغيض .

قامت على أثر ذلك في بلاد اليمن حكومة مشتركة ؛ تقلد سيف بن ذي يزن فيها ولاية إسمية^(٢) وانتحل وهرز وظيفة نائب ملك في تلك البلاد التي أصبحت منذ ذلك الوقت إحدى أقاليم الإمبراطورية الفارسية .

على أن سيطرة الفرس على اليمن لم تدم طويلاً ؛ فقد انسلخت عنها تلك البلاد حين اعتنق باذان آخر ولاية الفرس على اليمن الاسلام ودخل في طاعة الرسول^(٣) .

ثانياً : مملكة الحيرة :

كان العرب في العصور القديمة يقدون إلى تخوم جزيرتهم الشرقية حتى إذا وصلوا وادى الفرات أقاموا في ربوعه . وفي أوائل القرن الثالث الميلادي بدأت تغد قبائل من تنوخ ؛ ترجع إلى أصل يمني ؛ فاتخذت لها مساكن في المنطقة الخصبة الواقعة

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ٨٣ — ٨٤ .

(2) Hitti, History of the Arabs p. 65 — 66.

(3) Philby, The Background of Islam p. 124 — 125.

إلى الغرب من الفرات . وقد وافق قدومهم قيام الدولة الساسانية في فارس . وكان التتوخيون يعيشون في بداية أمرهم في خيام . ومن ثم أصبح مخيمهم قاعدة تعرف بالحيرة (من السريانية حرتا أى مخيم) ؛ وتقع على بعد ثلاثة أميال جنوباً من الكوفة . أما عن سكان الحيرة الأصليين ، فكانوا من قبائل شتى من بطون العرب ؛ اعتنقوا النصرانية على مذهب الكنيسة السورية الشرقية التي عرفت فيما بعد بالنسطورية^(١) .

أطلق مؤرخو العرب على هذه القبائل العباد ؛ وقيل في سبب تسميتهم بالعباد ؛ إنهم اتخذوا شعاراً لهم : يا آل عباد الله حين حاربهم سابور الأكبر كسرى الفرس ؛ وقيل أيضاً إنهم عرفوا بذلك لأنهم كانوا يعبدون الله^(٢) .

لما قامت الدولة الساسانية في فارس حاولت طرد العرب من تخوم دولتها لكنها لم تستطع ذلك ورأت من حسن السياسة الانتفاع بهم ؛ فأستت إمارة الحيرة سنة ٢٤٠م وعينت عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن نخم أميراً عليها ؛ وظلت أسرته تتقلد زمام الحكم فيها حتى دخلت في حوزة الدولة العربية الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق .

كانت العلاقة بين دولة فارس وإمارة الحيرة قائمة على أساس أن يقدم عرب الحيرة الطاعة لكسرى فارس وهو يولى عليهم أميراً من بينهم ؛ وعليهم أن يصدوا كل مغير يحاول الإغارة على بلاد الفرس من نواحيهم ، وفي مقابل ذلك يعفون من دفع الإتاوة .

ساعدت إمارة الحيرة دولة فارس في حروبها التي أعلنتها على الدولة الرومانية الشرقية ، فلجى أميرها المنذر الثالث بن امرئ القيس الملقب بابن ماء السماء (٥٠٥ — ٥٥٤م) دعوة كسرى الفرس وأوقع الهزيمة بالروم واضطر الامبراطور الرومانى جستنيان إلى عقد الصلح سنة ٥٢٢ م ، كان من شروطه أن يدفع الروم مبلغاً من المال لملك الفرس والمنذر .

(١) Hitti, History of the Arabs p. 81.

(٢) البكري : معجم ما استمعهم ج ١ ص ٢٥ .

على أن ملوك الفرس من الساسانيين عدلوا في أواخر القرن السادس الميلادي وأوائل القرن السابع عن سياسة استخدام عرب الحيرة في أغراضهم الحربية والسياسية كما عمدوا إلى إزالة استقلال هذه المملكة وصاروا يتدخلون في تولية أمرائها ؛ فولى النعمان بن المنذر الذي يكنى بأبي قابوس الحيرة (٥٨٠ - ٦١٣ م) بمساعدة عدوى ابن زيد العبادي^(١) وهو أحد رجال بلاط كسرى أنوشروان^(٢) .

وكان بالحيرة حزب آخر يطمع في الوصول إلى الملك يرأسه أخ للنعمان يقال له الأسود ، فلما فشل في تحقيق غرضه ، أخذ يكيد لعدى بن زيد ويسعى به سراً لدى النعمان حتى حقد عليه النعمان وبعث يستأذن كسرى في أن يسمح لعدى بزيارته في الحيرة ؛ فأجاب كسرى طلبه . ولما قدم عدى إلى الحيرة ، أمر النعمان بزجه في السجن فأخذ عدى ينظم القصيدة تلو القصيدة في استعطاف النعمان ، لكن النعمان رغم ذلك خشى أن ينتقل عليه إذا ما أطلق سراحه ، فأبقاه في سجنه ، وبعث إليه جماعة قتلوه خنقاً وما لبث أن ندم على قتله وأخذ يقرب إليه ابنه زيد ويرعاه تكفيراً عن إساءته لأبيه فطلب منه زيد أن يرجو كسرى أبرويز بن هرمز ليعينه مكان أبيه ، فلبى رغبته ، وحاز سعيه قبولاً لدى كسرى ؛ وبذلك أصبح لزيد المكانة التي كانت لأبيه في بلاط ملك الفرس^(٣) .

كان زيد بن عدى يظهر إعجابه بالنعمان ويضمر له سوء ، فأخذ يترقب الفرص للآخذ بثأر أبيه ؛ فلما احتاج كسرى أبرويز بن هرمز أن يخطب نساء لرجال أسرته ، أشار عليه زيد أن يطلب من النعمان بعض بنات عمه ، وأثنى على جمالهن ، فأنفذ كسرى زيد بن عدى إلى النعمان ليلغفه طلبه ؛ فاستاء النعمان من هذا الطلب وقال لزيد : « أما في مَهْمَا السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته^(٤) » ، وكتب لكسرى : « إن الذي طلب الملك ليس عندي^(٥) » ؛ فغضب كسرى على النعمان

(١) جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٢٠٩ .

(٢) Quidi, L'Arabie Antéislamique p. 25.

(٣) غنيمة : الحيرة ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٤) أي أما في بحر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندهنا ،

(٥) ابن الأثير : ج ١ ص ١٧٣ ،

وبعث يستقدمه إليه ؛ فخلع النعمان سلاحه وما استطاع حمله ، ثم لحق بطيء — وكان متزوجاً منهم — فأبّت طيء معاوته خوفاً من كسرى ؛ فأخذ يطوف على قبائل العرب حتى نزل على بني شيبان بذي قار^(١) سرّاً ؛ فلقى هانيء بن مسعود الشيباني ؛ فاستجار به ، فأجاره ، ثم أودعه النعمان أهله وماله وتوجه إلى كسرى ، فلما وصل إلى حاضرة ملكه ، بعث إليه من قيده وحبسه وظل في السجن حتى توفي سنة ٦١٣ م .

ولى كسرى على الحيرة بعد وفاة النعمان إيّاس بن قبيصة الطائي — وكان من أشرف طيء وفصحائها المشهورين ، وله منزلة عظيمة عند ملك الفرس لبلائه الحسن في الدفاع عنه ولما أداه له من خدمات جليلة — ومع ثقة كسرى أبرويز به — فإنه لم يوله وحده على الحيرة ، بل جعل إلى جانبه حاكماً فارسياً^(٢) .

طلب كسرى أبرويز من إيّاس بن قبيصة بعد أن ولاه على الحيرة أن يرسل إليه ماخلفه النعمان من الدروع وغيرها ؛ فبعث إيّاس إلى هانيء بن مسعود الشيباني يطلب منه ودائع النعمان ، فأبى أن يحميه إلى طلبه ؛ فأرسل كسرى إلى بني شيبان أن يساموا ما تركه النعمان عندهم أو يعلن عليهم الحرب ، فاخترأوا الحرب ، ودارت المعركة بين إيّاس بن قبيصة ومعه جند الفرس ومن انضم إليهم من قبيلتي تغلب وإياد ، وبين بكر بن وائل يتقدمها هانيء بن مسعود الشيباني ، فحلت الهزيمة بالفرس . وتعرف هذه الواقعة بيوم ذي قار^(٣) .

كان لا تنصر العرب على الفرس في يوم ذي قار رنة فرح وسرور في بلاد العرب . ولا غرو فإن العرب أنفسهم اعتبروه بداية عهد جديد^(٤) . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع بهذا النصر الذي أحرزته قبيلة بكر ، قال : « هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبني انتصروا »^(٥) . ومما لا ريب فيه أن اندحار الفرس في هذه

(١) ما لبكر بن وائل قريب من الكوفة .

(٢) غنيمة : الحيرة ص ٢١٥ — ٢١٦ ، فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ١١٤ .

(٣) راجع ماورد عن هذا اليوم في ابن الأثير ج ١ ص ١٧١ — ١٧٤ وكتاب أيام العرب

ص ٦ — ٣٩ .

4. Nicholson, Literary of the Arabs p. 70.

(٥) ابن الأثير : ج ١ ص ١٢١ .

المعركة كان له أثره فيما بعد ، فقد مهد السبيل للمجاهدين من العرب في العهد الإسلامي ؛ فأحرزوا انتصارات كبرى على الساسانيين ^(١) .

ولّى إمارة الحيرة بعد إياس بن قبيصة رجل فارسي ، يقال له أزازبه . وهذا يدلنا على أن كسرى فارس رأى بعد واقعة ذي قار أن يوطد سلطانه في الحيرة عن طريق تعيين عمال من الفرس عليها . غير أن المناذرة مالبثوا أن استعادوا سلطاتهم على الحيرة ، فولى إمارتها المنذر بن النعمان أبي قابوس سنة ٦٢٨ م بعد أن أقصيت أسرته عن الملك . ومن الأسباب الرئيسية التي مهدت له سبيل إعادة سلطان آبائه ، تلك الفتن والثورات التي قامت في دولة فارس ، وكان لها أثرها البعيد في إضعاف كيان الفرس وتقويض أركان سيطرتهم . وقد ظل المنذر والياً على الحيرة حتى فتحها خالد بن الوليد ^(٢) .

ثانياً : مملكة الغساسنة :

لما هاجرت الأزد من بلاد اليمن بسبب ما حل بسد مأرب من الخراب ، استقرت إحدى قبائلها بجوار ماء اسمه غسان بالشام ، فنسبت إليه . وكانت بادية الشام أرضاً عربية من أقدم الأزمنة ، فوجد إليها بعض القبائل من البادية ، كما هاجر إليها الضجاعة وهم من ولد سليح بن عمرو بن حُلوان بن قضاعة ونزلوا بالبلقاء وظلوا بها إلى أن قدم عليهم الغساسنة ، فطالبهم الضجاعة بالإتاوة .

كان الروم إذ ذاك لا يهتمون بهجرة هذه القبائل ، إنما يوجهون عنايتهم إلى حراسة حدودهم الشرقية ، فعهدوا إليها بحراسة تلك الحدود ، وأقاموا سلسلة من الحصون والقلاع تأميناً للشام من غارات الفرس .

ظل الغسانيون يؤدون الإتاوة للضجاعة على كره منهم حتى تغلبوا عليهم وانفردوا بالسلطان ، وأنشأوا لأنفسهم دولة فيما هو معروف بالبلقاء وحوران ، عرفت بدولة الغساسنة واتخذوا بَصْرَى عاصمة لهم ^(٣) .

(١) غنيمة : الحيرة من ٢١٨ .

Quidi, L'Arabie Antéislamique p. 16 — 17.

(٢) غنيمة : الحيرة من ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٣) جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام من ١٨٤ .

لما احتاج الروم إلى معونة الفساسنة ضد الفرس ، حالفهم على أن يمدم الروم بأربعين ألفاً إذا هاجمهم العرب ، وأن يمدوا الروم بعشرين ألفاً إذا حاربهم الفرس .

* * *

وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في عدد ملوك هذه الدولة ، وفي مدة حكمها ؛ وإن ما ذكره بعضهم لا يخلو من الاختلاط والاضطراب لتناقضه ونقصه ومخالفته في بعض الأحيان لحوادث الدول المعاصرة . فيقول حمزة الأصفهاني^(١) : إن ملوك غسان كانوا اثنين وثلاثين ملكاً حكموا نحو ستائة سنة ، وذكر أبو الفدا^(٢) : تسعة وعشرين ملكاً تولوا الملك في دولة الفساسنة ، بينما ابن قتيبة^(٣) والمسعودي^(٤) لا يذكرا أن إلا أحد عشر ملكاً . ويرجع السبب في هذا الاختلاف إلى أن حياة الفساسنة كانت غير مستقرة ، كما أنهم اتخذوا أكثر من عاصمة ، ثم إن الروم كانوا ينظرون إليهم على أنهم حراس لحدودهم الشرقية ، فيدفعون لهم أجراً معيناً على حراسة هذه الحدود .

وقد حاول المستشرق الألماني نولدكا أن يوضح الغموض الذي أحاط بتاريخ دولة الفساسنة ؛ ففند الأخبار التي وردت عنها في المراجع العربية واليونانية والسريانية ، فظهر له أن ملوكها الذين عرفهم الروم لا يتجاوز عددهم عشرة ملوك ، حكم أولهم في آخر القرن الخامس للميلاد ، وآخرهم عند ظهور الاسلام ؛ وبذلك لا يتجاوز مدة حكمهم قرناً وبعض القرن^(٥) .

رأى الفساسنة تحت تأثير ما بينهم وبين البيزنطيين من علاقات أن يعتنقوا النصرانية ؛ غير أنهم لم يتبعوا المذهب المملكاني - مذهب الدولة الرومانية الشرقية - بل اعتنقوا المسيحية على للمذهب المنوفستي السائد في البلاد السورية^(٦) .

كان من أعظم أمراء الفساسنة الحارث الثاني بن جبلة (٥٢٩ - ٥٦٩ م)

(١) سبي ملوك الأرض والأنبياء ص ١١٥ - ١٢٢ .

(٢) المختصر في أخبار البشر . ج ١ ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) المعارف . ص ٣١٤ - ٣١٦ .

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر . ج ١ ص ٣٠ - ٣٢ .

(٥) جرجي زيدان . العرب قبل الاسلام ص ١٨٦ .

(٦) فيليب حتي . تاريخ العرب ج ١ ص ١٠٣ .

وقد بسط الامبراطور Justinian سلطته على جميع القبائل العربية في بلاد الشام ، كما أنعم عليه بلقب patricius and phylarch وهو أعلى رتبة بعد لقب الامبراطور نفسه^(١).

قضى الحادث أكثر أيام ملكه يقاتل في سبيل بيزنطة ويدأب على خدمة مصالحها ؛ فاشترك معها في قمع ثورة السامريين ، كما حارب المنذر بن ماء السماء أمير الحيرة لادعائه ملكية الطريق الممتد جنوبى تدمر^(٢) . وانتصر كسرى لأمير الحيرة وأوعز إليه سرّاً أن يتوغل في غزو سورية ، فأجابه إلى طلبه . وقامت الحرب بسبب ذلك بين الحيرة ودولة الغساسنة . ثم تقدم كسرى وحليفه المنذر في أراضي سورية وآسيا الصغرى وأوشكا على فتح القسطنطينية . ولما علم بذلك الامبراطور البيزنطى ، استنجد بالحارث بن جبلة وطلب منه أن يعاون قائده بليزاريوس في صد الفرس والمناذرة . فسار بليزاريوس على رأس الجيش الرومانى قاصداً بلاد الفرس ، وخلف الحارث وراءه . فلما وصل إلى كسرى نبأ تقدم بليزاريوس في بلاده ، أسرع في الرجوع إليها واضطرت حملة بليزاريوس إلى العودة من حيث أتت^(٣) .

لم يمض على هذه الغزوة زمن طويل حتى عاد الأميران العريبان الحارث ابن جبلة والمنذر بن ماء السماء إلى القتال ؛ فاشتبكوا في حرب طال أمدها وانتهت بواقعة أدت إلى دخول قنسرين^(٤) في حوزة الحارث بن جبلة بعد قتل المنذر بن ماء السماء ؛ وتعرف هذه الواقعة بيوم عين أباغ^(٥) .

ذهب الحارث بن جبلة في أواخر عهده سنة ٥٦٣ م إلى القسطنطينية لزيارة الامبراطور جستنيان وللاتفاق مع حكومته على أن يخلفه في الحكم ابنه المنذر ؛ فاحتفل امبراطور الروم باستقباله . وكانت هذه هى المرة الأولى التى زار فيها الحارث

(1) Hitti, History of the Arabs p. 79.

(٢) تقع تدمر في واحة بأواسط بادية الشام على طريق التجارة الممتد بين جنوب جزيرة العرب وشمالها .

(٣) جرجى زيدان . العرب قبل الاسلام ص ١٩٢ .

(٤) تقع بالقرب من حمص .

(٥) واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام .

عاصمة البيزنطيين ، فدهش مما رآه فيها من مظاهر العظمة والأبهة ، كما أعجبت حاشية قصر الروم برأى ذلك الشيخ العربي . غير أن الحارث لم يطب له المقام بها لبعدها عما ألفه من طلاقة البادية وبساطة المعيشة فيها ، ومن ثم عاد مسرعاً إلى بلاد الشام ^(١) . استطاع الحارث بن جبلة أثناء إقامته في القسطنطينية أن يظفر بتعيين يعقوب البردعي أسقفاً على الكنيسة السورية . وكان يعقوب هذا متحمساً في نشر مذهبه حتى إن الكنيسة المنوفستية السورية عرفت بعده باسم اليعقوبية ^(٢) .

لما توفي الحارث خلفه ابنه المنذر ، ولم يكدر يستتب له الأمر حتى اشتبك في حرب مع قابوس بن المنذر ملك الحيرة لا غارته على أراضي الغساسنة ؛ فأوقع به الهزيمة .

وقد حذا المنذر حذو أبيه في مناصرة المذهب المنوفستي فأدى ذلك إلى الإقلال من عطف بيزنطة عليه — وكانت تؤيد المذهب الملكاني — . وقد أثارت تلك السياسة الغساسنة ، ثم هدد عرب الحيرة تخوم الروم ، مما اضطرهم إلى استرضاء الأمير الغساني ؛ فدعاه الامبراطور البيزنطي لزيارة القسطنطينية ؛ فرحب المنذر بهذه الدعوة سنة ٥٨٠ م ، واستقبله الامبراطور Tiberius II استقبالا حافلا ، وأنعم عليه بالتاج ، ولذلك سماه بعض مؤرخي العرب « المنذر ملك العرب » .

وعلى الرغم من أن المنذر بن الحارث قد غزا في سنة ٥٨٠ م عرب الحيرة وانتصر عليهم ، فإن عمله هذا لم يمح ما أحاط به من شبهات الخيانة وعدم ولائه للروم ؛ فتسكر الامبراطور له ودبر مؤامرة للتخلص منه ، فألقى القبض عليه ، وأرسل مخفوراً إلى القسطنطينية ، ثم نفى منها إلى صقلية حيث توفي سنة ٥٨٢ م ^(٣) .

لم تكنف الحكومة البيزنطية بالقبض على المنذر ونفيه ، بل أتبعت هذا العمل بقطع الإتاوة التي كانت تعطيها سنوياً لدولة الغساسنة . فكان ذلك سبباً لخروج أبناء المنذر الأربعة على البيزنطيين بزعامة أخيهما الأكبر النعمان بن المنذر الغساني .

سادت الفوضى بلاد الغساسنة بعد أسر النعمان وتفككت عرى الوحدة في

(١) جرجي زيدان . العرب قبل الاسلام ص ٩٣ .

(٢) فيليب حتي . تاريخ العرب ج ١ ص ١٠٤ .

(٣) فيليب حتي . تاريخ العرب ج ١ ص ١٠٤ - ١٠٥ .

بادية الشام ، فصارت كل قبيلة تختار رئيسها بنفسها . وقد انتفع الفرس بتلك القوضى السائدة في بلاد الشام ، فأغار كسرى أبرويز عليها واستولى على بيت المقدس ودمشق (٦١٣ - ٦١٤ م) وبذلك ضعف أمر الفساسنة .

على أن الروم ما لبثوا أن نجحوا في استرداد بلاد الشام من الفرس سنة ٦٢٠ م ، وظهر من الفسانيين إذ ذاك جبلة بن الأيهم وبعد آخر أمراء البيت الفساني ، وقد اشترك مع الروم في واقعة اليرموك ^(١) التي كان النصر فيها حليف المسلمين من العرب .

٣ - مدن الحجاز

لم يكن هناك ببلاد الحجاز قبل الإسلام ما يسمى بالدولة العربية ، وإنما قام بها مدن لكل منها نظام سياسي ؛ ومن أشهرها مكة ، ويثرب ، والطائف .

مكة :

تعد مكة من أهم حواضر الحجاز وهي عبارة عن قرية في واد ضيق غير ذي زرع يحيط به الجبال من جميع الجهات ؛ ويروى أنها سميت بذلك لقلة مائها أخذاً من قولهم أمتك الفصيل ضرع أمه (أى امتصه) ، وقيل لأنها تملك الذنوب بمعنى أنها تذهب بها ويقال لها أيضاً « بكة » بإبدال الميم باء موحدة ، وقد ورد ذكرها بهذه الصورة في القرآن الكريم في قوله تعالى . (إن أول بيت وُضِعَ للناس للذي ببكة مبارك) ؛ وقيل مكة بالميم معناه الحرم كله ، وبكة المسجد خاصة ^(٢) .

* * *

كان العمالة أول من سكن مكة ، ثم خلفتهم قبيلة جُرهم اليمنية ، وفي عهدها قدم إلى مكة سيدنا إبراهيم مع زوجته هاجر وابنه اسماعيل ، وأصبح لها فيما بعد السيادة

(١) فيليب حن . تاريخ العرب ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) ياقوت . معجم البلدان ج ٨ ص ١٣٤ - ١٣٥ ، الألويسي . بلوغ الأرب في أحوال

العرب ج ١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

على البيت الحرام ، غير أن ولايتها لم يرعوا حرمة هذا البيت ، فكثرت في أيامهم البغى والفساد ، واعتصب كثير منهم مال الكعبة الذي كان يهدى إليها ، ويقال إن ماء زمزم نصب في عهدهم ، كما أن البئر نفسها زالت معالمة .

وبينا كانت جرهم مقيمة بمكة تفرق عرب اليمن بسبب سيل العرم . فهاجر ثعلبة ابن عمرو بن عامر إلى مكة هو وقومه : فرفضت جرهم أن تسمح له بالاقامة في هذه المدينة واشتبكت معه في قتال دام ثلاثة أيام ، انتهى الأمر فيه بهزيمتها .

ظل ثعلبة بن عمرو مقيماً بمكة حتى أصابته الحمى ، فرحل إلى الشام وولى أمر مكة وحجابه الكعبة ابن أخيه ربيعة بن حارثة بن عمرو وهو لحي وغرّف قومه بخزاعة . وقد انحاز إليهم بنو اسماعيل بن إبراهيم — وكانوا قد اعتزلوا الحرب التي دارت بين جرهم وثعلبة^(١) .

آلت ولاية مكة وحجابه الكعبة إلى عمرو بن لحي بعد وفاة أبيه وعلت مكانته بين العرب إلى حد أن قوله أصبح ديناً متبعاً لا يخالف . وكان عمرو بن لحي أول من أطعم الحجاج بمكة لحوم الإبل على الثريد ، كما قام بنصب الأصنام حول الكعبة وأحل عبادة الأوثان محل الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام^(٢) .

ظلت خزاعة تلى البيت الحرام بمكة نحواً من ثلثائة سنة ، وكانت قريش إذ ذاك متفرقة في بني كنانة حتى تزعمها قصي بن كلاب ؛ ووحد بين بطونها . ويذكر بعض المؤرخين عن طموح قصي إلى نصرة قريش وحرصه على تقلدها الرئاسة بمكة أن أباه كلاب توفي وتركه صغيراً مع أمه فاطمة بنت عمرو التي تزوجت ربيعة بن حرام وهو من قضاة — ثم رحلت مع زوجها إلى أرض قضاة ببلاد الشام وأخذت بصحبتهابنها قصي ؛ فلما بلغ قصي أشده تحدث إليه رجل من قضاة بقوله : « ألا تلحق بنسبك وقومك فإنك لست منا » ، فاستاء قصي من هذا الرجل وأخبر أمه بذلك الحديث ؛ فقالت له : « والله أنت يا بني خير منه وأكرم ، أنت ابن كلاب بن مرة وقومك عند البيت الحرام وما حوله » ، فصمم قصي على الخروج إلى قومه واللاحق بهم وكره الغربة في

(١) الأزرقي . أخبار مكة ج ١ ص ٤٢ — ٥١ .

(٢) الأزرقي . أخبار مكة ج ١ ص ٥٤ ، الفلقشندي . صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٢ .

أرض قضاة ، وما لبث أن سار إلى مكة ، وأقام بها وتزوج ابنة زعيم خزاعة حليل ابن حبشية بن سلول الذي كان يلى إذ ذاك أمر الكعبة ومكة ؛ وظل قصى مقياً معه حتى أنجب أولاده عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى .

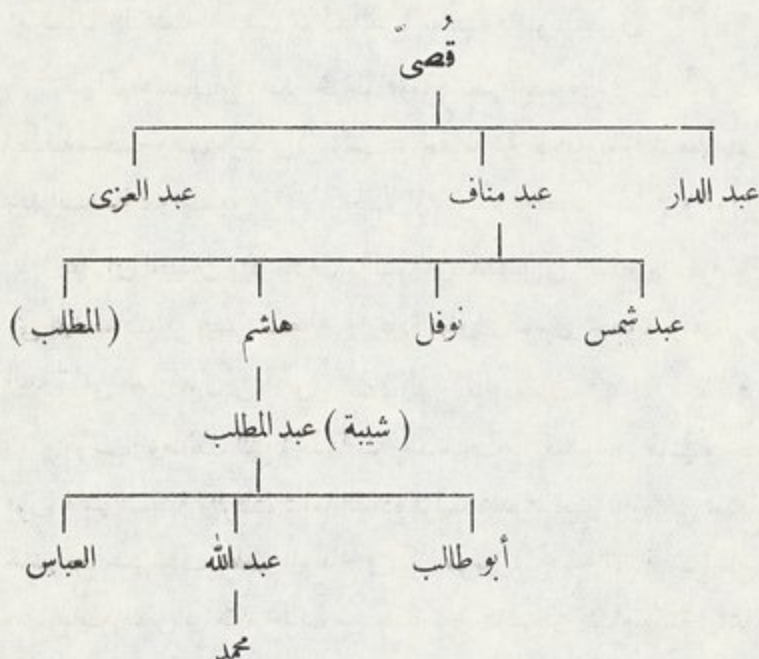
كان حليل يثق بابنته زوجة قصى ، فإذا ما أصابه المرض ، سلمها مفتاح الكعبة لتقوم بشؤونها بدلا منه ، وكانت بدورها تعطى المفتاح لزوجها حين يتعذر عليها الخروج من بيتها بسبب المرض .

ولما شعر زعيم خزاعة بدنو أجله ، دعا قصياً وعهد إليه بولاية البيت الحرام ، كما سلم إليه مفتاح الكعبة ؛ غير أن قبيلة خزاعة ما لبثت بعد وفاة زعيمها أن حالت بين قصى وبين الاشراف على شؤون البيت الحرام ، وأخذت مفتاح الكعبة من زوجته ؛ فبعث قصى إلى قريش يطلب منها مؤازرته ضد خزاعة ؛ فلبى القرشيون دعوته ، كما سارع القضاة إلى نجدة حين أرسل إليهم يدعوم لنصرته ويخبرهم بما قامت به خزاعة من الحيلولة بينه وبين ولاية البيت الحرام . وخرج قصى بمن انضم إليه من قريش وقضاة لمحاربة خزاعة بمنى ، فدار بين الفريقين قتال شديد ، ثم تداعوا إلى الصلح بعد أن تدخلت قبائل العرب بينهم ، واتفقوا على أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فيما اختلفوا فيه . ففرض بينهم ذلك الرجل بأن قصياً أولى بحجابه الكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصابه قصى من خزاعة وبني بكر موضوع ، وأن ما أصابت خزاعة وبني بكر من قريش وبني كنانة وقضاة ففيه الدية ، كما حكم لخزاعة بأن تظل في مساكنها بمكة . وبذلك أصبح قصى مسلطاً على قومه وأهل بيته ؛ فكان أول من ظفر بالملك من ولد كعب بن لؤى وساعد على رفع مكانة قريش بين العرب وازدياد نفوذها بمكة^(١) .

قام قصى بتقسيم مكة إلى رابع ، وزعها بين قومه ، وأبقى لكل فريق منهم منازلهم التي استقروا بها ؛ كما أنشأ دار الندوة ؛ وفيها كان يجتمع كبار القرشيين تحت رئاسته للتداول في شؤونهم ، ولم يكن يدخلها من قريش إلا من بلغ الأربعين من

(١) الأزرقي . أخبار مكة ج ١ ص ٥٦ - ٦٠ .

عمره ؛ ثم تصدى لإطعام الحجاج وسقايتهم على اعتبار أنهم ضيوف الله وزوار بيته ؛ وفرض على قریش خراجاً سنوياً يؤدونه إليه لينفق منه على إطعام فقراء الحجاج .



كان من أشهر أبناء قصي عبد الدار ، وعبد مناف . وقد ارتفع شأن عبد مناف في حياة أبيه ؛ وبلغ من الشرف درجة عظيمة ؛ فرأى قصي قبيل وفاته أن يخلفه ابنه الأكبر عبد الدار في رئاسة دار الندوة والحجابه واللواء والسقاية والرفادة حتى يصبح موضع تقدير قومه . فلما توفي قصي قام ابنه عبد الدار بهذه الأمور ، وتولاها من بعده أبنائه ؛ فنازعهم فيها أبناء عبد مناف بن قصي : عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل الذين رأوا في أنفسهم من النباهة والفضل ما جعلهم يشعرون بأنهم أحق من بنى عبد الدار بولاية الأمور في مكة وأجمعوا على أخذ ما بأيديهم من الوظائف .

وقد أدى ذلك إلى تفرق القرشيين ؛ فقال فريق منهم إلى بنى عبد مناف بن قصي ، كما رأى فريق آخر ألا ينزع من بنى عبد الدار بن قصي ما أسنده قصي إليهم . وعقد كل فريق منهم حلفاً مؤكداً على ألا يتخاذلوا ؛ فأحضر بنو عبد مناف ومن

تابعهم من قريش وهم : بنو الحارث بن فهد ، وأبند بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة جفنة مملوءة طيباً ، ثم غمسوا أيديهم فيها وتعهدواهم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسموا المطيبين .

أما بنو عبد الدار ، فقد أخرجوا ومن انضم إليهم من قريش وهم : مخزوم بن يقظة وجهم وسهم وعدى بن كعب ، جفنة مملوءة دما وفعلوا ما فعله بنو عبد مناف عند الكعبة ، وتعهدوا على ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً ؛ وسموا الأحلاف . على أن المطيبين والأحلاف ما لبثوا أن تداعوا إلى الصلح واتفقوا على أن يعطوا بنى عبد مناف بن قصي السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء ورئاسة دار الندوة لبنى عبد الدار بن قصي (١) .

وزعت الوظائف التي أخذها بنو عبد مناف بن قصي بين هاشم وأخيه عبد شمس فولى هاشم السقاية والرفادة ؛ أما القيادة فولىها عبد شمس وأبناءؤه من بعده (٢) . وكان هاشم بن عبد مناف يطعم الحجاج في كل موسم بما يجمعه من قريش من الأموال . ولما أصاب الناس في مكة جذب شديد ، خرج هاشم إلى الشام واشترى بما اجتمع لديه من ماله دقيقاً وأتى به إلى مكة وذبح الذبائح وصار يهشم الخبز لقومه ؛ فسمى هاشماً . وكان اسمه قبل ذلك عمرأ .

حدثت منافسة بين هاشم بن عبد مناف ، وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، سببها أن هاشماً كانت إليه الرفادة مع السقاية ، وعلت مكانته بين قريش لعنانيته بإطعام الحجاج وحمل الماء إليهم . وقد ساعده على ذلك ثروته ؛ فحسده أمية بن عبد شمس — وكان ذا مال — ورأى أن يطعم القرشيين كما يفعل هاشم ؛ لكنه عجز عن أداء هذا العمل ، فشمت به بعض القرشيين وعابوه ؛ فغضب أمية وازداد حقهده على هاشم ودعاه إلى الاحتكام إلى رجل من العرب ليحكم أيهما أعز نفراً وأكثر فضلاً ، كما أعلن أن من تكون عليه الغلبة يخرج خمسين ناقه سود الحديق

(١) ابن هشام . سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ١٤٢ — ١٤٤ ، ابن الأثير .

ج ١ ص ١٦٠ .

(٢) الأزرقي . أخبار مكة . ج ١ ص ٦٢ — ٦٣ .

لتنحدر بطن مكة وأن يجلو عن مكة عشر سنين ؛ فحكم بينهما الكاهن الخزاعي بأن هاشماً سبق أمية إلى المآثر ؛ وبذلك الحكم احتفظ هاشم بما ظفر به من شرف وفضل وأخذ الابل من أمية ، فنحرها وأطعم لحمها من حضر إليه من القرشيين ؛ وخرج أمية إلى الشام وظل بها عشر سنين . وقد أدى ذلك الأمر إلى قيام أول عداوة بين بني هاشم وبني أمية .

* * *

لما توفي هاشم خلفه أخوه المطالب في إقامة الرفادة والسقاية ؛ وكان ذا شرف وفضل في قومه ، وكانت قریش تسميه الفيض لسماحته وفيضه . وكان المطالب متآلفاً مع أخيه هاشم . وقد حافظ أبناؤهما على ذلك التآلف حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لم يفترق هاشم والمطلب في جاهلية ولا إسلام » .

خلف المطالب في السقاية والرفادة ابن أخيه عبد المطالب بن هشام ، فبقي عناية فائقة في إقامتها مما كان سبباً في ازدياد محبة العرب له وعلو شأنه بينهم . فظل يسقي الحجاج ويطعمهم حتى توفي ، فقام بأمر السقاية والرفادة من بعده العباس بن عبد المطالب . ولم يزل يتولاهما حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة سنة ٨ هـ ، فأبقاها في يده . كذلك وزعت بين بني عبد الدار ما خصهم من المناصب ؛ فقام عثمان بن عبد الدار بالحجابة ، وتولى أخوه عبد مناف رئاسة دار الندوة . أما اللواء ، فكان في بني عبد الدار كلهم ، يليه منهم ذوو السن والشرف .

لم يزل بنو عثمان بن عبد الدار يلون الحجابة حتى كان فتح مكة ، فتولاهما رسول الله من أيديهم وفتح الكعبة ودخلها ، وبعد أن خرج منها قال له العباس ابن عبد المطالب : بأبي أنت وأمي يارسول الله اعطنا الحجابة مع السقاية ؛ فأَنْزَلَ الله على نبيه : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها^(١)) ؛ فاستدعى الرسول عثمان ابن طلحة من بني عبد الدار ورد مفتاح الكعبة إليه ، وقال : « خذوها يا بني

أبى طلحة بأمانة الله سبحانه وأعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها من أيديكم إلا ظالم» ؛ فظلت حجابة الكعبة في بيته إلى اليوم^(١) .

كان لقريش مركز كبير بين القبائل العربية من جراء سيادتهم على الكعبة ، كما علت مكاتها بين العرب لعقدها حلف الفضول ؛ ذلك أن بعض قبائل قريش اجتمعت في دار عبد الله بن جدعان التميمي وتعاهدوا على أن ينصروا كل مظلوم بمكة سواء أكان من أهلها أو من سائر الناس ، وأن يكونوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، وسمى هذا الحلف حلف الفضول لأنهم تحالفوا على رد الفضول إلى كل مقيم بمكة . وقد دخل في هذا الحلف بنو هاشم والمطلب و بنو أسد بن عبد العزى وزهرة ابن كلاب وتيم بن مرة ؛ ولم يشترك فيه بنو عبد شمس و بنو نوفل بن عبد مناف ، وشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) .

كذلك تمتعت قريش بمركز ممتاز بين العرب لاتساع متاجرها ؛ فكان تجارها يخرجون من مكة بتجارتههم في قوافل عظيمة . فيذكر الطبري أن قافلة من هذه القوافل بلغت ألفاً وخمسمائة بعير . وكانوا يذهبون بتجارتههم في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام . وقد امتازت رحلاتهم التجارية بتمتعها بالأمن لأنهم أهل حرم الله وولادة بيته ، فلا يتعرض لهم الناس بسوء ، على حين كان غيرهم من العرب مهدداً بالإغارة عليهم .

وقد جنى القرشيون من تجارتهم ثروات كبيرة وأصبحوا في سعة من العيش حتى امتن الله عليهم^(٣) بذلك في قوله : (لثيلاف^(٤) قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف وليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف^(٥)) .

(١) الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ٦٥ - ٦٦ ، الفلقشندي : صبح الأعشى ج ٤

ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٢) ابن هشام : ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(٣) الفلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٤ .

(٤) الاثيلاف : الأمان .

(٥) سورة قريش آية ١ .

ويقول الله تعالى : (أو لم تُمْسِكُنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ^(١) .

كذلك أدى اشتغال القرشيين بالتجارة إلى ارتقاء معاملهم ، فاحتلوا بشعوب مختلفة وقفوا على كثير من مدينتها وأحوالها الاجتماعية ، كما تعاملوا مع أمم أجنبية تتكلم بلغات تختلف عن لغتهم مما اضطرهم إلى تعلمها ^(٢) . وقد أتاح كل ذلك الفرصة أمام كثير من رجالهم لإظهار مواهبهم في الحروب والسياسة بعد ظهور الإسلام .

يثرب :

كانت يثرب من بين مدن الحجاز المتحضرة . وقد ورد ذكرها بهذه التسمية في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الأحزاب آية ١٣ : (وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) . وهي تقع إلى الشمال من مكة في مستو من الأرض ، ويحدها من الشمال جبل أحد . وتمتاز معظم أراضيها بخصوبة التربة ^(٣) ؛ وكان لذلك أثره في انتشار الزراعة بها .

كان العمالة أول من سكن يثرب ؛ ثم تغلب عليهم بعض القبائل اليهودية واستوطنوا بها . يحدثنا صاحب كتاب الأغاني ^(٤) عن هجرة اليهود إلى يثرب بقوله : « كان ساكنوا المدينة في أول الدهر قبل بنى إسرائيل قوما من الأمم الماضية يقال لهم العماليق ، وكانوا قد تفرقوا في البلاد ، وكانوا أهل غزو و بغي شديد . . . وكان ملك الحجاز يقال له الأرقم ينزل ما بين تيماء وفدك . . . ، فبعث موسى بن عمران إلى العماليق جيشاً من بنى إسرائيل وأمرهم أن يقتلهم جميعاً إذا ظهرُوا عليهم ولا يستبقوا منهم أحداً ؛ فقدم هذا الجيش الحجاز وأظهرهم الله على العماليق . » ، فكان هذا بداية استيطان اليهود بيثرب ^(٥) .

(١) سورة القصص آية ٥٧ .

(٢) أحمد أمين . فجر الإسلام ص ١٧ — ١٨ .

(٣) ياقوت . معجم البلدان ج ٧ ص ٤٢٤ — ٤٢٥ والقلقشندي . صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٨٥

(٤) أبو الفرج الأصفهاني . ج ١٩ ص ٩٤ .

(٥) Margoliouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam p. 59 — 60.

على أن هجرة اليهود إلى يثرب لم تظهر بشكل واضح إلا في القرنين الأول والثاني الميلاديين على أثر الحروب التي شنها الرومان ضد اليهود بسوريا والتي انتهت بطردهم منها وتشتتهم في أنحاء متفرقة ، فهاجر منهم بنو النضير وبنو قريظة إلى شمال جزيرة العرب^(١) ، وأقاموا يثرب .

اختلط اليهود بالعرب المقيمين يثرب وتأثروا بنظمهم الاجتماعية ، فعاشوا معيشة قبلية . وبلغ من تأثرهم بالعرب أن استحالت أسماءهم إلى أسماء عربية ، ونبت من بينهم بعض الشعراء كالسهمول بن عادية .

كان لليهود أثر بعيد المدى في الحياة الاقتصادية يثرب ، فقبضوا بأيديهم على الناحية المالية فيها وازدادت ثروتهم من وراء اشتغالهم بالتجارة وعنايتهم بمرافقها ، كما ركزوا اهتمامهم في فلاحة الأرض في ضيعاتهم الخاصة ، وبرعوا إلى جانب ذلك في الفنون الميكانيكية وصياغة الذهب وصناعة الأسلحة والآلات الزراعية^(٢) . وقد اشتهرت قبيلة بني قينقاع اليهودية بصفة خاصة بالصياغة حتى إن أحد أسواق يثرب عرف باسمهم^(٣) .

ظل بنو النضير وبنو قريظة مقيمين يثرب حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج الوثنية^(٤) بسلب سيل العرم الذي خرب بلادهم . ولم يزل هؤلاء العرب بها حتى هاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا به ونصروه وسموا الأنصار^(٥) .

* * *

كانت العلاقة بين اليهود ، والأوس والخزرج حسنة أول الأمر ، فاشتركوا معهم

(1) Margoliouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam p, 60

(2) Lammens, Le Berceau de L'Islam. p. 154.

(٣) القرظي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٠٥ .

(4) Margoliouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam. p. 60.

(٥) القلقشندي : تلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان . ورقة ٤٩ .

في قوافلهم التجارية ، كما اشتغلوا بالزراعة في أرضهم . يقول السهمودي ^(١) عن العلاقات بين اليهود والأوس والخزرج : « أقامت الأوس والخزرج بالمدينة ووجدوا الأموال والآطام ^(٢) والنخيل في أيدي اليهود ووجدوا العدد والقوة معهم ، فمكثوا ما شاء الله ، ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم جواراً وحلفاً ، يأمن به بعضهم من بعض ، ويمتنعون به من سواهم ؛ فتعاقدوا وتحالفوا وتعاملوا ، فلم يزالوا على ذلك طويلاً ، وصار للأوس مال وعدد ؛ فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوا أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم ؛ فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذي كان بينهم » . ولما استبدت القبائل اليهودية يثرب بالأوس والخزرج ، استنجدوا بالغساسنة ، فقدموا لنجدتهم أنفة من تسلط اليهود على بني عمهم في يثرب ^(٣) .

كان الأوس والخزرج على وفاق في بداية عهدهم ، ثم وقعت بينهما حروب طويلة ، اشتركت فيها القبائل العربية ، وكان النصر في أغلب الأحيان محالفاً للخزرج حتى اضطرت الأوس أن تسعى إلى محالفة قريش لتكون عوناً لها على الخزرج . لكن قريشاً كانت أحرص من كل من هاتين القبيلتين ، فلم ترد الدخول في حرب لا تعود عليها بفائدة . لذلك نجد الأوس تعقد حلفاً مع بعض القبائل اليهودية يثرب ؛ تحالفت بني قريظة وبني النضير . ولما بلغ الخزرج نبأ تحالف الأوس مع هاتين القبيلتين اليهوديتين أرادت أن تتأكد من أنهما لن يساعدا الأوس عليها ، فأرسلت إليهم تستوضح موقفهم ، فأخبرهم اليهود أنهم لا يرغبون في الحرب . لكن الخزرج رغم ذلك قالت لليهود : « أعطونا رهائن وإلا فلا نأمنكم » ، فأعطوهم أربعين غلاماً من بينهم ، ثم مالبت أن خيرتهم بين الجلاء عن يثرب أو قتل الغلمان ، فأثروا الخروج من ديارهم . غير أن كعب بن أسد القرظي حملهم على العدول عن عزمهم مضجياً بالرهائن في سبيل بقائهم يثرب ؛ فقتل الخزرج الغلمان . وكان لهذا الحادث أسوأ الأثر في نفوس اليهود ، فجاهروا بحلفهم مع الأوس واشتركوا معهم في محاربة الخزرج ،

(١) وقاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١ ص ١٢٥ .

(٢) الآطام : جمع أطم وهي بيوت من حجارة .

(٣) الفلفشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩٤ .

والتقى الفريقان ببُعث^(١) ، حيث وقعت بينهما حرب عرفت بحرب بخار يثرب أو بخار الأوس والخزرج لقتل الغلمان ، انتهت الأمر فيها بانتصار الأوس ، ثم تصالح الفريقان واتفقا على إقامة حكومة تعمل على استقرار الأمور في يثرب ، وأن يكون عبد الله ابن أبي بن سلول الخزرجي والياً عليهم . وبينما كانوا يتأهبون لذلك هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب ؛ فخضع الجميع له وعدلوا عن تولية عبد الله بن أبي الذي اضطر إلى الدخول في الإسلام بعد أن اعتنقه قومه ، وصار على رأس المنافقين في المدينة وإليه يجتمعون^(٢) .

الطائف :

كانت الطائف تسمى وجاً نسبة إلى وج بن عبدالحى أحد العالقة الذين سكنوها؛ وتقع على بعد اثني عشر فرسخاً شرق مكة على مرتفع من الأرض ؛ لذلك أصبحت مصيفاً لأهل مكة . وتمتاز بخصوبة تربتها حتى قيل : إنها بقعة من الشام انتقلت إلى الحجاز ، كما اشتهرت ببساتينها وحدائقها الرائعة^(٣) التي كان يزرع بها كثير من الفواكه مما يشابه فواكه الشام ؛ وهي إلى جانب ذلك طيبة الهواء وبها مياه جارية^(٤) .

وقد زاد موقع الطائف الطبيعي من أهميتها كمركز تجارى ، فيمر بها طريق القوافل الممتد من جنوب بلاد العرب إلى شمالها ، ومن العراق إلى اليمن . وكان هناك صلات قوية بين أهالى الطائف ومكة . فالأثرياء من قريش كان لهم عقار في الطائف ، كما أنهم كانوا يقرضون أهاليها ما يحتاجون إليه من مال ؛ فيحدثنا الأزرقي^(٥) أن العباس بن عبد المطلب كان له كرم بالطائف ، وأنه كان يداين أهل هذا البلد ويأخذ

(١) من أعمال قريظة يثرب .

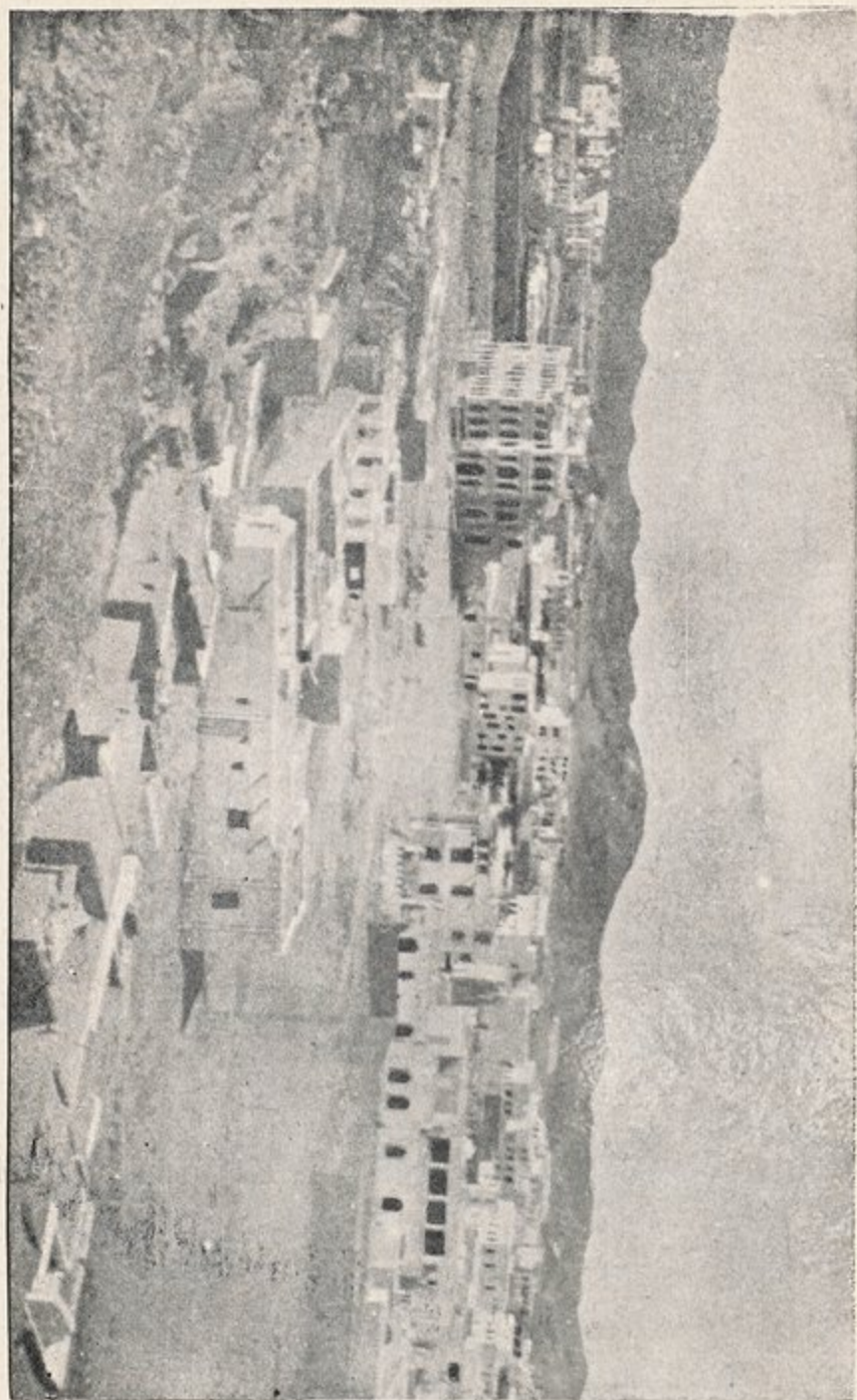
(٢) أبي هو مالك بن الحرث بن عبيد ، واسم أم عبيد سلول .

(٣) السهوي : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١ ص ١٥٢ — ١٥٥ .

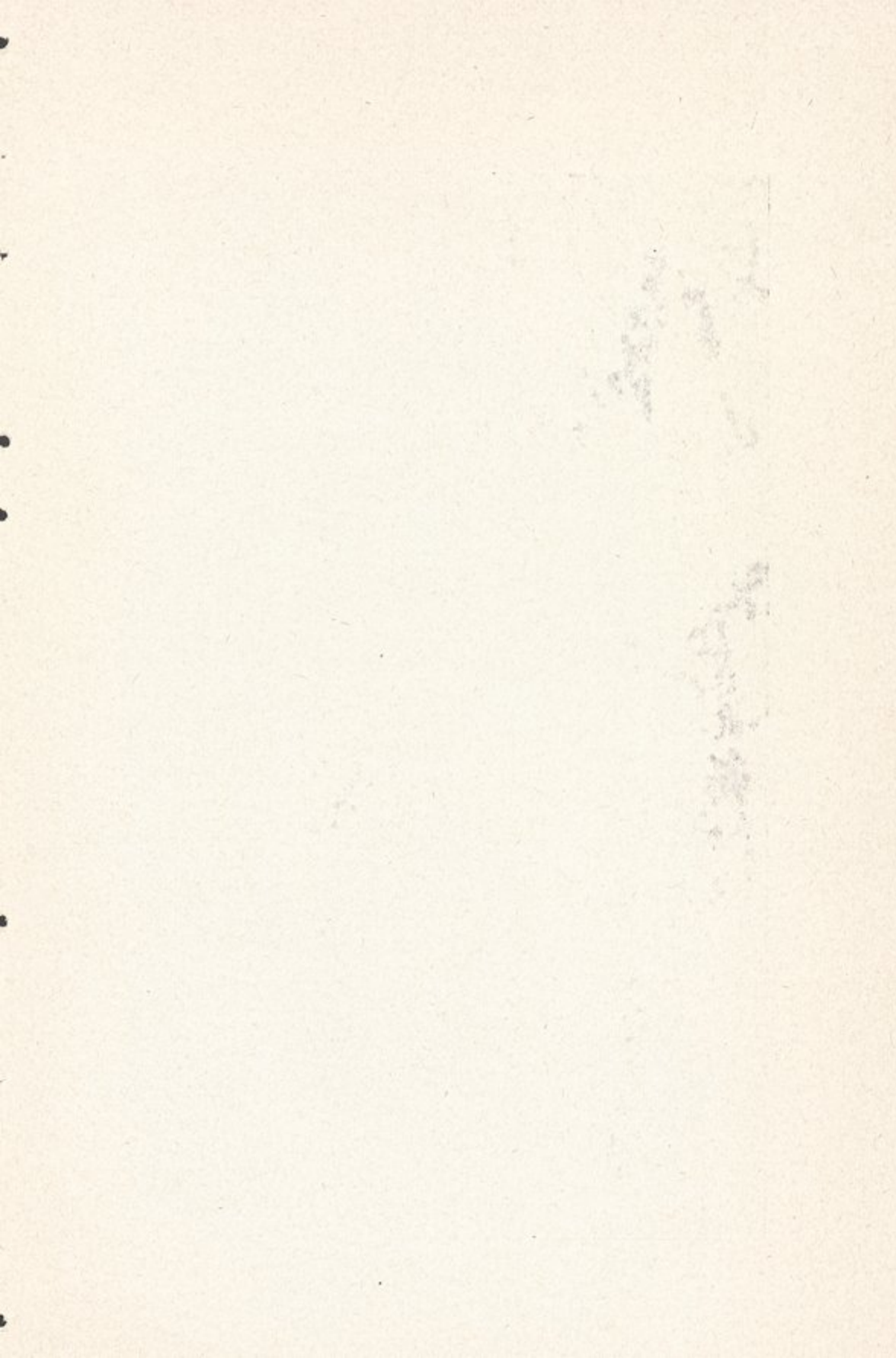
(٤) Lammens, Le Berceau de L'Islam. p. 93.

(٥) الفلأشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .

(٦) أخبار مكة : ج ١ ص ٦٥ .



مدخل مدينة الطائف من ناحية مكة



منهم الزبيب ويستقيمه الحجاج في موسم الحج . وفضلا عن ذلك فإنه كان بين هاتين المدينتين علاقات تجارية .

استفاد أهالي الطائف من الزراعة والتجارة ، فزادت ثروتهم وصارت بلدهم تقرن بمكة ، فيقال المكثين والقريتين . وهذه التسمية وردت في قوله تعالى في سورة الزخرف (آية ٣١) : (وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) .

كانت قبيلة ثقيف تقيم بالطائف ؛ ويروى المؤرخون في سبب إطلاق اسم ثقيف على هذه القبيلة ، أن قسيّاً بن منبه بن بكر بن هوازن لما رحل من وادي القرى إلى وِج التي عرفت باسم الطائف قابل زعيمها عامر العدواني ، وطلب منه أن يزوجه إحدى بناته ، فزوجه إياها وأنجب منها أولاداً ثم توفيت ، فتزوج أختها ، واستقر مقامه بهذا البلد وغرس بأرضه بعض العيدان التي أخذها من عبور يهودية كان قد أقام عندها بوادي القرى . فلما أثمرت العيدان ، قال أهالي وِج : قاتله الله كيف ثقف عامراً حتى بلغ منه ما باغ ، وكيف ثقف هذه العيدان حتي جاء منها ما جاء ؛ فسمى ثقيفاً من يومئذ^(١) ، وتكاثر نسله وأصبحت قبيلته في سعة من العيش مما جعل أنظار من حولهم من العرب تتجه إليهم . لذلك رأت ثقيف أن تبني سوراً يكون حصناً لهم وأطلقوا عليه الطائف لإطافته بهم ؛ ومن ثم عرفت هذه المدينة بالطائف^(٢) .

كانت ثقيف تنقسم إلى طبقتين ، تتمثل الأولى في بني مالك ، وتعرف الأخرى بالأحلاف . فلما أثرى الأحلاف وكثرت خيلهم حمّوا^(٣) لبني مالك حمى من أرض بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ؛ فاستاء بنو نصر من ذلك وحاربوا الأحلاف ؛ وكان يتزعم بني نصر عفيف بن عوف بن عباد النصرى ثم خلفه اليربوعي . أما رئيس

(١) البكري . معجم ما استعجم ج ١ ص ٧٦ — ٧٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٦

ص ١٢ — ١٣ .

(٢) ياقوت . معجم البلدان ج ٦ ص ١٤ .

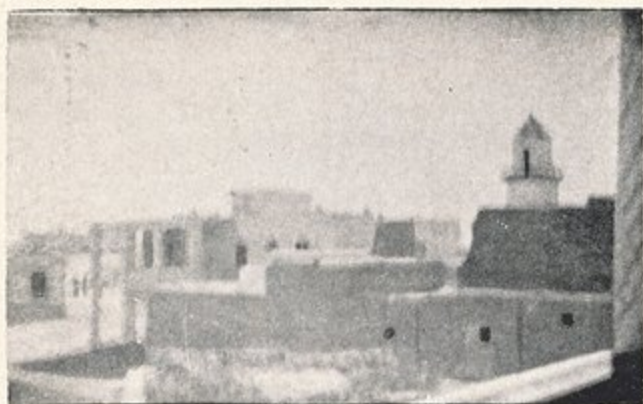
(٣) يقال حمى فلان الأرض يحميها أى جعل الناس لا تقرب إليها ؛ والحمى : موضع فيه كلاً يحمى من الناس . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحمى على الناس حمى كما كانوا في الجاهلية يفعلون . (حاشية رقم ٣ . الاسلام السياسي ج ١ ص ٢٧٣) ،

الأحلاف فهو مسعود بن معتب . فلما قامت الحرب بين بني نصر والأحلاف ، انتهز هذه الفرصة بنو مالك — ورئيسهم جندب بن عوف — لضغائن كانت بينهم وبين الأحلاف ، فخالقوا بني يربوع ضد الأحلاف . ولما علم الأحلاف بذلك اجتمعوا وقاتلوا بني مالك وحلفائهم من بني نصر في يوم الطائف . وانتهى الأمر في هذه المعركة بانتصار الأحلاف وإخراج بني مالك إلى واد وراء الطائف ؛ وقتل من بني مالك وبني يربوع عدد كبير ؛ ثم رأى بنو مالك إزاء القتال المستمر بينهم وبين الأحلاف أن يسعوا إلى مخالفة بعض القبائل ؛ فخالقوا دوس وخثعم وغيرهما على الأحلاف ، كما خرج زعيم الأحلاف مسعود بن معتب إلى المدينة ليتغى الحلف من الأنصار على بني مالك . فلما قدم على أحيحة بن الجلاح الأوسى ، نصحه بمصالحة بني مالك ، وزوده سلاح ومؤن ، كما أعطاه غلاماً يحمي بناء الآطام بالمدينة ؛ فبني لمسعود بن معتب أطماً . فكان أول أطم بني بالطائف ، ثم تلاه بناء آطام أخرى فيما بعد . واستقرت الأمور منذ ذلك الوقت بين بني مالك والأحلاف ؛ ولم تقم بينهم حروب تستحق الذكر^(١) .

٤ — الحياة الدينية عند العرب

شاعت الوثنية في بلاد العرب قبل الإسلام ؛ وقد قامت هذه الوثنية على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة كالأرض والسماء والنجوم والكواكب . ولما كان العرب يعتقدون بوقوعهم في حياتهم تحت تأثيرها ؛ لذلك حرصوا على إرضائها اجتلاباً لخيرها . فاتخذوها أشكالاً مختلفة من بيوت وأشجار وأحجار مصورة تمثل إنساناً أو حيواناً ، وأخرى غير مصورة . وصاروا ينظرون إليها على أنها رمز للقوة الطبيعية ، ومن ثم أصبحت معبودات لهم . وكانوا يطوفون حولها ويتاجرون عندها ويعتبرون المكان الذي فيه المعبود حرماً ، يحرم الاتيان فيه بأشياء معينة .

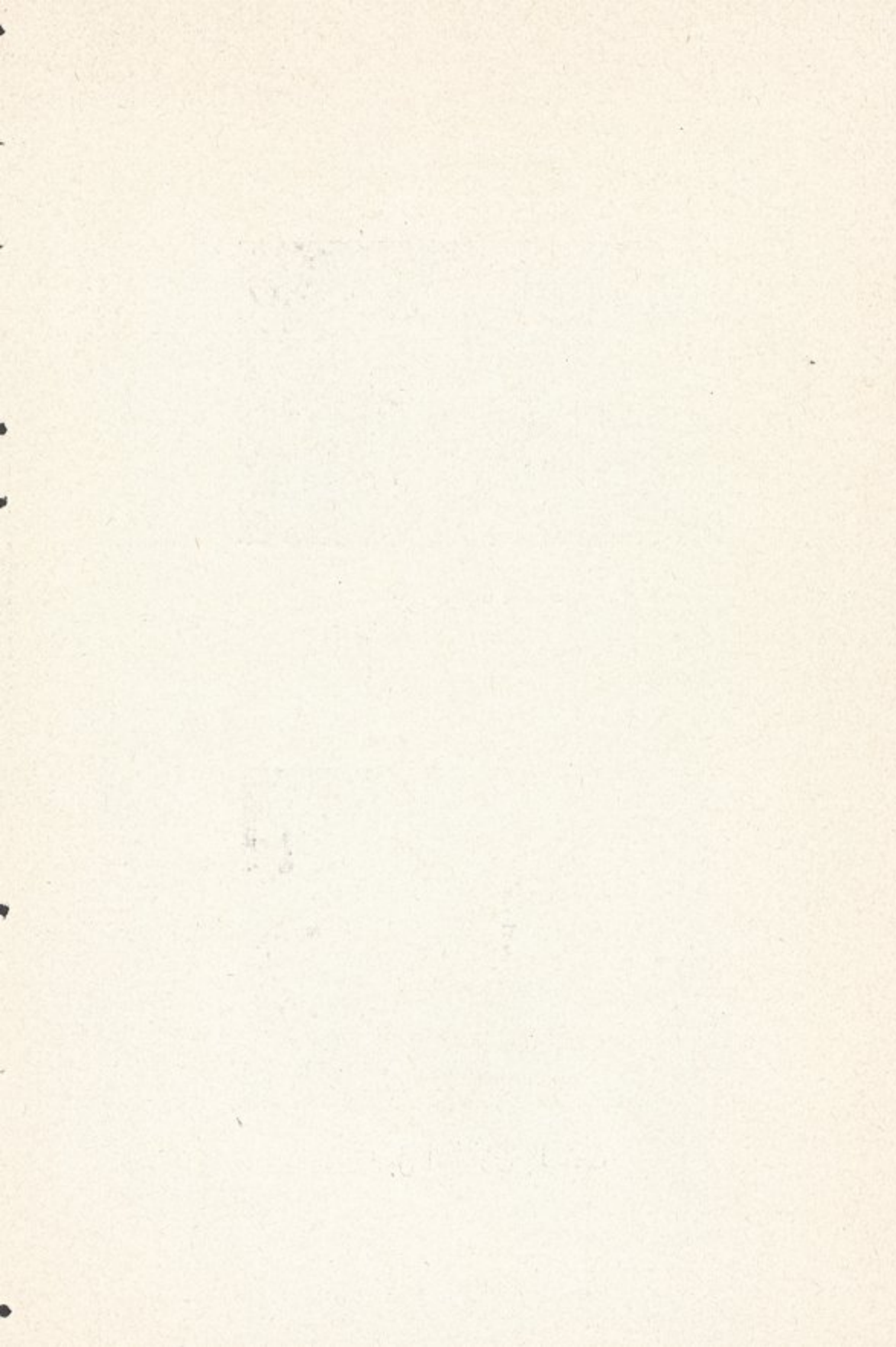
وكان البدو يؤدون الطقوس الدينية لمعبوداتهم تحت تأثير التقاليد الموروثة



حی جروه بالطائف



جبل السکاری بالطائف



في قبائلهم ، دون أن يعرفوا حقيقتها ، كما أنهم كانوا قليلي الاهتمام بأمور دينهم .
وليس هناك ما يدل على وجود شعور ديني عميق لديهم .

وقد قيل إن عمرو بن لُحَيّ الخزاعي لما ساد قومه بمكة وأصبحت له السيادة على الكعبة ، سار إلى مدينة البلقاء بالشام على أثر مرض أصابه ، فرأى أهلها يعبدون الأصنام ؛ فقال لهم : ما هذه الأوثان الذي أراكم تعبدون ؟ قالوا : هذه أصنام نعيدها ، نستنصرها ، فننصر ، ونستسقي بها فنسقي ، فقال : ألا تعطوني منها صنما ، فأسير به إلى أرض العرب عند بيت الله الذي تغد إليه العرب ، فأعطوه صنما ، يقال له هَبَل ، فقدم به مكة فوضعه عند الكعبة^(١) .

كان بعض القبائل يعبدون أصناماً معينة ، عرفت بالأصنام الخاصة لانفرادهم بعبادتها ، منها : وَدّ ، سُوَاع ، يَغُوث ، يَعُوق ، نَسْر ؛ فاتخذت قبيلة كلب وأحياء قضاة وَدّاً بدومة الجندل ؛ وكان تمثالا لرجل يتقلد سيفاً وبين يديه حربة ، واتخذت هَذِيل (ابن مدركة) سِوَاعاً بأرض ينبع . وكان يَغُوث لَمَذْحِج . واتخذت هَمْدَان يَعُوق بقرية خَيْوَان إلى الشمال من صنعاء . أما نَسْر فكان للحِمْير ، وهو صنم مقام بصنعاء^(٢) .

وكان يعبد هذه الأصنام الخمسة قوم نوح ، وقد ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز بقوله : (قال نوح ربّ إنهم عصوني واتبعوا من لم يرده ماله وولده إلا خساراً ومكروا مكراً كُبَّاراً وقالوا لا تدرن ألهتكم ولا تدرن ودا ولا سِوَاعاً ولا يَغُوث وَيَعُوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلّالاً)^(٣) .

أما الأصنام العامة فكان يعظمها كثير من القبائل : ومنها اللات والعزى ومناة . وقد ورد ذكرها في القرآن في سورة النجم (آية ١٩) : (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذّكر وله الأثني ، تلك إذا قسمة ضيزى) .

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢١١ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢١٢ .

(٣) سورة نوح آية ٢١ .

وكانت اللات صخرة مربعة بالطائف عليها بناء ولها حي وحرم يقصده العرب ويقدمون لها الذبائح . وكان حجابها بنى مغيث من ثقيف ^(١) .

أما العزى ؛ فكانت عبارة عن شجرة بوادى نخلة إلى الشرق من مكة . وكانت منى أعظم الأصنام عند القرشيين ، فكانوا يزورونها ويقدمون لها الذبائح ، كما خصصوا لها موضعاً على مثال حرم الكعبة ^(٢) .

وكانت مناة عبارة عن حجر أسود ، أقيم له معبد فى قديد على الطريق بين مكة ويثرب . وقد عظمها العرب وشاعت عبادتها بصفة خاصة عند الأوس والخزرج وغسان وخزاعة ^(٣) ؛ ولم تزل على ذلك حتى خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة لفتح مكة سنة ٨ هـ ، فعهد إلى على بن أبى طالب بهدمها .

وقد اتخذت قريش « هُبَل » ^(٤) وهو صنم على صورة إنسان ، كما اتخذوا أيضاً « أسافا » و « نائلة » ؛ ووضعوا كل واحد منهما على ركن من أركان بيت الله الحرام . فكان الطائف إذا طاف بدأ بأساف فقبَّله وختم طوافه به . كذلك نصب القرشيون على جبل الصفا صنماً يقال له « مجاور الريح » وعلى جبل المروة صنماً يقال له « مطعم الطير » . فكانت العرب إذا حجت البيت سألت قريشاً عن تلك الأصنام ، فيقولون لهم : نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى ^(٥) .

لم يتخذ العرب جميعهم الوثنية ديناً لهم قبل الاسلام ، بل عبد بعضهم النجوم والكواكب . وقد ظهرت هذه الديانة فى حران وبلاد البحرين ، كما انتشرت فى البادية . ويروى أنه كان بمكة رجل يسمى « أبو كبشة » عبد نجما اسمه الشَّعْرَى ودعا قريشاً إلى عبادته . وقد ذاعت هذه العبادة بين بعض قبائل لخم وقريش وخزاعة .

(١) الأشمي : المستطرف فى كل فن مستظرف ج ٢ ص ٩٧ ، فيليب حتى : تاريخ العرب

ج ١ ص ١٣٧ .

(٢) السكبي : كتاب الأصنام ص ١٨ — ١٩ .

(٣) السكبي : كتاب الأصنام ص ١٣ .

(٤) هبل . كلمة آرامية معناها البخار والروح (فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ١٣٩)

(٥) يعقوبى : تاريخ يعقوبى ج ١ ص ٢١٢ .

ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا قريشاً إلى عبادة الله أطلقوا عليه ابن أبي كبشة لأنه خالفهم في عبادتهم ، كما خالفهم من قبل أبو كبشة في عبادة الشعري التي عنها الله بقوله (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى)^(١) ، وخصها بالذكر لانتشار عبادتها بين بعض القبائل العربية^(٢) .

كذلك عرفت في الحيرة عبادة القمر^(٣) . وقد أشار الله تعالى إلى تلك العبادة بقوله : (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)^(٤) .

كما شاع في بلاد اليمن عبادة الشمس يدلنا على ذلك ما ورد في القرآن الكريم عن ملكة سبأ : (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ، فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)^(٥) .

ومن الديانات التي اعتنقها بعض العرب ، الزرادشتية . وقد عرفت بذلك نسبة إلى زردشت Zoroaster — أحد فلاسفة الفرس — وهي ديانة رمزية تتخيل أن في العالم قوتين تتنازعان هما : قوة الخير وقوة الشر^(٦) .

وقد اتخذ أتباع هذه الديانة النار رمزاً لعبادتهم كسائر الفرق المجوسية ؛ فكانوا يعبدون النار لا على أنها العنصر المحرق ، بل على أساس أنها مصدر النور الذي هو أساس الخير . وصارت لهم أماكن توقد فيها النيران باستمرار تعرف بمعابد النار .

وقد ظهرت فرق المجوسية ومن بينها الزرادشتية في بلاد الفرس ؛ ومنها انتقلت

(١) سورة النجم آية ٤٩ .

(٢) الألوسي : بلوغ الأرب في أحوال العرب ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٣) غنيمة : الحيرة ص ٣٠ .

(٤) سورة فصلت آية ٣٧ .

(٥) سورة النحل آية ٢٣ .

(٦) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٧٧ ، أحمد أمين : فجر الاسلام ص ١٢٢ — ١٢٤

إلى شرق بلاد العرب . يقول ابن قتيبة^(١) عند كلامه على أديان العرب في الجاهلية : « وكانت الجوسية في تميم منهم زرارة وحاجب ابن زرارة . . . وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة » .

كان هناك بجانب هذه الديانات في بلاد العرب ، اليهودية والنصرانية ؛ فانتشرت اليهودية في خيبر ويثرب ووادي القرى وفدك وتيماء . وهذه النواحي من أحسن واحات الجزء الغربي من جزيرة العرب ، وتسيطر على طرق مكة الممتدة إلى سوريا^(٢) . كما دخلت هذه الديانة بلاد اليمن على يد أسعد أبو كرب أحد ملوك حمير^(٣) وذاعت بين كثير من أهلها ، بل تعصب لها ذو نواس بعد أن آل إليه مملك حمير في أوائل القرن السادس الميلادي ، فلبجأ إلى العنف والشدة في سبيل حمل المسيحيين من أهالي نجران على اعتناقها^(٤) . كذلك ظهرت اليهودية في بني كنانة وبني الحارث بن كعب ، ولعلها وصلت إليهم من مجاورة اليهود لهم في يثرب وخصير^(٥) .

نشر اليهود في البلاد التي نزلوها بجزيرة العرب تعاليم التوراة من بعث وحساب ، كما كان لهم أثر كبير في اللغة العربية ، فأدخلوا عليها كلمات كثيرة لم يكن يعرفها العرب ومصطلحات دينية لم يكن لهم بها علم^(٦) .

كذلك دخلت المسيحية بلاد العرب ، فانتشرت بين الغساسنة كما دان بها معظم أهالي الحيرة^(٧) . وقد أنشأ نصارى الحيرة البيع والأديرة ؛ ومن أشهرها : دير هند الكبرى — أم عمرو بن المنذر — ، ودير هند الصغرى^(٨) . وكان النعمان (الثالث الملقب بأبي قابوس بن المنذر الرابع) ملك الحيرة يخرج إلى هذين الديرين في كل عيد ،

(١) كتاب المعارف

(2) Lammens, L'Arabie Occidentale avant L'Hégire p. 54.

(٣) ابن خلدون : ج ٢ ص ٥٣ .

(٤) جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص ١٢٧ .

(٥) الألوسي : بلوغ الأرب في أحوال العرب ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٦) أحمد أمين : فجر الاسلام ص ٣٠ .

(٧) غنيمة : الحيرة ص ٣٠ — ٣١ .

(٨) جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٢٠ .

يقول البكري^(١): « كان النعمان يركب في كل عيد ومعه أهل بيته عليهم حل الديباج المذهب وعلى رءوسهم أكاليل الذهب وفي أوساطهم الزناوير المفضضة و بين أيديهم أعلام فوقها صلبان ، فإذا قضوا صلواتهم انصرفوا إلى مستشفرة في النجف وكنيسة دير هند الكبرى ودير هند الصغرى وغيرها من الديارات » .

كان للمسيحية أيضاً أتباع كثيرون في جنوب جزيرة العرب ، فقد تسربت إليها مبادئ هذه الديانة على يد بعض الرسل السوريين ؛ فأوفد الامبراطور Constantius سنة ٣٥٦ م أول سفارة مسيحية إلى الجنوب برئاسة ثيوفلس . وكان من أهم البواعث التي حملت الامبراطور البيزنطي على إنفاذ هذه السفارة التنافس بين الفرس والروم على توطيد نفوذهم في جنوب جزيرة العرب^(٢) . وقد نجح ثيوفلس في إنشاء ثلاث كنائس ، منها كنيسة بظفار وأخرى بعدن^(٣) .

كانت نجران أهم موطن للمسيحية في جنوب بلاد العرب ، فقد نقل إليها هذه الديانة على المذهب النوفستي رجل ورع من سوريا اسمه فيميون حوالي سنة ٥٠٠ م^(٤) كما أسس بها كنيسة النوفستية^(٥) . وكان بهذه المدينة بيعة بناها بنو عبدالدار بن الديان الحارثي على مثال الكعبة وسموها كعبة نجران^(٦) .

وكان يتولى شئون نجران رؤساء ثلاثة : السيد والعاقب والأسقف ؛ فالسيد يُعهد اليه تنظيم القوافل ووسائل النقل وإدارة العلاقات الخارجية ، والعاقب كان يتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية ، فعليه إدارة الأمور الداخلية الدنيوية^(٧) . أما الأسقف ، ففضلاً عن إشرافه على المدارس الدينية التابعة لطائفته ، فإنه يشترك في

(١) معجم ما استعجم . ج ١ ص ٣٦٦ .

(٢) Hitti, History of the Arabs p. 61.

(٣) Margoliouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam p. 63.

(٤) Hitti, History of the Arabs p. 61.

(٥) Philby, The Background of Islam. p. 112.

(٦) ياقوت . معجم البلدان ج ٨ ص ٢٦٢ — ٢٦٤ .

(٧) أحمد أمين . فجر الاسلام ص ٣١ .

أعمال الحكومة ، فلا تصدر أى قرار دون أخذ رأيه ^(١) .

كذلك كانت بعض قبائل قريش تدين بالمسيحية ، نخص بالذكر منها بنى أسد ابن عبد العزى — الذى شاركهم مواليهم المعتقون معتقداتهم ^(٢) — ، كما اعتنق هذه الديانة أيضاً بنو امرئ القيس بن زيد مناة من تميم ، وبنو تغلب من ربيعة وبعض قبائل قضاة ^(٣) .

وعلى الرغم من أن اليهودية والنصرانية لم تنتشرا انتشاراً واسعاً فى بلاد العرب ، فإنهما أثرتا فى الوثنية العربية تأثيراً كبيراً . ويتجلى هذا التأثير فى ظهور أفراد مستنيرين شكوا فى هذه الوثنية فتركوها وتصدّوا للبعض ، واكتفى فريق ثالث بفعل الخير وتجنب الشر ، وأخذ هذا الفريق يبحث عن ديانة إبراهيم الخليل — وكان حنيفاً يوحد الله ويعبده — . فلما اهتموا إليها اعتنقوا هذه الديانة . ومن هؤلاء ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى الذى قال عنه ابن هشام ^(٤) : « وأما زيد بن عمرو فوقف ولم يدخل فى يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والذبائح التى تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموءودة ، وقال أعبد رب إبراهيم » .

ومنهم أيضاً : كعب بن لؤى بن غالب ، وهو أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم . وكان يجمع قريشاً ويطلب منهم التفكير فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ويذكرهم بالموت وأحواله واليوم الموعود وأحواله ، ويبشّرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا من أوضح البراهين على تمسكه بدين إبراهيم عليه السلام وأخذه بالحنيفية ^(٥) .

(1) Lammens, Le Berceau de L'Isiam. p. 253.

(2) Lammens, L'Arabie Occidentale avant L'Hégire p. 37.

(3) البعقوبى . تاريخ البعقوبى ج ١ ص ٢١٤ ، الألوسى . بلوغ الأرب فى أحوال العرب

ج ٢ ص ٢٦٤ .

(4) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ٢٤٤ .

(5) الألوسى . بلوغ الأرب فى أحوال العرب ج ٢ ص ٣١١ .

وقد سمي هذا الفريق من العرب بالحنفاء نسبة إلى لفظ حنيف وهو دين إبراهيم عليه السلام الذي أشار إليه الله تعالى في هذه الآيات ^(١) : (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهْدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة ، قال هذا ربي ، هذا أكبر ، فلما أفلت ، قال يا قوم إني برىء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) . وقال الله تعالى في سورة آل عمران (آية ٦٧) :

(ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) .

وقال الله تعالى في هذه السورة أيضاً (آية ٩٥) :

(قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) .

البَابُ الثَّانِي

ظهور الدعوة الإسلامية

١ - بعثة الرسول

٢ - الدعوة الإسلامية بمكة وموقف قريش منها

الباب الثاني

ظهور الدعوة الإسلامية

١ — بعثة الرسول

كان محمد من نخبة بني هاشم وأشرف العرب بدواً وحضراً ، وأفضلهم بيتاً . نشأ يتيماً ؛ فقد توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو حَمَلٌ في بطن أمه آمنة بنت وهب ، ثم توفيت أمه وله من العمر ست سنين وثلاثة أشهر ، فكفله جده عبد المطلب ابن هاشم ؛ وكان يحله ويتوسم فيه الخير ، ويدعه يجلس على فراشه ، ذلك أنه كان يفرش لعبد المطلب بفناء الكعبة ، فلا يقرب أحد فراشه حتى يأتي رسول الله — وهو غلام — فيتخطى رقاب أعمامه ؛ فيقول لهم عبد المطلب : « دعوا ابني إن لابني هذا شأناً »^(١) .

لما مات جده ، كفله عمه أبو طالب بن عبد المطلب وشمله برعايته وعطفه ، وخرج به إلى الشام في تجارة وهو في الثانية عشرة من عمره ؛ فرأى أبو طالب ومن معه من آيات نبوته ما زاده حرصاً عليه ؛ وحين التقى به بحيرا الراهب في بلدة بُصْرَى لمح فيه علامات النبوة وطلب من أبي طالب أن يرجع به لئلا تراه اليهود فيلحقون به شراً^(٢) .

وعلى الرغم من صغر سن محمد في ذلك الوقت ، فإنه استفاد كثيراً من الرحلات التجارية التي خرج فيها مع عمه وظل يخرج بالتجارة إلى بلاد الشام واليمن ويأكل من ثمرة عمله وكسب يده حتى ذاع بين الناس حسن أخلاقه وأمانته . ولما سمعت به السيدة خديجة بنت خويلد التي كانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة ، عرضت عليه أن يخرج في تجارة لها إلى الشام مع غلامها مَيْسَرَةَ ؛ فرأى ميسرة من صدق حديثه

(١) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ٩٩ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٨ .

(٢) المقرئ . إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والخفدة والمتاع ج ١ ص ٧ — ٨ .

وأمانته ويسر معاملته وعلو شأنه ما أعجبه ، فلما عاد إلى سيدته أخذ يمتدحه ويثنى عليه ، فرغبت خديجة في التزوج به لما رجته في ذلك من الخير ؛ فقبل الرسول أن يتزوجها بعد موافقة أعمامه .

عاش محمد مع السيدة خديجة على أتم وفاق . ولم يفكر في الزواج بغيرها حتى توفيت ، لأنها كانت خير من عاونه في بداية حياته . وقد تحدث الرسول عن ذلك بقوله : « آمنت بي حين كفر بي الناس ، وصدقتني حين كذبنى الناس وأعطتني مالها حين حرمنى الناس ^(١) » .

كان الرسول يعتنق دين الحنيفية — وهو دين إبراهيم — الذى دان به كثيرون من العرب الذين تنبّهت عقولهم إلى انحطاط الوثنية ، ويخلو بغار حراء ^(٢) ، فيقيم فيه بعض الليالى ، ثم يرجع إلى أهله فيتزود بالطعام ويعود ثانية إلى الغار ليقضى به ليالى أخرى يتحنث فيها ^(٣) .

لما بلغ الرسول الأربعين من عمره ، نزل عليه الوحى وهو يتعبد بغار حراء يوم الاثنين ١٧ من رمضان ، وذلك أن جبريل عليه السلام أتاه ، فقال له : اقرأ ، قال : لست بقرأى ، فضمه إلى صدره ضمة قوية ، ثم أطلقه ، وقال له : اقرأ ، قال : لست بقرأى ، فقال له فى المرة الثالثة : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) ^(٤) . فكانت هذه الآية أول ما نزل من القرآن .

لم يعرف الرسول فى بادئ الأمر حقيقة هذه الحالة التى شاهدها وهو يتعبد فى غار حراء ، فعاد إلى زوجه خديجة وهو يرتجف وقال : قد خشيت على نفسى ؛ فهبدأت من روعه وقالت : كلا أبشر فوالله لا يُخزىك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق

(١) جاد المولى : محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل .

(٢) يشرف جبل حراء على مكة من شرقها ، ويرى البيت الحرام من أعلاه ، وفيه

الغار الذى كان يتعبد به الرسول صلى الله عليه وسلم (القلقشندي : ج ٤ ص ٢٤٦)

(٣) المقرئى : امتاع الأصماع ج ١ ص ١٢

(٤) سورة العلق آية ١



غار حراء بمكة المكرمة

الحديث وَتَحْمِلُ الْكَلَّ^(١) وتقرى الضيف وتُعين على نوائب الدهر^(٢). «
 مكث الرسول فترة من الزمن بعد أن جاءه جبريل بغار حراء لا يرى شيئاً
 وفتر عنه الوحي ؛ فاعتم لذلك وصار يذهب إلى جبال مكة شوقاً إلى مشاهدة وحى الله
 إليه ، ثم ظهر له الملك الذى جاءه أولاً بين السماء والأرض وبشره أنه رسول الله
 حقاً ، فلما رآه تهيّب منه ورجع إلى داره وقال : دثرونى ، دثرونى ؛ فأنزل الله تعالى :
 (يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبُّكَ فَكْبَرُ ، وَثِيَابُكَ^(٣) فَطَهِّرْ) فكانت الحالة الأولى
 التى رآها الرسول بغار حراء حالة نبوة وإيحاء ، ثم أمره الله تعالى فى هذه الآية أن
 ينذر قومه ويدعوهم إلى الله عز وجل ، فأخذ يفضى بالدعوة الإسلامية للمختصين به
 كزوجته خديجة وابن عمه على بن أبى طالب ومولاه زيد بن حارثة الكلبي ، ثم
 استجاب له أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة القرشى التيمي ؛ فأزره فى الدعوة إلى دين
 الله وصدّقه فيما جاء به . فأسلم على يديه عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ؛
 والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ؛ وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن
 عبيد الله ؛ وتلاه هؤلاء بعض رجالات قريش كأبى عبيدة عامر بن الجراح ، والأرقم
 ابن أبى الأرقم عبد مناف — وكان النبی يستخفى فى داره^(٤) من قريش ، وقد أسلم
 فيها جماعة كثيرة —^(٥) ، وعثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحرث بن المطلب بن
 عبد مناف ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ، وجعفر بن أبى طالب ؛
 كما أسلم من غير القرشيين خباب بن الأرت من بنى تميم ، وعبد الله بن جحش ،
 وصهيب مولى عبد الله بن جدعان وكثيرون غيرهم ، كذلك استجاب لدعوة النبی نفر
 غير قليل من طبقة قريش الظواهر التى كانت تتألف من بطون قريش المستضعفة
 وحلفائها^(٦).

(١) الكَلَّ ، العناء أو الثقل الذى يتكلف الرجل حمله (حاشية رقم ٦ . المقرئى :

امتناع الأسباع ج ١ ص ١٣)

(٢) النبهانى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية . ص ٣٩

(٣) سورة المدثر آية ١

(٤) كانت تقع على جبل الصفا

(٥) المقرئى : امتناع الأسباع ج ١ ص ١٥ — ١٨

(٦) ابن هشام : سيرة النبی صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ٢٦٩ — ٢٧٤

ظل الرسول ثلاث سنين يدعو إلى الإسلام سراً كل من يثق فيه ويطمئن إلى استعداده النفسي لقبول مبادئه ؛ وكان يصلي هو وأتباعه خفية في شعاب مكة^(١) إلى أن أمره الله بإظهار دينه فيما أنزل عليه من الآيات (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفييناك المستهزئين^(٢) .) وقوله : (وأنذر عشيرتك الأقربين واخلض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون^(٣)) . فهذه الآيات كانت بمنزلة إعلان الدعوة الإسلامية ودعوة الناس إلى الإسلام .

جهر الرسول بأمر ربه بعد نزول هذه الآيات ، وأعلن الدعوة إلى وحدانية الله . وقد لجأ في ذلك أول الأمر إلى طريقة النداء التي كانت متبعة عند قريش ؛ فصار إلى جبل الصفا بظاهر مكة ؛ ونادى كل بطن من بطون قريش باسمها . ولما اجتمعوا إليه قال لهم : « إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ، ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله . » ؛ فقال له أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا^(٤) ؟ . فأنزل الله في أبي لهب وزوجه : (تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد^(٥)) .

واصل الرسول الجهر بالدعوة رغم مالتى في بداية الأمر من معارضة كبار القرشيين له ، الذين آثروا البقاء على دينهم القديم خشية أن يفقدوا مكانتهم بين العرب إذا ما أيدوا الدعوة الإسلامية .

(١) ابن هشام : ج ١ ص ٢٧٥

(٢) سورة الحجر آية ٩٤

(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤ — ٢١٦

(٤) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ١٨٤

(٥) سورة المسد

٢ - الدعوة الإسلامية بمكة وموقف قریش منها

لما بلغ القرشيين ما أكرم الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، راعهم ذلك وكبر عليهم . ولم ينكروا عليه شيئاً من دعوته حتى عاب آهتهم وسفه أحلامهم ، فأظهروا استياءهم من جهره بالدعوة إلى وحدانية الله خشية القضاء على عبادة الأوثان التي كان وجودها في الكعبة مصدراً هاماً لثرائهم ؛ فعملوا على مناهضته وعادوه . لكن الله صان رسوله بعمه أبي طالب الذي كان شريفاً في قومه ، مطاعاً فيهم ؛ فصدّهم عنه .

لما رأى القرشيون أن أبا طالب عم الرسول لم يتعرض لدعوته ؛ بل ظل يعطف عليه ويحرص على صد كل أذى عنه ، سار إليه فريق من أشrafهم ، يسألونه أن يكف عنهم رسول الله ، وقالوا له : « إن ابن أخيك قد سب آهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخل بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه . » فرد عليهم أبو طالب رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه ؛ ومضى رسول الله ينشر دعوته ^(٢) .

ذاعت دعوة الرسول بين أهالي مكة ، وكثر التحدث عنه بين القرشيين ، وصار يحرص بعضهم بعضاً عليه ، ثم استقر رأيهم على أن يشكوه إلى عمه أبي طالب لعله ينصرف عن التعرض لمعبوداتهم ؛ فذهب إليه وفد منهم وقالوا له : « يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استهينناك من ابن أخيك ، فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله » ، ثم انصرفوا عنه ؛ فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، وبعث إلى الرسول وحديثه عما قاله قومه ؛ فظن أنه قد ضعف عن نصرته ومؤازرته ، وقال له : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٨

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٢٧٧

ما تركته » ، فقال له أبو طالب : « اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لأسليمك لشيء أبداً^(١) » .

واصلت قريش سياستها في مناهضة الدعوة الإسلامية ، فهدت إلى بعض أفرادها بمهاجمة المسلمين في قبائلها وإلحاق الأذى بهم ليفتنوهم عن دينهم . ولما رأى أبو طالب ما أصاب بني هاشم والمطلب من أذاهم ، دعاهم إلى عدم التعرض للرسول ؛ فأجابوا طلبه^(٢) .

على أن قبيلة قريش لم تعدل عن موقفها إزاء سيدنا محمد رغبة منها في المحافظة على نظامها وكيانها ؛ وتحقيقاً لهذه الغاية مَنَّوه بتوليته الملك عليهم إذا كف عن دعوته ومهاجمته أو ثألهم ؛ لكنه رد عليهم بقوله : إن الله بعثني رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فإن قبلوا مني ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم^(٣) » .

لما رأى القرشيون أن جداهم للرسول لم يُجِدْهم نفعاً ، ولم يضعف من نشاطه في نشر الدعوة الإسلامية ، استعانوا عليه بأحبار اليهود في يثرب ، فذهب إليهم بعض القرشيين وطلبوا منهم أن يدلوا برأيهم في الرسول ؛ فقالوا لهم : سلوه عن ثلاثة ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يجب فهو متقول ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، وعن رجل طواف ، وعن الروح^(٤) .

وقد قيل إن هذه الأسئلة لما أُلقيت على سيدنا محمد لم يجب عليها من فوره ، ففرحت قريش ، ثم أنزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم أصحاب الكهف ، وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين ، وقال في الروح : (ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) .

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٢٧٨

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٢٨١

(٣) النهائي : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٤٥

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٣٤١

لما علمت قريش بإجابة الرسول على الأسئلة التي وجهها إليه أحبار اليهود ، استاءت واشتد تعرضها لمن آمن به ، فأقبل سفهاء أهل مكة من الكفار على المسلمين يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم حتى إن أبا جهل بن هشام بن المغيرة مرَّ بسُمية أم عمار بن ياسر وهي تعذب ، فطعنها بجريرة أصابت منها مقتلاً . وكان أبو بكر الصديق إذا مر بأحد من العبيد يعذب ، اشتراه وأعتقه ؛ ومنهم بلال وعامر ابن فُهيرة^(١) . وكان كفار قريش يضر بون المسلمين ويضعون الصخور العظيمة على صدورهم في شدة الحر ، فلم يزدحم ذلك إلا إيماناً ؛ هذا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً ، سرا وجهاراً ، لا يصدده عن ذلك صاد ، ولا يأخذه في الله لومة لأثم^(٢) .

لما رأى الرسول ما أصاب أصحابه من الاضطهاد ، أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة لما كان يعهده في ملكها من العدل والتسامح ؛ وقد سبقهم عثمان بن عفان ومعه زوجته السيدة رقية بنت الرسول ، وتبعه المسلمون في الفرار من مكة . فخرج أحد عشر رجلاً وأربع نسوة متسللين إلى الشعيبة^(٣) . فركبوا سفينتين لبعض التجار إلى بلاد الحبشة . وخرجت قريش في آثارهم ، فلم يدركوا منهم أحداً^(٤) .

على أن بعض المهاجرين المسلمين إلى بلاد الحبشة ما لبثوا أن أزمعوا العودة إلى مكة حين شاع بينهم نبأ دخول قريش في الإسلام ، فلما قدموا إليهم لم يجدوا ما وصلهم عن إسلام أهل مكة غير حقيقي ، واشتد عليهم قومهم ولقوا منهم كثيراً من الأذى . فأذن لهم الرسول في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية ، فلاقوا في خروجهم مشقة عظيمة وتعنيفاً شديداً من قريش . وقد تابع المسلمون في الهجرة من مكة إلى الحبشة . فهاجر إليهم ثانياً من

(١) النباني : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٤٦

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٨

(٣) الشعيبة : مرقاً مكة ومرسى سفنها قبل جدة (حاشية رقم ٤ : كتاب إمتاع الأسماع

للمقرئ ص ٢٠)

(٤) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ١٨٨

الرجال ثلاثة وثمانون ، ومن النساء ثمانى عشر امرأة ؛ فأكرمهم نجاشى الحبشة وأمنهم على حياتهم^(١) .

لاشك فى أنه كان لهذه الهجرة أثر كبير فى نشر الإسلام وترغيب الناس فيه ؛ فقد ذاع بين العرب أن فريقاً من القرشيين هاجروا إلى الحبشة فراراً بدين تلقوه عن نبي بمكة ، وبذلك سمع عن الدين الإسلامى من لم يسمع به من قبل ، كما أنه كان خروج هذه الجماعة أثر فى تخفيف حدة عداؤ قومهم ، إذ رأوا فريقاً منهم مضطهداً ، أودى فى دينه حتى اضطر أن يهاجر به إلى مكان بعيد .

وقد اضطرت قريش حين علمت بأمر هذه الهجرة ، إذ رأت أن الإسلام قد بلغ فى نفوس أهله مبلغاً كبيراً ، وأن كثيراً من الناس سيسارعون إلى الدخول فيه حين يرون أن وجودهم بالحبشة سينجيهم من عدوان قريش ، هذا إلى أنه إذا ما ازداد عددهم وتلاحقوا إلى الحبشة أصبح فى استطاعتهم الوقوف فى وجه قريش .

لما رأت قريش أن المسلمين استقروا بأرض الحبشة ، بعثت فى أثرهم وفداً محملاً بالهدايا والتحف يطلب من نجاشى الحبشة ردهم إلى مكة . وكان من أعضاء هذا الوفد عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، فلم يجبههم إلى ما طلبوا فوشوا إليه أن المهاجرين يقولون فى عيسى قولاً عظيماً ؛ فاستدعى المسلمين إلى مجلسه وزعيمهم جعفر ابن أبى طالب ؛ فقال : ما تقولون فى عيسى ؟ ، فتلا عليه جعفر صدرأً من سورة (كهيعص) ؛ فبكى النجاشى ، وقال : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ؛ فرجع وفد قريش خائباً^(٢) .

وهكذا لم تنجح وفادة قريش ؛ فبقى هؤلاء المهاجرون فى الحبشة حتى طلب النبي من النجاشى — بعد أن استقر له الأمر فى المدينة — أن يسمح لهم بالعودة إلى وطنهم ، فأذن لهم بمفادرة بلاده . فعاد كثير منهم وظل بعضهم مقيماً بالحبشة إلى السنة السابعة للهجرة^(٣) .

(١) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ١٩١ — ١٩٢

(٢) ابن هشام . سيرة النبي ج ١ ص ٣٥٩ — ٣٦٠

(٣) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ١٩٢

و بينما كان هناك فريق من المسلمين مهاجراً بالحبشة ، ظل الرسول مقياً بمكة يدعو إلى الله ، معرضاً نفسه لعداوة قريش وخصومتها . وكان أشد القرشيين عداوة للرسول أبو جهل بن هشام بن المغيرة وأبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب وعقبة بن أبي معيط . فلما أسلم حمزة بن عبد المطلب في هذه الفترة ، كفف القرشيون عن بعض ما كانوا ينالون من الرسول لا اعتقادهم أن حمزة سيصدهم عنه إذا ما حاولوا التعرض له . كذلك كان لإسلام عمر بن الخطاب في ذلك الوقت أثر كبير في تقوية شأن المسلمين بمكة . فكانوا قبل إسلامه لا يستطيعون الصلاة عند الكعبة . فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عندها وصلى معه المسلمون ، وأصبح من اليسير على المسلمين أن يجهروا بتلاوة القرآن ، ولم يكونوا قبل ذلك يستطيعون الجهر به ، كما دخل في الإسلام كثير من أهل مكة اقتداءً بحمزة وعمر^(١) .

لما بلغ قريشاً إكرام النجاشي للقادمين عليه من المسلمين ، استاءت من ذلك ولجأت إلى وسيلة تؤذى بها محمداً وأتباعه ، فاتفقوا على أن يكتبوا فيما بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على ألا يعاملوا بني هاشم وبنى عبد المطلب في بيع ولا يتاجرون معهم ولا يكلموهم ولا يحالسونهم ولا يزوجهم ولا يتزوجون منهم حتى يسلموا إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ؛ وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة ، توكيداً على أنفسهم^(٢) .

كان من أثر هذه المقاطعة أن انحاز بنو المطلب وبنو هاشم إلى شعب أبي طالب بشرق مكة وظلوا مقاطعين ثلاث سنين ، لقوا فيها كثيراً من العناء ؛ فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، ولا يصل إليهم القوت الضروري إلا خفية ؛ وأخيراً أخذت الحمية والرأفة نفرأ من القرشيين ، خرجوا إلى بني هاشم وبنى المطلب وأمروهم بالعودة إلى مساكنهم ؛ وبذلك تقضت صحيفة المقاطعة^(٣) .

(١) المقرئى . امتاع الأسباع ج ١ ص ٢٤ — ٢٥

(٢) الطبرى . تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٧٤ ، النبهانى . الأنوار المحمدية من الواهب

اللدنية ص ٤٧

(٣) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ١٩٤

فقد الرسول بعد حادث المقاطعة بقليل عمه أبا طالب وزوجه خديجة ؛ فتألم لفقدما في عام واحد وسماه عام الحزن ، واشتد أذى قريش له بعد وفاة عمه ، وقال : « ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » ؛ ذلك أنه لم يكن في عشيرته وأعمامه حامياً له ولا مدافعاً عنه غيره ^(١) .

رأى الرسول بعد أن نالت قريش منه وتجرات على إلحاق الأذى به بعد وفاة عمه أبي طالب ، أن يلجأ إلى بلد آخر غير مكة ، ينشر فيها دعوته ، فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة يلتبس من ثقيف النصر لأنهم كانوا أخواله ، ويدعوهم إلى عبادة الله . فأقام بالطائف عشرة أيام ، دعا خلالها سادة ثقيف وهم عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب بن عمرو بن عمير إلى نصرته والقيام معه على من خالفه ؛ فلم يجيبوه ، وخافوا على أحدائهم أن يتأثروا بدعوته ؛ وطلبوا منه الخروج من بلدهم ، وأغروا به سفاهم ؛ فصاروا يرمونه بالحجارة ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج في رأسه ؛ ثم انصرف الرسول من الطائف عائداً إلى مكة دون أن يستجيب له أى فرد من أهالى ذلك البلد .

ولما وصل الرسول إلى حراء عائداً من الطائف ، بعث رجلاً من خزاعة إلى المطعم بن عدي ليُجبره حتى يبلغ رسالة ربه ؛ فأجاره ودخل رسول الله مكة وعادوا نشر الإسلام بين أهلها ^(٢) . ولم يمض غير قليل حتى أُسرى رسول الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ببית المقدس ، حيث عرج به من الصخرة المقدسة ^(٣) إلى سدره المنتهى ^(٤) . يقول الله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) ^(٥) . وفرضت عليه الصلوات الخمس تلك الليلة ^(٦) .

(١) المقرئى . امتاع الأسماع ج ١ ص ٢٧

(٢) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ١٩٥ — ١٩٦

(٣) ابن فضل الله العمري . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ١ ص ١٣٣

(٤) النبهاني . الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٥١

(٥) سورة الاسراء آية ١

(٦) المقرئى . امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٩

لما رأى النبي أن قريشاً لازالت تعمل على مناوآته ؛ فكر في التحول عن مكة. فصار كلما اجتمعت قبائل العرب في موسم الحج يقدم نفسه اليهم ويدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ؛ ويقول لهم : من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي ^(١). ومن هذه القبائل : بنو عامر ، وغسان وبنو فزارة ، وبنو مرة ، وبنو حنيفة ، وبنو سُلَيم ، وبنو عُبس ، وبنو نصر ، وكنَذه ، وكلب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عُدْرة ؛ فلم يستجب منهم أحد ^(٢). ويقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ بكنذه ، فدعاهم إلى الإسلام ، ثم أتى كلباً ، ثم أتى بنى حنيفة ، فدعاهم إلى الله ؛ فلم يكن أحد من العرب أقبح ردّاً عليه منهم ، ثم أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله ؛ فقال له رجل منهم : « أرايت إن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ » فقال له الرسول : « الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء » ^(٣).

كان الأوس والخزرج يسمعون من حلفائهم يهود المدينة بنى قريظة والنضير أن نبياً سيبعث ويتوعدونهم به إذا حاربهم ؛ فلما قدموا لزيارة البيت الحرام في السنة الحادية عشرة من البعثة ، رأوا الرسول يدعو الناس إلى الله ، فلاحظوا أمارات الصدق لآئحة عليه ؛ وقال بعضهم لبعض : والله هذا الذي توعدكم يهود به ، فلا يسبقنكم إليه. ثم انصرفوا إلى بلدهم .

ولما قدم بعض الأوس إلى مكة يطلبون محالفة قريش ضد قومهم من الخزرج ، أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام ؛ فقال أحدهم وهو إياس بن معاذ : هذا والله خير مما جئنا له . ثم عاد وفد الأوس إلى المدينة دون أن يعتقدوا حلفاً مع قريش ^(٤).

وفي موسم الحج التالي ليوم بُعثت خرج الرسول يعرض نفسه على قبائل العرب

(١) المقرئزي . إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٠ — ٣١

(٢) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ٢٠١

(٣) الطبري . تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٨٣ — ٨٤

(٤) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥ ، المقرئزي . إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٢

كعاداته في كل موسم . وبينما كان عند العقبة بمنى لقي ستة نفر من الخزرج ، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فلقيت دعوته قبولا منهم ، وعادوا إلى المدينة حيث أخذوا ينشرون الإسلام بين قومهم حتى لم يبق دار من دور عرب المدينة إلا وفيها ذكر الرسول (١) .

فلما كان العام المقبل وفد إلى مكة اثنا عشر ، منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، فبايعوا الرسول عند العقبة بمنى على الإسلام وتعرف تلك البيعة ببيعة العقبة الأولى . وبعث معهم الرسول ، مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ليقرئهم القرآن ويدعوهم إلى عبادة الله . فنزل مصعب بإحدى دور المدينة وصار يدعو أهلها من العرب إلى الإسلام ويصلي بالمسلمين ويتلو عليهم القرآن . ولم يمض عام حتى أصبحت كل أسرة من عرب المدينة تضم فريقاً من دخل في الإسلام على يد مصعب ابن عمير (٢) .

وفي العام التالي خرج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من الأوس والخزرج ، من المسلمين الذين أسلموا حديثاً قاصدين مكة ، وكان بصحبتهم مواطنوهم من المشركين (٣) . وقد اجتمع الرسول بهؤلاء الوافدين من يثرب بالعقبة حتى لا يثير قريش ولا يستهدف لعداوتها ؛ وكان يرافقه عمه العباس — مع أنه لا يزال على دين قومه — ، وأبو بكر ، وعلى بن أبي طالب . وقد بدأ العباس بالكلام في ذلك الاجتماع ؛ فأثنى على ابن أخيه وذكر أنه في عز من قومه ومنعة في بلده ، على أنه أباي إلا الانحياز إلى أهل يثرب ، وطلب منهم أن يتدبروا قبل أن يأخذوا على عاتقهم الوفاء له وحمانيته ممن يخالفونه ، وأن يعقدوا العزم على ألا يرجعوا عن عهدهم إذا ما استهدفوا لخطر ؛ عندئذ أكد البراء بن معرور — أحد رجال الخزرج — أنهم صادقون في عزمهم ، وطلب إلى الرسول أن يتكلم في صراحة . فقام سيدنا محمد وبدأ حديثه بتلاوة بعض آيات القرآن ودعاهم إلى الله ورسوله ورغبهم في الإسلام . فقبلوا دعوته

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٣٨ — ٣٩ ، ابن الأثير . ج ٢ ص ٣٦

(٢) ابن الأثير : ج ٢ ص ٣٦ — ٣٧

(٣) الطبري : ج ٢ ص ٩٠

وباعوه ، وتعهدوا له بالدفاع عنه ، كما رحبوا بهجرته إلى بلدهم ، ثم قام أبو الهيثم مالك بن التيهان — أحد رجال الأوس — فقال : « يا رسول الله ، إن بيننا وبين الناس (يعني اليهود) حبالا وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن أظهرك الله عز وجل أن ترجع إلى قومك وتدعنا » ؛ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « بل الدم والدم والهدم الهدم ^(١) ، أتم مني وأنا منكم ، أسلم من سلمتم ، وأحارب من حاربتم ، أخرجوا إلى منكم اثني عشر قريبا يكونوا قباء على الناس . » فاختاروا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ليكونوا رؤساء عليهم . وبهذه البيعة التي تعرف ببيعة العقبة الثانية تمهدت للمسلمين الهجرة إلى يثرب .

ولا شك أن مبادرة هؤلاء الممثلين للأوس والخزرج إلى اعتناق الإسلام والترحيب بهجرة الرسول إلى مدينتهم ، ترجع إلى عدة عوامل ؛ فمن الناحية الدينية كان عرب يثرب كثيراً ما يسمعون من اليهود أن نبيا سيبعث . فلما رأى حجاجهم سيدنا محمد وعرفوا أنه نبي مرسل ، تحدثوا عنه إلى قومهم ، فبادروا إلى تصديقه . هذا إلى أنه لم يكن للأوس والخزرج فائدة مادية من وراء التمسك بالوثنية كما كان لقريش في مكة لأن ساداتها قد ضعف أمرهم من جراء الحروب التي أنهكت قواهم ، فلم يقاوموا النظام الجديد ، كما حدث في مكة حيث لاحظنا أن رجالات قريش هم الذين قاوموا الدعوة الإسلامية دون غيرهم من عامة العرب .

ومن الناحية السياسية ، كانت علاقة اليهود بعرب يثرب سيئة ، حتى إن هؤلاء العرب صمموا قبل هجرة النبي إلى المدينة على إجلاء اليهود عنها واحتلال أراضيهم التي كانت أخصب بقاع المدينة . كذلك كان العرب أنفسهم متعادين ؛ فقد وقعت بين الأوس والخزرج حروب طويلة نخص بالذكر منها ما حدث في « بعث » ، حيث غلبت الخزرج قبل الهجرة بسنوات قلائل .

وقد وجد بعد موقعة بعث ميل من جميع القبائل العربية ييثرب من الأوس والخزرج إلى تولية عبد الله بن أبي بن ساول سيد الخزرج ^(٢) . غير أنه حدث أن قصد حجاجهم

(١) أي ذبى ذمتكم وحرمتى حزمتكم (ابن هشام ج ٢ ص ٥١)

(٢) السهموري : وفاة الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١ ص ١٥٥

مكة واجتمعوا بالرسول صلى الله عليه وسلم بالعقبة ، ثم بايعوه وقبلوا دعوته ، كما رحبوا في العام التالي بهجرته إلى بلدهم حين طلب منهم ذلك ، وتعهدوا له بحمايته . فلما رجعوا إلى قومهم ، دعوهم إلى نصرته الإسلام والدخول في طاعة الرسول ، فلقيت دعوتهم قبولاً منهم ؛ وعدلوا بذلك عن تمليك عبدالله بن أبي^(١) .

وقد سارع الأوس إلى قبول دعوة الرسول والترحيب بهجرته ، لاعتقادهم أنه لن يتقدم عليه أحد يثرب . أما الخزرج ، فقد رحبوا بدعوة الرسول وهجرته إلى مدينتهم لأنه من أكرم بيوتات قريش وساداتها ، ولصلة النسب التي تربطهم به ؛ فهو ابن أمنة بنت وهب من بني النجار إحدى بطون قبيلتهم^(٢) . فضلاً عن ذلك فإن انهزامهم في موقعة بعاث جعلهم يسارعون إلى قبول دعوته ومبايعته لوثوقهم من أنه يستطيع جمعهم مع الأوس تحت لوائه .



لما علمت قريش نبأ تحالف الرسول مع عرب يثرب في بيعة العقبة الثانية ؛ اضطربت اضطراباً شديداً ، واشتد أذاها على المسلمين ؛ فأذن الرسول لأتباعه بمكة في الهجرة إلى المدينة ؛ وقال : « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً يأمنون بها^(٣) » ؛ فتجهزوا إليها في ستر وخفاء ؛ وصاروا يتعاونون بالمال . وكان كل مهاجر من قريش وحلفائهم يستودع دوره وماله رجالاً من قومه ؛ فمنهم من حفظ الوديعة ، ومنهم من تصرف فيها وفق رغبته . وخرج المسلمون جماعة بعد جماعة ، حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق ، وعلى بن أبي طالب ، وبعض أقرباء الرسول ، ومن اعتقله المشركون كرها^(٤) .

(١) ابن خلدون . ج ٢ ص ٢٩٠ — ٢٩٢

(٢) حسن إبراهيم . الإسلام السياسي ج ١ ص ٨٠

(٣) ابن هشام . سيرة النبي ج ٢ ص ٧٦

(٤) ابن سعد . كتاب الطبقات الكبير ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١ ، المقرئ . إمتاع

الاسماع ج ١ ص ٣٧ — ٣٨



مسجد قُبَاء بضواحي المدينة

لما علمت قريش بتأهب الرسول للهجرة إلى يثرب، اجتمع رجالها بدار الندوة^(١) يتشاورون فيما يصنعون في أمره، فاتفق رأيهم على قتله؛ فأعلمه الله بذلك. وخرج من داره ليلاً بعد أن أمر على بن أبي طالب أن ينام على فراشه وقابل أبا بكر الصديق وأخبره أن الله قد أذن له في الخروج من مكة، فطلب منه أن يصحبه في هجرته، فأجابه إلى ما طلب؛ ومضى به إلى غار بجبل ثور^(٢).

كانت قريش إذ ذاك ترقب حركات الرسول، وانتدبت من تتبع أثره حتى وصل بعضهم إلى الغار، فأوجس أبو بكر خيفة، وأخذ الرسول يهديء من روعه. وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في سورة التوبة (آية ٤٠): (إلا تنصروه فقد نصره الله، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم).

فلما مضت ثلاث ليال على الرسول وأبي بكرهما بالغار، أتاها دليلهما، ثم نزلا وركب كل منهما راحلة، وسارا في طريق يثرب حتى بلغا ضاحية من ضواحيها تسمى قُبَاء^(٣)، فنزل الرسول على بني عمرو بن عوف وأقام عندهم أربعة أيام، وأسس بقباء مسجداً^(٤)، ثم خرج يوم الجمعة راكباً ناقته. فلما أتى بني سالم صلى الجمعة بمن معه من المسلمين — وهم إذ ذاك مائة —، وهي أول جمعة أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم في الإسلام^(٥)، وألقى عليهم خطبة بدأها بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربته — ليس له ترجان ولا حاجب

(١) بني هذه الدار قصي بن كلاب ليحكم فيها بين قريش، ثم صارت لتشاورهم وعقد الألوة

في حروبهم (ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ١ ص ١١٣)

(٢) جبل يشرف على مكة من جنوبها. (القلقشندي: ج ٤ ص ٢٤٧)

(٣) موضع بقرب المدينة على بعد ميلين منها.

(٤) الطبري: ج ٢ ص ١٠٧

(٥) ابن هشام: سيرة النبي ج ٢ ص ١١١ — ١١٢

يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقعة من تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنه عشر أمثالها إلى سبعائة ضعف والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته^(١) .

* * *

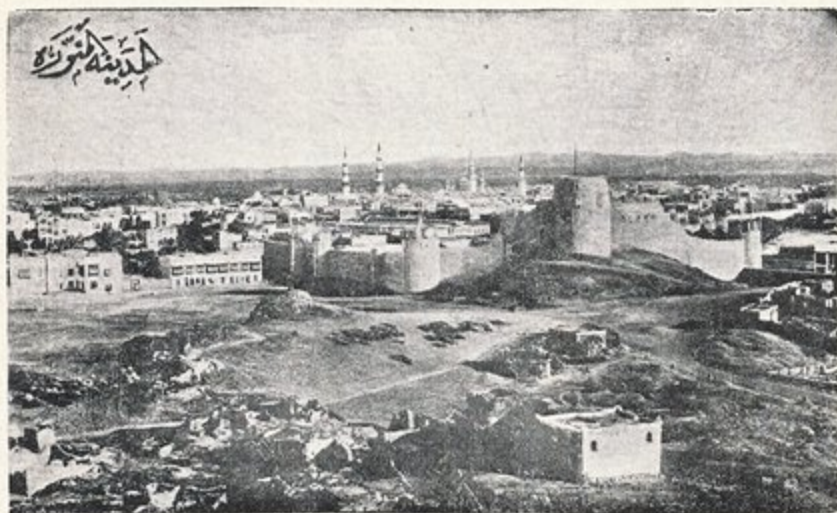
ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد صلاة الجمعة متوجها إلى المدينة ، وكان كلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم ، قائلين : « يارسول الله ، هلم إلى القوة والمنعة ، فيقول : خلوا سبيلها (يعنى ناقته) ، فإنها مأمورة^(٢) » . ولم تزل ناقته سائرة به حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت في مربد^(٣) لغلامين يقيمين من بنى النجار ، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وحمل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى رحله وأضافه فى داره . واشترى الرسول المربد بعشرة دنانير وأمر أن يبنى فى مكانه مسجد للمسلمين ، وبنى إلى جانبه مساكنه التى انتقل إليها بعد أن استغرق بناؤها سبعة أشهر ، قضاها فى ضيافة أبى أيوب الأنصارى^(٤) .

(١) القرطبي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٦ — ٤٧

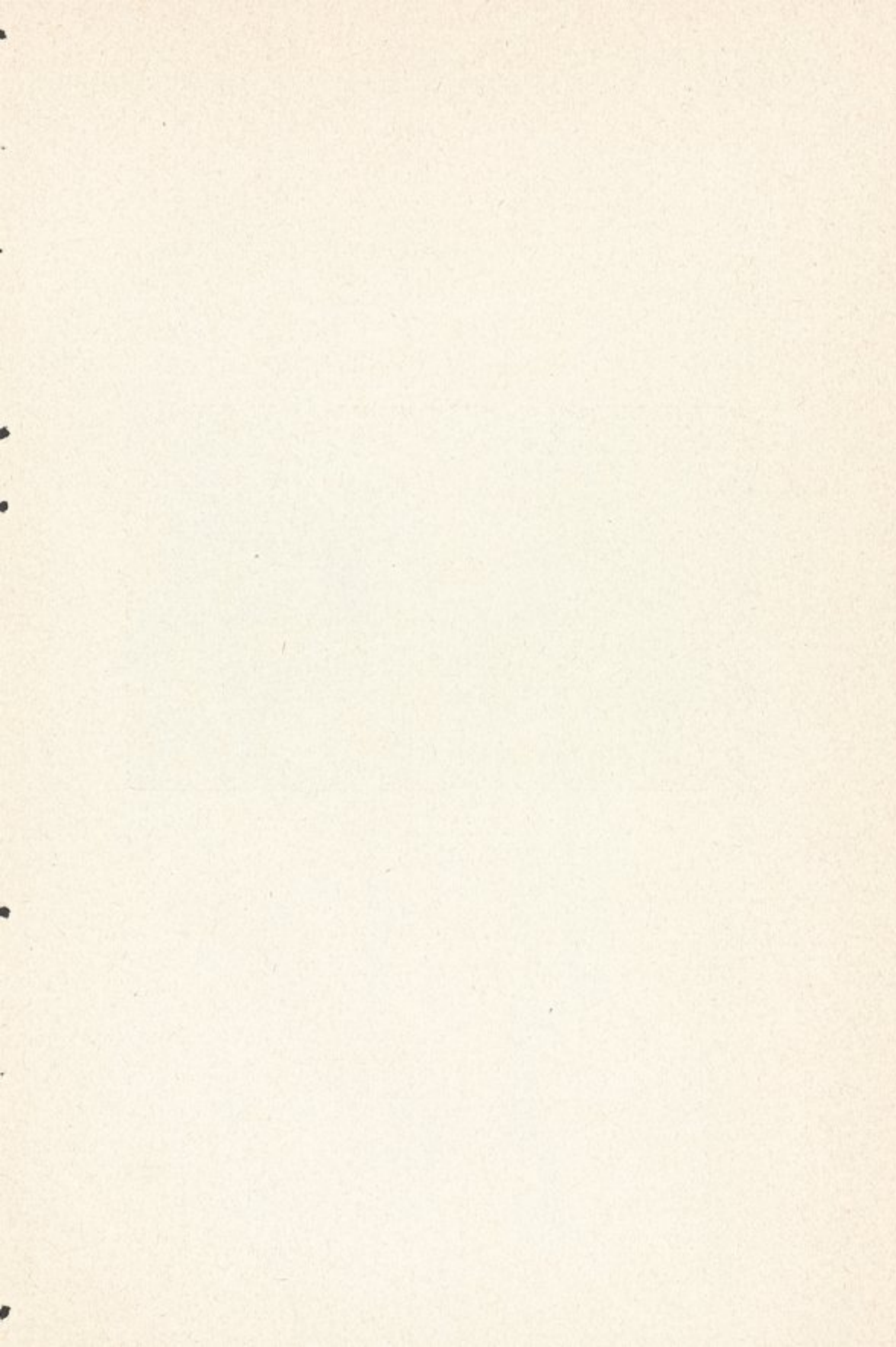
(٢) النبهاني : الأنوار الحمديّة من المواهب اللدنيّة ص ٥٩

(٣) المربد : الموضع الذى يحفف فيه التمر (حاشية رقم ١ ابن هشام : ج ٢ ص ١١٣)

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ١١٣ — ١١٤ ، ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير



منظر عام للمدينة المنورة



البَابُ الثَّالِثُ

سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة
في نشر الدعوة الإسلامية وتوحيد جزيرة العرب

- ١ — تنظيم صفوف المسلمين بالمدينة وتوكيد وحدتهم
- ٢ — سياسة الرسول في إخضاع عرب الحجاز
- ٣ — موقف الرسول من يهود الحجاز
- ٤ — توجيه الدعوة الإسلامية إلى سائر بلاد العرب وخارجها
- ٥ — تحقيق الوحدة السياسية والدينية بجزيرة العرب

كتاب اليا

كتاب اليا في...

كتاب اليا في...

كتاب اليا في...

كتاب اليا في...

كتاب اليا في...

كتاب اليا في...

كتاب اليا في...

الباب الثالث

سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة
في نشر الدعوة الإسلامية وتوحيد جزيرة العرب

١ - تنظيم صفوف المسلمين بالمدينة وتوكيد وحدتهم

لم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم منذ قدم على المدينة بتبليغ الوحي الذي ينزل عليه خاصاً بالأمور التشريعية العامة ، بل رأى أن يعنى بالوسائل التي ينظم بها الحياة في المدينة لأنه أصبح زعيم جماعة من العرب لهم صفة سياسية بجانب كونه نبي مرسل عليه أن يبلغ الناس رسالة ربه .

وكان بالمدينة حين هاجر إليها الرسول ، المسلمون من الأوس والخزرج الذين عرفوا بالأنصار ، وبعض مشركي هاتين القبيلتين ، واليهود ، ثم وفد إليهم المهاجرون — وكان كثير منهم تجاراً ، تركوا أموالهم في مكة ولا أمل لهم في استردادها — ، فدعا الرسول الأنصار إلى مساعدتهم .

كذلك حاول الرسول تنظيم صفوف المهاجرين والأنصار بالمدينة وتوكيد وحدتهم عن طريق تآلفهم حتى لا تشور العداوة القديمة بينهم؛ فأخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار على الحق والمؤاسة^(١) . وكانوا يتوارثون بهذا الإخاء إراثاً مقدماً على القرابة^(٢) ، فإذا مات المهاجر ورثه أخوه الأنصاري ، وإذا مات أحد الأنصار ورثه أخوه المهاجر . وكان الرسول يرمي من وراء المؤاخاة بين أصحابه من المهاجرين والأنصار أن يذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض^(٣) .

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٣

(٢) المفريزي : إمتاع الأسماع ص ٤٩

(٣) حاشية رقم ٣ (ابن هشام : سيرة النبي ص ٢ ص ١٢٣)

ولما شرع الرسول في تنفيذ مشروع المؤاخاة ، قال لأصحابه : « تآخَوْا فِي اللَّهِ أَخَوِينَ أَخَوِينَ . » ، ثم أخذ ييسد على بن أبي طالب ، وقال : « هَذَا أَخِي » . فكان رسول الله وعلى بن أبي طالب أخوين . وصار حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة مولى الرسول أخوين . وتآخى أبو بكر الصديق مع خارجة بن زيد من الخزرج ^(١) . وأصبح كل واحد من المهاجرين الذين وفدوا إلى المدينة متآخياً مع أحد الأنصار ؛ وبهذه المؤاخاة توثقت وحدة المسلمين في المدينة .

تيسرت سبل العيش على المهاجرين بالمدينة بفضل حسن معاملة الأنصار لهم ، ذلك أنهم منحوهم بعض أموالهم وسمحوا لهم بالتجارة والاشتراك معهم في زراعة أراضيهم ، كما كان لفرض الزكاة على المسلمين بعد مقدم الرسول المدينة أثر كبير في تحسين حالهم ^(٢) .

كذلك أذن الرسول لفقراء المسلمين بالمدينة الذين ليس لهم منازل ولا عشاء أن يبيتوا في المسجد . وكان يدعو طائفة منهم ليلا لتناول العشاء معه ، ويكلف أصحابه بإطعام الآخرين . وقد عرف ذلك الفريق من المسلمين بأهل الصفة ^(٣) لأنهم كانوا يأوون إلى صفة المسجد ، وهي المكان المسقوف منه ^(٤) .

ظل التوارث بالمؤاخاة قائماً حتى اجتمع شمل الأنصار والمهاجرين وأوقعوا الهزيمة بالمشركين في غزوة بدر وعز شأن الإسلام ؛ فأُنزل الله تعالى في سورة الأنفال (آية ٧٥) (وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .) ؛ فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ورجع كل مسلم إلى نسبه وورثه ذوو قرابه ^(٥) .

لما استقر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، رأى أن يضع نظاماً للحياة العامة فيها يكون أساساً لتحقيق الوحدة بين أهاليها . فكتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ١٢٣ — ١٢٤

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ص ٥٠

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٢٠

(٤) هيكल باشا : حياة محمد ص ٢٢٠

(٥) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٣

كما عاهد اليهود واشترط عليهم وشرط لهم^(١) . ويتضمن هذا الكتاب الأمور الآتية :

- ١ — أن جميع المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم أمة واحدة ؛ ويتبين ذلك من هذه الفقرة : « إنهم أمة واحدة من دون الناس » .
- ٢ — التضامن والتعاون بين الجماعة الإسلامية ؛ ويؤكد هذا المعنى قوله : « وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس » .
- ٣ — فتح الطريق للراغبين من اليهود في الإسلام ، وكفل لهم التمتع بما للمسلمين من حقوق فيقول : « وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم » .
- ٤ — تقرير حرية الاعتقاد لليهود ؛ فيقول : « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليتهم وأنفسهم » .
- ٥ — ما يتبع في فض الخصومات بين أهالى المدينة ، فيقول : « وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — » .
- ٦ — تضمن الكتاب كيف تعامل قريش التي كانت إذ ذاك تقف من المسلمين في المدينة موقفاً عدائياً ؛ فقال : « وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب » .
- ٧ — يبين الكتاب ما يتبع في الحرب التي قد تقع بين المسلمين في المدينة وأعدائهم ، ويقرر أن كل جماعة تنفق على نفسها ؛ فيقول : « وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة » .
- ٨ — يقرر الكتاب حرمة المدينة ، أى أنه يحرم فيها ما يحرم بمكة .

لم يرد هذا الكتاب إلا في سيرة ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام . ويظهر لنا من نصوصه أنها تتفق مع منطق الحوادث في المدينة؛ فسكانها المسلمون من المهاجرين والأنصار كانوا بحاجة إلى نظام يجمع شملهم ويحدد علاقتهم بعضهم ببعض . وقد فطن الرسول لذلك ، فضمن كتابه المبادئ الهامة التي يجب عليهم اتباعها في السلم والحرب ، كما عاهد اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم ليطمئن إلى جوارهم .

* * *

كان الرسول صلى الله عليه وسلم ميالاً للسلم ، فلم يلجأ للقتال طيلة إقامته بمكة ، بل عمد في نشر دعوته إلى مجادلة المشركين وإقناعهم بالدليل والبرهان . فلما اشتد أذاهم على المسلمين واضطروهم إلى الهجرة من مكة إلى الحبشة أولاً ، ثم إلى المدينة ثانياً ، رأى الرسول أن يوحد بين المهاجرين والأنصار حتى يتيسر لهم الوقوف في وجه أعدائهم . وكان قبل هجرته إلى المدينة قد بايعه فريق من الأوس والخزرج في بيعة العقبة الثانية ، وتعهدوا له بالدفاع عنه وحمايته ، كما تعهد لهم بالعمل على نصرتهم ؛ وبذلك تهيأ المسلمون للدود عن أنفسهم .

ولما استقر لهم الأمر بالمدينة وقويت شوكتهم ، فرض الله عليهم الجهاد في السنة الثانية للهجرة ؛ فنزلت هذه الآية في سورة الحج (آية ٣٩) مقررّة ومشروعة للحرب : (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ ، وَإِنِ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بغيرِ حقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ) . والمراد بهذه الآية أن الله أحل القتال للمسلمين لأنهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم لا لسبب سوى عبادتهم الله .

وتلا هذه الآية في أمر الجهاد قوله تعالى في سورة الأنفال (آية ١٩٣) : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) . والمراد بذلك أن الله شرع القتال حتى لا يفتن المؤمن عن دينه .

كذلك أنزل الله تعالى هذه الآية في سورة البقرة (آية ٢١٦) يقرر فيها الجهاد : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ، وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .

وقد سُرعَ الجهاد لأمر منها :

١ — تأمين الدعوة الإسلامية وصدّ من يقف في سبيلها حتى لا يفتن أحد من المسلمين عن دينه .

٢ — قيام المسلمين بالذود عن أنفسهم .

٣ — محاربة الذين اضطروهم إلى الخروج من ديارهم بغير حق .

كان لتشريع الجهاد أهمية خاصة بالنسبة للمسلمين بالمدينة ، فقد أعطاهم صفة سياسية لم يتمتعوا بها من قبل ؛ ذلك أنهم أصبحوا نواة الأمة العربية الإسلامية ، عليهم أن يجاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الإسلام وجمع شتات العرب .

وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزول آيات تشريع الجهاد ، ينشر الدعوة الإسلامية بين القبائل العربية ويُعدّ العدّة لصد كل اعتداء يصيب المسلمين من معارضيتهم ، كما عوّل بعد مقدمه المدينة على الاقتصاص من قريش التي اضطرت المسلمين إلى الخروج من مكة تاركين أموالهم ومتاعهم .

وقد عقد الرسول في بداية الأمر أُلوية بعض السرايا للمهاجرين دون الأنصار لأنهم تعرضوا وحدهم لإيذاء قريش بمكة وقاسوا آلام الهجرة . وكان الغرض من هذه السرايا أن يظهروا لقريش قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم ودرء أى خطر يقيق بهم ، هذا إلى استطاعتهم التعرض لقوافلهم التجارية المارة ببلدهم .

٢ — سياسة الرسول في إخضاع عرب الحجاز لسلطته

استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة أن يجعل سكانها من المسلمين يتطلعون إليه زعماء وقائداً ، ولا يعترفون بسلطان غير سلطانه ^(١) . ولما جمع شملهم ونظم أمورهم واصل جهاده في سبيل الله . وكان المهاجرون والأنصار خير عون له في نشر دعوته .

(١) راجع كتاب الدعوة إلى الإسلام ص ٣٦ — ٣٧

كان جهاد الرسول وصحابته موجهاً في بداية الأمر إلى القرشيين بمكة الذين احتفظوا بالوثنية وناصروا المسلمين العداء . وقد وقف المهاجرون والأنصار صفاً واحداً مع الرسول في العمل على صد أي اعتداء خارجي يحيق بهم . ولما كانت قريش هي البادئة بمناهضة المسلمين ، لذلك صاروا يتربصون الفرص لإخضاع شوكتها والقضاء على نظامها القديم حتى يتيسر لهم جعل مكة مركزاً دينياً للمسلمين ، كما كانت مقصداً لحج القبائل العربية جميعاً .

وقد وجه الرسول جهوده في السنوات الأولى من هجره إلى استمالة القبائل المقيمة في الطريق بين مكة والمدينة إلى جانبه وارتبط بأكثرها برابطة الحلف . وكان يرمى من وراء ذلك إلى إيجاد حلفاء له خارج المدينة كما أصبح له أنصار في داخلها . هذا إلى أن مخالفة الرسول للقبائل التي تقيم في طريق قوافل قريش التجارية يثير روع القرشيين ويجعلهم يحشون بأس المسلمين بالمدينة .

كذلك وجه الرسول همته إلى الوقوف في سبيل تجارة قريش التي كانت عماد حياتها . وكان الرسول نفسه ملماً بشئون التجارة وواقفاً على مدى غناية قريش بها على اعتبار أنها مصدر ثروتهم ؛ فهو من هذه الناحية يعرف كيف يحمل قريشاً على التسليم له من أقرب طريق ، كما لم يرغب عنه حرص قريش على أن تسير قوافلها التجارية في أمن وطمأنينة بين مكة وبلاد الشام ، فلما اطمأن إلى مخالفة القبائل الضاربة بين مكة والمدينة ، خرج مع بعض أصحابه لاستطلاع حركات القرشيين والوقوف في طريقهم . لكنه سرعان ما كان يعود دون أن يشتبك معهم في قتال . ثم وجه عبد الله بن جحش على سرية من المهاجرين ، ليس بنهم أحد من الأنصار ، وأمره أن يتصد قريشاً بمكان يقال له نخلة بين مكة والطائف ويأتيه بأخبارهم^(١) . ففضى عبد الله مع أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت بهم قافلة لقريش تحمل تجارة وذلك في آخر رجب من السنة الثانية للهجرة ؛ فهاجوا أول الأمر بمحاربتهم في هذا الشهر — الذي كان العرب إذ ذاك يعدونه من الأشهر التي يحرم فيها القتال — ، ثم أجمعت

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٢٣٩ ، يعقوبي : تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٣

أغليبتهم على قتالهم وأخذ ما معهم ؛ فأصابوا بعض رجالهم وغنموا ما كانت تحمله إبلهم من التجارة ، وعادوا إلى المدينة محملين بالأموال التي غنموها ، فأوقف الرسول الإبل ولم يأخذ منها شيئاً ، وقال لهم : ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ، كما عنفهم إخوانهم من المسلمين ، فسقط في أيديهم ^(١) .

انتهزت قريش فرصة اشتباك المسلمين معهم في القتال ، في شهر رجب ، فحملت عليهم وأعلنت في كل مكان أن محمداً وأصحابه استحلوا الشهر الحرام ^(٢) ؛ فأُنزل الله تعالى في سورة البقرة (آية ٢١٧) : (يسألونك عن الشهر الحرام ، قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله) . وقد أظهرت هذه الآية أن ما قامت به قريش من صد المسلمين عن سبيل الله وإخراجهم من المسجد الحرام أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام .

حدثت بعد هذه السرية وقائع متصلة بين المسلمين والقرشيين في مكة ، ترمى إلى تحقيق غرض معين ومبدأ ثابت ، سواء أكان من وجهة نظر المدينة أو من وجهة نظر مكة ؛ فأهالى المدينة من المسلمين وعلى رأسهم الرسول ، كانوا يرون ضرورة القضاء على نفوذ القرشيين حتى يتيسر لهم نشر الدعوة الإسلامية وضم مكة إلى حوزتهم . أما أهالى مكة ، فقد أيقنوا من خطر وجود المسلمين بالمدينة على تجارتهم القادمة من الشام إلى مكة ، كما رأوا في انتشار الإسلام خطراً على ديارتهم الوثنية وعلى سيادتهم على الكعبة التي كانوا يحنون من ورائها فوائد مادية . لذلك وجه كل فريق اهتمامه إلى إضعاف شوكة خصمه والتخلص منه . وقامت في سبيل هذه الأمنية وقائع هامة بين المسلمين من جهة والقرشيين ومن انضم إليهم من القبائل العربية بالحجاز من جهة أخرى .

غزوة بدر :

يرجع السبب في وقوع هذه الغزوة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد

(١) المقرئى : امتاع الأسماع ص ٥٧ — ٥٨

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٢٤١

ندب نفرًا من المسلمين للوقوف على أخبار قافلة قريش وهي قادمة من الشام إلى مكة ؛ فلما علم بذلك أبو سفيان بن حرب رئيس القافلة ، أنفذ إلى قريش بمكة من يخبرها بمحاولة المسلمين التعرض لتجارتها ، ثم غير طريقه وسار محاذيًا ساحل البحر (الأحمر) حتى جاوز موقف المسلمين ؛ وبهذه الوسيلة استطاع أن ينجو بالقافلة^(١) .

ولما علمت قريش بالخطر الذي ستعرض له تجارتها التي كانت تقدر بما يساوي خمسين ألف دينار^(٢) ، استولى عليهم الذعر والخوف ، وعوّلوا على الخروج لنجدة غيرهم وإيقاد تجارتهم ؛ فخرجوا من مكة بدون تعبئة منظمة . وكان عددهم يتراوح بين التسعمائة والألف . وفي هذه الأثناء كان أبو سفيان قد تمكن من النجاة بالقافلة ، فأرسل إلى قريش يخبرها بذلك وطلب إليها أن تعود إلى مكة ؛ لكن قريشًا تغلبت عليها الروح الحربية ، فصممت على أن تسير إلى بدر^(٣) لتظهر قوتها للمسلمين ولغيرهم من قبائل العرب^(٤) .

كان الرسول إذ ذاك قد خرج من المدينة مع أصحابه من المهاجرين والأنصار — وهم ثلاثمائة وخمسة^(٥) — ، وبينما هو في طريقه إلى بدر ، أتاه الخبر بمسير قريش ، فرأى أن الفرصة سانحة للتكامل بها ، واستشار أصحابه في هذا الأمر ؛ فأعلن كبار المهاجرين موافقتهم على الخروج لمهاجمة قريش . أما الأنصار ، فكان قد تم الاتفاق بينهم وبين الرسول في بيعة العقبة الثانية على أن يدافعوا عنه وعن المهاجرين إذا تعرضوا للأذى لا أن يُساعدوه في الهجوم . فلما شاورهم في أمر قتال قريش ، أظهروا له طاعتهم في كل ما يطلب منهم . وقال له سعد بن معاذ : « امض يارسول الله لما أردت ، فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٦٩ — ٧٠ .

(٢) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٦٦ .

(٣) بدر : مكان بين مكة والمدينة على بعد ٢٨ فرسخًا من المدينة ، به واد وآبار وفي أرجائه نخيل وحدائق .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٢٥٨

(٥) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٦٤

معك ما تخلف منّا رجل واحد ... » . فسر الرسول بقول سعد وقال : « سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم ^(١) » ، فتابع المسلمون سيرهم حتى إذا ما وصلوا إلى أدنى ماء من بدر ، رأى الرسول أن ينزل بهذا المكان ، فسأله الحُبَاب بن المنذر : أعن أمر من الله نزلت هذا المنزل أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » ، فأشار عليه الحُبَاب بن المنذر أن يمضي بالمسلمين عن هذا المنزل حتى ينزل بهم في مكان قريب من الماء . فاستحسن الرسول هذا الرأي ^(٢) ، ونزل المسلمون في الجهة الشرقية من الوادي الذي تقع فيه بدر في ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان . أما قريش فنزلت في ثنايا التلال الغربية . وقد نام المسلمون جميعاً في هذه الليلة نوماً هادئاً ؛ وكان ذلك مما زاد في نشاطهم في صباح اليوم التالي حيث دارت المعركة ، على حين باتت قريش ساهرة . كذلك أمطرت السماء في تلك الليلة مطراً غزيراً في الجهة التي كانت تعسكر فيها قريش . أما الموقع الذي نزل فيه المسلمون فنزل به رذاذ من المطر .

كانت القوة التي مع المسلمين من الإبل ، فنزل المطر الخفيف في الجهة التي يعسكرون فيها لبد الأرض وساعد على مسير إبلهم . أما قريش فكان معها عدد كبير من الخيل ؛ فعزارة المطر في الناحية التي تعسكر فيها بللت الأرض ؛ وكان ذلك مما عرقل مسير خيلها وإبلها . وهكذا كان نزول المطر نعمة وقوة للمؤمنين و بلاء ونقمة على المشركين ^(٣) .

كان المسلمون مع قلة عددهم يسودهم النظام ؛ فقد صف النبي أصحابه حين أخذ يتهيأ للمعركة ، وعلى العكس من ذلك قريش ؛ فلم يكن لها قيادة عليا تشرف على تنظيم صفوفها ، وعلى هذه الحال اشتبك الفريقان في قتال تشوبه النفخة البدوية والبطولة .

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٢٥٣ — ٢٥٤ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١

ص ٧٣ — ٧٥ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٢٥٩ — ٢٦٠

(٣) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٧٨

وقد أسفرت واقعة بدر عن انتصار المسلمين على قريش التي أسر منها سبعون ، كما قتل سبعون من رجالاتها . أما المسلمون فقد استشهد منهم أربعة عشر ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ^(١) .

قدم الرسول المدينة بعد انتهاء واقعة بدر مظفراً ، قد أعلى الله كلمته وأعز نصره . وكان لهذا النصر نتائج بعيدة الأثر ، فدخل في الإسلام كثير من المشركين ، كما ضعفت شوكة اليهود والمنافقين حتى لم يبق يهودى ولا منافق في المدينة إلا وقل كبرياؤه ^(٢) .

ولاشك في أن ما انتهت إليه واقعة بدر من إحراز المسلمين النصر على ثلاثة أمثالهم من القرشيين يحملنا على اعتبارها إحدى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وفي آيات القرآن ما يشعرون بذلك ، ففيها أن الملائكة مدوا المسلمين في هذه الواقعة حتى انتصروا على قريش التي تفوقهم في العدد . يقول الله تعالى في سورة الأنفال (آية ٩) : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين)

استفاد المسلمون من وراء انتصارهم في واقعة بدر فائدتين : إحداهما معنوية تتمثل في وثوقهم بأنهم على الحق وأن خصمهم على الباطل ، وثانيهما مادية وهي الغنائم التي اكتسبوها ، وكانت كثيرة ، من بينها إبل ومناخ وثياب وأسلحة ^(٣) . وقد قسمها الرسول بين المسلمين الذين اشتركوا في هذه الواقعة والذين تخلفوا عنها بإذن منه ^(٤) .

كذلك أصبح لدى المسلمين بما أسفرت عنه غزوة بدر من أحكام شرعية قواعد ثابتة يسيرون وفقها في حروبهم ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالغنائم والأسرى . وقد نزلت في الغنائم هذه الآية في سورة الأنفال (آية ٤١) : (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسته وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، والله على كل شيء قدير) .

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٤ ، المقربرى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٠١ .

(٢) المقربرى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٩٩ .

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٤ و ٣١٢ ، المقربرى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ .

(٤) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٥٧ .

أما الأسرى فبعضهم قتل مثل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، والبعض قبل النبي أخذ الفدية منه ، والبعض الآخر الذي ليس لديه مال من عليه الرسول . وجعل النبي صلى الله عليه وسلم فداء الرجل ما بين الألف درهم وأربعة آلاف درهم^(١) . وكان في الأسرى من يحدد الكتابة ويعجز عن دفع الفداء لفقره ، على حين لم يكن في الأنصار من يعرفها ؛ فجعل رسول الله فداءهم أن يعاموا أولاد الأنصار الكتابة . وكان كل أسير يعلم عشرة من الغلمان الكتابة يخلى سبيله . فتعلم يومئذ زيد بن ثابت الكتابة مع جماعة من غلمان الأنصار . فتلك الأحكام وهي القتل والفداء والمن كان يحوز تطبيقها على الأسرى ، لكن فيما بعد نجد أن الآية القرآنية في سورة محمد (آية ٤) نصت على الفداء والمن : (فإذا لقيتم الذين كفروا ، فاضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما منّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) .

غزوة أحد^(٢) :

رأت قريش بعد أن لحقت بها الهزيمة في واقعة بدر أن تثار لشرفها وسمعتها ولئن قتل من رجالها ، لذلك كانت هي البادئة في العدوان . ومما يدلنا على شدة حرصها على الأخذ بالثأر أنها ظلت تستعد مدة سنة لحرب الرسول وأصحابه وبذلت في هذا السبيل مجهوداً كبيراً ، كما خصصت أموال القافلة التي حاول المسلمون اعتراضها وهي قادمة من الشام والتي كانت السبب في واقعة بدر للاتفاق منها على تلك الحرب وطابت أنفس أشرفها أن يجهزوا من تلك الأموال جيشاً^(٣) ؛ فنزل فيهم قول الله تعالى في سورة الأنفال (آية ٣٦) : (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) .

كذلك دعت قريش حلفاءها من ثقيف وقبائل تهامة وكنانة للاشتراك معها في

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٤ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٩٠ ، ٩٦

(٢) أحد : اسم جبل يقع شمال المدينة .

(٣) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١١٣ .

محاربة المسلمين ، كما استعانت أيضاً بالأحابيش ^(١) . ولما تم استعدادها خرجت بحلفائها إلى المدينة في شوال سنة ٥٣ هـ بقيادة أبي سفيان بن حرب ^(٢) .

لما بلغ النبي قدوم قريش على المدينة ، استشار أصحابه كعادته في مثل هذه المواقف ؛ فمنهم من أشار بالاكْتفاء بالدفاع ، ومنهم من أشار بالخروج من المدينة ومقاتلة قريش . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى وجوب البقاء في المدينة والاكْتفاء بالدفاع عنها ؛ وقال لأصحابه : « امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام ^(٣) ، فإن دُخل علينا قاتلناهم في الأرقعة . » . وقد أيدته في ذلك أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار ، كما وافقه عبد الله بن أبي .

أما أنصار الرأي الثاني ، فكان أغلبهم من الشبان الذين لم يشهدوا بدرأ ، ومن المسلمين المتحمسين للقاء العدو ؛ وهؤلاء قالوا للرسول : « أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جبناً عنهم وضعفنا ^(٤) » .

قبل الرسول رأى هذا الفريق لكثرة عدد أنصاره وقوة بأسهم ، ثم خرج من المدينة في ألف من المسلمين ، ولم يكذب يبلغ الشَّوْط ^(٥) حتى تخلى عنه عبد الله بن أبي مع فريق من الجيش بحجة أن النبي لم يأخذ برأيه . وقد ترتب على ذلك حدوث بعض الاضطراب في صفوف المسلمين ^(٦) .

لم يعياً الرسول بتخلف عبد الله بن أبي وأتباعه وواصل السير حتى نزل بعدوة ^(٧)

(١) الطبري : ج ٢ ص ١٨٨ ، ابن الأثير : ج ٢ ص ٥٦

الأحابيش : اختلف المؤرخون في أصلهم ؛ فقبيل لأنهم عرفوا بذلك نسبة إلى جيل حبشي بأسفل مكة . وكان قد اجتمع عنده في الجاهلية بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمه ، غالبوا قريشاً فسموا أحابيش قريش . حاشية رقم ٢ (المقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٨) . على أنه من المحتمل أن يكونوا من أصل حبشى أو من الأرقاء الذين يغلب عليهم العنصر الأسود

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٥

(٣) الآطام : جمع أطم وهى بيوت من حجارة كان يسكنها أهل المدينة .

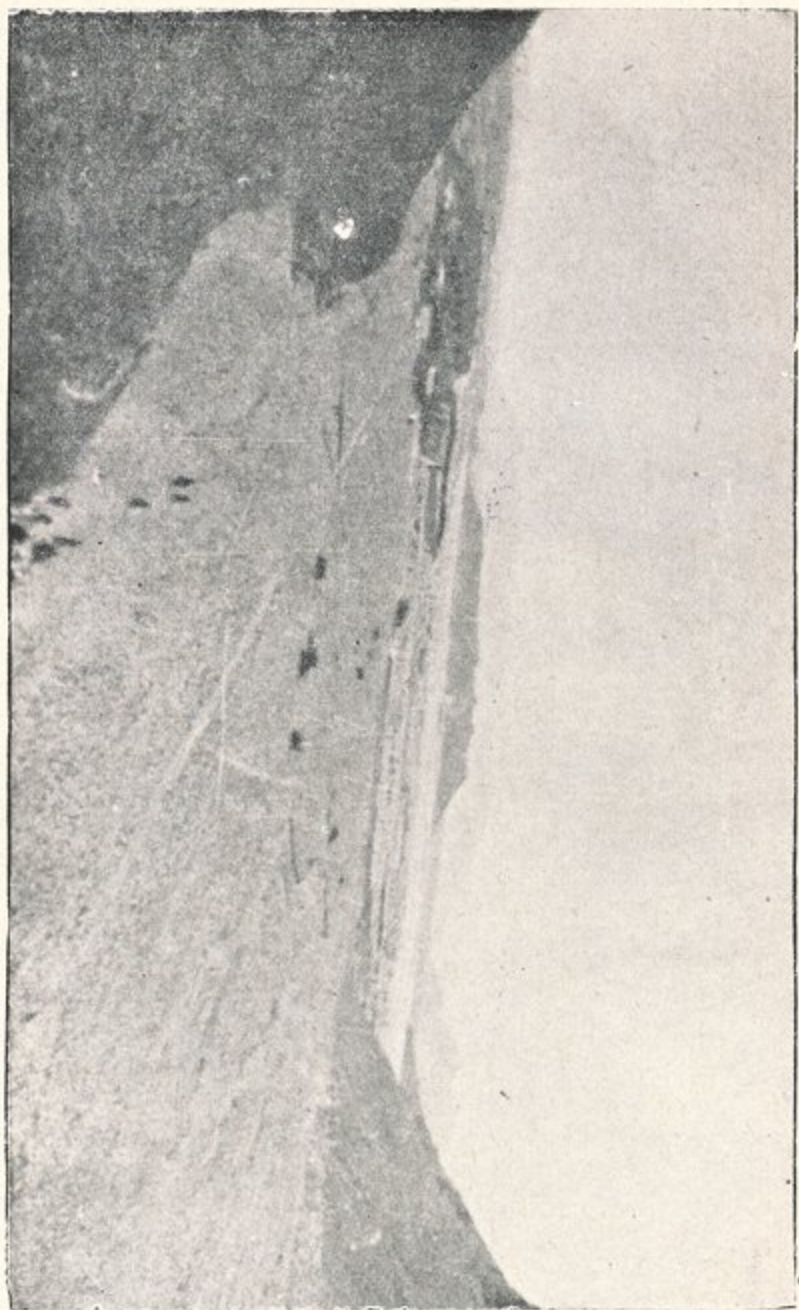
(٤) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٧ ، الطبري : ج ٢ ص ١٨٩ .

(٥) الشوط : مكان خارج المدينة بينها وبين أحد .

(٦) المقرئى : امتاع الأسماع ج ١ ص ١٢٠ .

(٧) العدو : شاطئ الوادى وجانبه الصلب .

لوحة ٦



السا حة التي دارت فيها واقعة أحد



الوادي ، فاستقبل المدينة وترك جبل أحد خلف ظهره حتى لا تتهاجمه قريش من خلفه وجعل وراءه الرماة — وهم خمسون رجلا — وولى عليهم عبد الله بن جبير^(١) ، وقال لهم : « احموا لنا ظهورنا ، فإننا نخاف أن نؤتى من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وإذا رأيتمونا منهزمين حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا تقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا . اللهم إني أشهدك عليهم ، وارشقوا خيلهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل^(٢) » . أما قريش وحلفاؤها فزولوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة ، وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى يسرتهم عكرمة ابن أبي جهل^(٣) .

ابتدأت الواقعة بهجوم من جيش المسلمين على كتائب المشركين حتى اختلت صفوفهم وولوا منهزمين ، فتبعهم المسلمون وأخذوا يجمعون ما وجدوه في طريقهم من الغنائم . فلما رأى الرماة رسول الله وأصحابه متقدمين في جوف عسكر المشركين ، تركوا أماكنهم وسارعوا إلى جمع الغنائم ، فعاود المشركون الهجوم بعد تفرقهم ، وحاصروا المسلمين من كل جهة . واتهم خالد بن الوليد فرصة خلو الجبل من الرماة وأتى المسلمين من خلفهم وأعمل الرماح في ظهورهم^(٤) ، فانتقضت صفوف المسلمين وصاروا — كما يقول الطبري^(٥) — ثلاثة أقسام ما بين قتيل وجريح وفريق منهزم جهده الحرب لا يدرى ما يصنع ، وقد حاول هذا الفريق الهرب في ثنايا الجبل . ولم يثبت مع الرسول سوى أربعة عشر ، سبعة من المهاجرين ومثلهم من الأنصار^(٦) .

تعرضت حياة الرسول في هذه الواقعة للخطر ، فأصيب بعدة جراح وأشيع أنه قتل . وكان لهذه الإشاعة أثرها السيئ في نفوس المسلمين ، ففضلا عن أنها أدت إلى

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٢ ص ٥٧ .

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(٣) الزبيري : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٧٢ .

(٤) ابن الأثير : ج ٢ ص ٥٧ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٢٥ — ١٢٨ .

(٥) الأمام والملوك ج ٢ ص ١٩٧ .

(٦) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٥٧ .

اضطراب صفوفهم ، أضعفت من حماسهم في مقاتلة القرشيين ، غير أنهم ما لبثوا أن استعادوا قوتهم وانشرحت صدورهم حين ظهر أمامهم الرسول سالماً .

استطاعت قريش أن تأخذ بثأرها من المسلمين في واقعة أحد ، ولما رأى زعيمها أبو سفيان بن حرب أنه قتل من أعدائه بقدر ما قتل من قريش في واقعة بدر أزمع العودة إلى مكة . أما الرسول فظل معسكراً بعض الوقت بجوار المدينة خشية أن تهاجمها قريش ، وبعث على بن أبي طالب في آثارها ، وقال له : « انظر ماذا يصنعون وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم » . فسار على في آثارهم ، فرآهم امتطوا الإبل وجنبوا الخيل يريدون مكة ^(١) .

غزوة الخندق أو الأحزاب :

وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة للهجرة ، ويطلق عليها غزوة الخندق للظاهرة الحربية التي امتازت بها عن سائر الغزوات . فقد أحاط الرسول فيها المدينة بخندق ليحول دون مهاجمتها ويصدّ به العدو ، كما عرفت أيضاً بغزوة الأحزاب لانضمام جماعات من القبائل العربية واليهودية إلى قريش في محاربة المسلمين .

هناك أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة لهذه الغزوة . فمن الأسباب غير المباشرة العداوة الأصلية بين المسلمين والقرشيين . أما الأسباب المباشرة فتتلخص في أن اليهود من قبيلتي بني النضير و بني قيسنق الذين أجلاهم الرسول عن المدينة لعدم إخلاصهم للعهد المأخوذ عليهم ، نزحوا إلى خيبر حيث أقاموا مع قومهم من اليهود ، ثم سار بعضهم إلى مكة — وعلى رأسهم — حيي بن أخطب النضري ، وأخذوا يحرضون القرشيين ويدفعونهم إلى محاربة المسلمين ، كما أغروهم بمساعدات مالية وإمدادات حربية . واجتهدوا أيضاً في إثارة القبائل النازلة بأطراف نجد مما يلي الحجاز مثل قبيلة

(١) الطبري : ج ٢ ص ٢٠٦ ، ابن الأثير : ج ٢ ص ٦١ .

غطفان ، فذهبوا إليهم ودعواهم إلى محاربة الرسول وأخبروهم أن قريشاً انحازت إلى جانبهم ووعدهم بمنحهم غلة خيبر في سنة إذا ما نصرهم ؛ فأجابوا طلبهم ^(١) .

تأهبت قريش لقتال المسلمين وبعثت تدعو العرب إلى معاونتها ، كما ألبوا أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة ؛ وبذلك وجد حلف قوى ، قوامه قريش وغطفان يبطونها المختلفة واليهود المقيمون بخيبر . ويعبر عن هذه القبائل بالأحزاب . وكان لكل جماعة قائدها ؛ فأبو سفيان بن حرب قائد قريش وحلفائها من الأحابيش و بني كنانة وتهامة ، وعيينة بن حصن الفزاري قائد غطفان ، وحيي بن أخطب قائد اليهود . وقد تجمع من هذه الأحزاب عشرة آلاف ^(٢) .

خرجت قريش من مكة لمحاربة الرسول بالمدينة . وكانت ترمى من وراء اشتراكها في هذه الحرب ، إضعاف شأن المسلمين وإتمام النصر الذي حالفها في واقعة أحد . أما القبائل الأخرى التي حالفت قريش وانضمت إليها ، فكانت تسعى من وراء خروجها لمحاربة المسلمين إلى الحصول على الغنائم . وكان اليهود يأملون من وراء إثارة القبائل العربية وعلى الأخص قريش ضد المسلمين إلى استعادة نفوذهم وثروتهم بالمدينة .

لما علم الرسول بخروج قريش وحلفائها إلى المدينة وكثرة عددهم دعا المسلمين وأخبرهم بما وصل إليه عن أمر العدو وشاورهم أئخرج من المدينة أم يظل بها ، أم يعسكر قريشاً منها والجبل وراءهم . فكان الرأي الأغلب ألا يخرجوا إلى عدوهم ، وأن يلتزموا خطة الدفاع . ولما رأى سلمان الفارسي ^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٢٢٩ — ٢٣٠ ، المفريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٦ — ٢١٧ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٠٨ .

(٣) كان سلمان من أسرة فارسية في أصبهان ، تدين بالمجوسية ، ثم اعتنق الديانة النصرانية التي كانت إذ ذاك منتشرة في العراق . وعندما فطن أبوه لذلك حاول أن يصرفه عن ذلك الدين الجديد ، فخبسه ليحول بينه وبين الاتصال بالنصارى المقيمين بجواره ، لكنه استطاع الهرب ؛ فخرج مع قافلة كانت تقصد بلاد الشام ، ثم التقى ببعض التجار وطلب إليهم أن يحملوه إلى بلاد العرب فأظهروا له استعدادهم لإجابة طلبه . ولما بلغوا وادي القرى باعوه لرجل يهودي ، ثم انتقل من =

يهم بالمقام في المدينة حتى يرد إليها الأعداء فيحاربهم ، أشار عليه بحفر خندق حول المدينة ^(١) .

أعجب الرسول برأي سلمان الفارسي وركب مع بعض أصحابه ليرتاد موضعاً ينزله ، فرأى أن ينزل بسفح سلع — وهو جبل بالشمال الغربي من المدينة — ، ثم دعا المسلمين وأخبرهم بأن عدوهم على مقربة منهم ، ودلهم على الموضع الذي ارتاده لهم لحفر الخندق وعين لكل قبيلة حداً يحفرون إليه ، واشتغل معهم بنفسه في الحفر ، وجعل للخندق أبواباً عهد بحراستها إلى نفر من المسلمين ، فاختار من كل قبيلة رجلاً وولى الزبير بن العوام الرئاسة عليهم ^(٢) . ولما تم حفر الخندق عسكر الرسول وأصحابه ، فجعل جبل سلع خلف ظهره والخندق أمامه ^(٣) .

أقبل القرشيون وحلفاؤهم في هذه الأثناء لمهاجمة المدينة ونزلوا في شمالها بمكان يعرف بمجتمع الأسيال ^(٤) ، ثم عمد أبو سفيان إلى استمالة بني قريظة ؛ فانتدب لذلك حُيَيُّ بن أخطب النضري وقال له : « أنت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد » ، فزل حُيَيُّ على كعب بن أسد سيد بني قريظة وأخذ يبين له أن من مصلحته ومصلحة قبيلته نقض العهد الذي بين قومه وبين الرسول والانضمام إلى جانب قريش وحلفائها ؛ فامتنع أول الأمر ، وما زال به حتى أقنعه بالعدول عن رأيه وأجاب طلبه ؛ وبذلك نقض بنو قريظة حلفهم مع الرسول ^(٥) .

ملكية هذا الرجل إلى ابن عم له من يهود يثرب . ولما هاجر النبي إلى المدينة ، أسرع سلمان إلى اعتناق الإسلام كما فعل كثير من الأرقاء وساعده النبي على أن يؤدي لولاه مبلغاً معيناً من المال ليسترد حريته .

ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٢٣٣ — ٢٤٠ .

ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ص ٦٠ .

(١) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٧ .

(٣) الطبري : ج ٢ ص ٢٣٧ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٠ — ٢٢٥ .

(٤) ابن الأثير : ج ٢ ص ٦٧ .

(٥) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٢٣٥ — ٢٣٦ وابن سعد : كتاب الطبقات الكبير

ج ٣ ص ١٠٩ .

لما علم الرسول أن بني قريظة نقضت ما بينه وبينها من عهد وتأهبت مع قريش لمحاربة المسلمين ، اشتد ذلك عليه ؛ وبعث سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج ، وأسيّد بن حُضير ليُحققوا ما بلغه عن موقف بني قريظة وأوصاهم بالألّا يجهروا بما يرونه خشية أن يفت ذلك في عضد المسلمين^(١) . فلما قدموا على بني قريظة ثبت لهم تغير موقفهم نحو الرسول وعزمهم على الغدر . فكان ذلك مما أوقع الذعر في قلوب المسلمين لأنهم رأوا العدو أحاط بهم من فوقهم ومن أسفل منهم^(٢) . وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في سورة الأحزاب^(٣) : (إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى أن تشرع بنو قريظة في الإغارة على المدينة ليلاً . فلما وصله أنها تأهبت لمهاجمتها عهد إلى فريق من جند المسلمين بحراسة المدينة . أما القرشيون وحلفائهم فإنهم أقبلوا في هذه الأثناء نحو الخندق ؛ فلما رأوه قالوا : « والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها » ، وصاروا يطوفون بخيلهم حول الخندق لعلمهم يعثرون على مضيق منه يمكنهم من عبوره . ولم يخف على المسلمين حركات المشركين ، فردوهم على أعقابهم حين حاولوا اقتحام مضيق من الخندق^(٤) .

لم يشتبك المسلمون مع القرشيين وحلفائهم في حرب حاسمة في واقعة الخندق ، وإنما اقتصر الأمر على مبارزات فردية بين الفريقين وحصار من ناحية قريش للمدينة^(٥) . ومع أن هذا الحصار لم يطل أمده فإن أثره كان سيئاً بالنسبة للمسلمين . فلما اشتد عليهم البلاء بسبب ذلك الحصار ، رأى الرسول أن الحيلة التي اتبعها قريش لاستمالة بني قريظة إلى جانبها يستطيع أن ينقضها بحيلة مثلاً . فعهد إلى نعيم بن مسعود الغطفاني بتفريق

(١) الطبري : ج ٢ ص ٢٣٧ — ٢٣٨ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٠٩ والمقريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧

(٣) آية ١٠ و ١١

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٢٤ ، الطبري : ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٥) الطبري : ج ٢ ص ٢٣٨ ، النبهاني : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٨٥ .

كلمة الأحزاب — وكان قد قدم مع قومه لمحاربة المسلمين فهداه الله إلى الإسلام وأتى النبي ليلاً وأعلن له إسلامه ، كما طلب إليه أن يكلفه بما يريد — ؛ فقال له الرسول : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة ^(١) » .

كان نعيم بن مسعود على جانب عظيم من الدهاء والمكر ، كما أنه كان صديقاً لبني قريظة . فتوجه إليهم في بادئ الأمر ، وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان حتى يأخذوا منهم رهناً من أشرفهم ؛ فقبلوا رأيه ، ثم قدموا على أبي سفيان وبخضرتة كثير من رجال قريش ؛ فأعلمهم أن بني قريظة قد ندموا على ما كان منهم وأنهم راسلوا محمداً بأنهم سيساموه سبعين رجلاً من أشرف قريش وغطفان ليضرب أعناقهم على أن يعيد بني النضير إلى ديارهم يثرب ، وأنهم سيكونون معه حتى يردوا قريشاً عنه ، وأشار عليهم ألا يعطوا بني قريظة الرهائن . ولما فرغ نعيم من التحدث مع قريش ، ذهب إلى غطفان ، فأعلمهم عن بني قريظة بما أعلم به قريشاً عنهم ، وحذرهم أن يعطوهم رهناً ^(٢) .

ولما كانت ليلة السبت من شوال سنة ٥ هـ ، أرسل أبو سفيان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل مع نفر من قريش يطلب منهم الخروج غداً لمحاربة الرسول ^(٣) ؛ فقالوا : « إن غداً السبت لا نقاتل فيه ولا نعمل عملاً ، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم لئلا تبحروا ، فإننا نخشى أن أصابتكم الحرب أن تسموا إلى بلادكم وتدعونا إلى محمد ولا طاقة لنا به » ، فثبت لقريش صحة ما قاله نعيم بن مسعود ورأوا أن اليهود تقضوا ما تعهدوه لهم .

كذلك أرسلت غطفان إلى بني قريظة رسولا يطلب منهم الخروج معهم لمحاربة الرسول ، فأجابوه بمثل ما أجابوا رسول قريش ؛ فأتضح لغطفان صحة ما قاله نعيم . وبذلك يشك كل منهم من مساعدة الآخر ؛ وأخذ أبو سفيان ومن معه يلومون حتى

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٢٤٧ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٢٤٧ — ٢٤٩ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٧

(٣) ابن الأثير : ج ٢ ص ٦٩ .

ابن أخطب لنفسه في استمالة بني قريظة ؛ فكان ذلك مما حفزه على أن يعاود الحديث مع بني قريظة في شأن اشتراكهم في محاربة المسلمين . فلم يجد منهم تأييداً له ، وأبوا أن يقاتلوا مع قريش حتى يأخذوا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهاناً عندهم ؛ ثم أرسل الله ريحاً على الأحزاب في ليال شتية شديدة البرد حالت بينهم وبين مواصلة القتال وانطلقوا ليلوى أحد على أحد^(١) . وأنزل الله تعالى في سورة الأحزاب^(٢) يذكر نعمته على المسلمين : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جاءكم جنود ، فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً) .

ولما شرع أبو سفيان في الرحيل إلى مكة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً ، جاء فيه : « باسمك اللهم ، فإنني أحلف باللات والعزى ، لقد سرت إليك في جمعنا وإنا نريد ألا نعود أبداً حتى نستأصلكم ، فرأيت قد كرهت لقاءنا وجعلت مضايق وخنادق ، فليت شعري من علمك هذا ؟ فإن نرجع عنكم فلکم منا يومٌ كيوم أحد . » . فكتب إليه الرسول ، « من محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أبي سفيان بن حرب ، أما بعد فقد بلغنا غرك بالله الغرور ، أما ما ذكرت — أنك سرت إلينا في جمعكم وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا — فذلك أمرٌ يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى . وأما قولك : من علمك الذي صنعنا من الخندق ؟ فإن الله ألهمني ذلك لما أراد من غيظك وغيظ أصحابك ؟ وليأتين عليك يوم تدافعي بالراح ، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل ، حتى أذكرك ذلك »^(٣) .

ولما اطمأن الرسول إلى أن الأحزاب رحلت إلى بلادها ، أذن للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم بالمدينة ، فعادوا فرحين مسرورين بعد أن دام حصار الخندق ما يقرب من ثلاثين يوماً^(٤) .

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١١٤ ، القرطبي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٨ .

(٢) آية ٩ .

(٣) القرطبي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٤) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١١٢ .

ولا شك أنه كان لفشل الأحزاب ورجوعهم عن المدينة منهزمين أثر عظيم في نفوس المسلمين والعرب كافة؛ فقد تبين لهم أن المدينة لا تؤخذ عنوة وإن حشرت لها آلاف الجنود من الحجاز ونجد. وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين جلت الأحزاب عن المدينة: «الآن نغزوهم ولا يغزونا»^(١).

صالح الحديث^(٢):

لم يقع بين الرسول وبين قريش واقعة هامة بعد غزوة الخندق، فقد استنفدت قريش كل مجهودها من هذه الناحية وظل التوتر يسود علاقتها بالمسلمين، وفي هذه الأثناء كانت الخصومة لا تزال قائمة بين المسلمين ويهود المدينة. وقد استطاع المسلمون بعد قهرهم القرشيين في واقعة الخندق أن يقهروا اليهود ويحلوم عن المدينة.

ولما اطمأن الرسول إلى تفوق المسلمين على أعدائهم، فكر في دخول مكة معتمراً؛ فأمر أصحابه بالسير إليها لأداء العمرة، فلبوا طلبه في ذي القعدة من سنة ٥٦ هـ. وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب — وقد بلغ عددهم ما يقرب من ألف وأربعمائة —، ليس معهم سلاح إلا السيوف في أعماها. وأحرم الرسول بالعمرة من ذي الحليفة^(٣) لبي: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» واقتدى به سائر المسلمين؛ فأحرموا بإحرامه، وساق قوم منهم الهدى^(٤) إظهاراً لغرضهم الديني^(٥).

لما بلغ أهل مكة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، اشتد بهم الذعر،

(١) ابن الأثير: ج ٢ ص ٦٩.

(٢) الحديثية: هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة.

ابن سعد ج ٣ ص ١٤٠، المقرئ: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٨٣

(٣) ذو الحليفة: تقع على مقربة من المدينة وبها آبار تسمى آبار علي؛ ومنها يحرم أهل المدينة إذا أرادوا الخروج للحج أو العمرة.

(٤) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ١ ص ١٢١ — ١٢٢.

(٥) الهدى: ما يضحى به الحاج أو المعتمر عند الكعبة.

(٥) ابن هشام: ج ٣ ص ٣٥٥ — ٣٥٦، المقرئ: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٦

ودعوا الأحابيش وحلفاءهم من ثقيف للوقوف إلى جانبهم ، كما عهدوا إلى بعض رجالهم بمراقبة حركات المسلمين وأجمعوا على منع الرسول وصحبه من دخول مكة ومحاربتهم . فخرج خالد بن الوليد على رأس فريق من المشركين للقاء المسلمين وأخذ يزحف بخيله حتى تمكن من مشاهدتهم . لكن الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع أن يسلك مع المسلمين طريقاً بعيداً عن عيون القرشيين وما زال سائراً حتى وصل إلى مكان يقال له الحديبية إطمأن إلى الإقامة به ^(١) .

وبينما الرسول معسكراً بالحديبية ، أرسلت إليه قريش بعض رسلها ليحملوه على العدول عن دخول مكة ويبينوا له الخطر الذي سيلحق به إذا ما حاول دخولها عنوة ومن بينهم عروة بن مسعود الثقفي الذي قال لقريش بعد مقابلته الرسول : « إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم مثل محمد في أصحابه » ^(٢) .

رأى الرسول من ناحيته أن يفاوض قريش في أمر دخوله مكة لأداء العمرة إيثاراً للمسالمة والمودة . فبعث عثمان بن عفان إلى أبي سفيان وأشراف قريش وقال له أخبرهم « إننا لم نأت لقتال أحد وإنما جئنا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمة ومعنا الهدى ننحره وننصرف » ^(٣) . فرفضوا السماح للرسول بدخول مكة ورحب أبان بن سعيد بن العاص بعثمان بن عفان وأجاره ^(٤) .

كانت قريش إذ ذاك قد بعثت فريقاً من رجالها ليهاجموا المسلمين على غرة بالحديبية ، فظفر بهم محمد بن مسامة مما دعاها إلى إرسال نفر آخر من أصحابها ليعادوا الاعتداء على المسلمين ؛ فوقف المسلمون في وجههم وأسروا بعض فرسانهم ^(٥) .

(١) المقرئزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٨٠ — ٢٨٤ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٣٦٢ .

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٤١ ، الطبري : ج ٢ ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٤) المقرئزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٨٩ .

(٥) المقرئزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٠ .

لما لم يعد عثمان بن عفان من مكة بعد أن قضى فيها ثلاثة أيام ، ذاع بين المسلمين أنه قتل مع عشرة من المسلمين — كان الرسول قد أذن لهم بالذهاب إلى مكة لزيارة أهلهم^(١) . فوقف الرسول أثر ذلك يخطب قومه قائلاً : « إن كان حقاً ما سمعنا فلن نبرح الأرض حتى نناجز القوم ؛ البيعة ، البيعة أيها الناس » . فتوافد المسلمون يبايعونه على محاربة قريش . وتعرف هذه البيعة ببيعة الرضوان . وقد نوه الله تعالى بشأنها في سورة الفتح^(٢) ، فقال : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله ، فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) .

رأت قريش أن مناصبة المسلمين العداء وهم معسكرون على مقربة من مكة لا يجديها نفعاً ، فأرسلت وفداً برئاسة سهيل بن عمرو ليفاوض الرسول في الصلح . فلما قدم عليه ، قال له : « يا محمد إن هذا الذي كان — من حبس أصحابك وما كان من قتال من قاتلك — لم يكن من رأى ذوى رأينا ، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به — وكان من سفهائنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة » فقال له الرسول : « إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي » ؛ فبعث سهيل بن عمرو رسولاً من قبله إلى قريش يطلب منها إطلاق سراح عثمان بن عفان ومن معه من المسلمين ، فأجابت طلبه . ولما قدم عثمان بن عفان ورفاقه من المهاجرين على الرسول ، أعاد إلى قريش رجالها الذين أسروا^(٣) .

لما رأى سهيل بن عمرو مسارعة المسلمين إلى بيعة الرسول ، اشتد رعبه ، وعول على العودة إلى مكة ليخبر قريش بما شاهده بنفسه ؛ فأشار عليه أهل الرأي منهم بالصلح على أن يرجع الرسول عنهم عامه هذا ويعود في العام المقبل . فقدم سهيل بن عمرو على الرسول بالحديبية وأظهر له رغبة قومه في مصالحته على أن يرجع عن مكة دون

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٣٦٤ .

(٢) آية ١٠ .

(٣) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٠ — ٢٩١ .

أن يزور البيت الحرام ، ويعود إليها في العام التالي فيقضى بها ثلاثة أيام^(١) . فشاوّر الرسول أصحابه فيما عرضته عليه قريش ، فكرهوا إجابتها إلى ما طلبت . لكن الرسول كان يرى الموافقة على ما طلبته قريش ، وأظهر بعض أصحابه تذرهم من ذلك .

ولما تم الاتفاق على عقد معاهدة الصلح بين الرسول والقرشيين ، ولم يبق إلا كتابة شروطها ، قام عمر بن الخطاب وقال للرسول : « أأنت رسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ ، قال : بلى ، أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطي الدينونة في ديننا ، فأجابه بقوله : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني^(٢) . فعلم المسلمون أن الأمر ليس أمر مشورة ومفاوضة وإنما هو وحي من الله سبحانه وتعالى ، فتأبوا إلى الله وأيدوا ما فعله الرسول .

اتفق الرسول وسهيل بن عمرو في كتاب الصلح على الشروط الآتية^(٣) :

- ١ — أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين لمدة عشر سنين .
 - ٢ — أن يرد الرسول من يأتيه من قريش مسلماً بدون إذن وليه ، ولا تلزم قريش برد من يأتي إليها من عند محمد .
 - ٣ — من أراد الدخول في عهد قريش فله ذلك ، ومن أراد الدخول في عهد محمد من غير قريش جاز له ذلك .
 - ٤ — أن يرجع الرسول هذا العام دون أن يؤدي العمرة ، فإذا كان العام القادم دخل مكة بعد أن تخرج منها قريش ، ليس معه إلى سلاح المسافر .
- وبعد أن تمت كتابة شروط الصلح ، أعلن الحاضرون من خزاعة دخولهم في

(١) القرظي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٢ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٣٦٥ — ٣٦٦ .

(٣) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٣٦٦ ، القرظي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٧ .

عهد محمد وعقده ، ثم قام الحاضرون من بني بكر وأعلنوا دخولهم مع قريش في عهدها وعقدها ^(١) .

استاء المسلمون من صد المشركين لهم عن زيارة بيت الله الحرام وعودتهم إلى المدينة دون أن يؤدوا العمرة ، وظنوا أن النبي تساهل مع قريش حيث يجب أن يشتد . ولما دعاهم بعد أن فرغ من كتاب الصلح إلى القيام بالشعائر التي يقوم بها الحجاج والمعتمرون وهي : نحر الهدى وحلق شعر رؤسهم والتحلل من إحرامهم ، لم يجبه أحد إلى ذلك في بادئ الأمر ، لكنهم ما لبثوا أن اقتدوا به حين شرع في نحر هديه ، فسارعوا إلى هديهم ينحرونه ، ثم أمرهم الرسول بالرحيل إلى المدينة ^(٢) . وبينما هوى طريقه إليها أنزل الله عليه سورة الفتح ؛ فتلا على أصحابه قوله تعالى : (إنا فتحنا لفتحنا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً .)

وقد سر المسلمون بنزول هذه السورة وأقبلوا على الرسول يهنئونه ، واطمأنوا إلى أن صلح الحديبية فتح مبين ^(٣) .

إذا أنعمنا النظر في صلح الحديبية نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم آثر السلم على الحرب مع ما صار إليه المسلمون وقتئذ من المنعة والقوة والقدرة على الفتك بأعدائهم ^(٤) ، كما نلاحظ في شروطه بعض التكافؤ ، ففي الشرط الأول نجد أن الهدنة لمدة عشرين بين الفريقين ، لا يعتدى أحدهما على الآخر ؛ وكذلك في الشرط الثالث ، نجد أن بعض القبائل دخل في جانب قريش مثل بني بكر ، وبعضها دخل في جانب النبي كخزاعة .

لكن هناك شرطان آخران ، لا نلاحظ فيهما هذا التكافؤ .

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٤٢ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٣٦٨ — ٣٦٩ .

(٣) القرطبي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٠٢ .

(٤) جاد المولى : محمد المثل الكامل ص ٢٠٧ .

أولهما : من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لا يردوه عليه ؛ فقريش في هذا الشرط أخذت ولم تعط .
ثانيهما : أن يعود النبي في عامه هذا إلى المدينة ، فلا يدخل مكة إلا في العام القادم بعد أن تخرج منها قريش . في هذا الشرط نجد أن المفاوض القرشي ، أظهر قوة قبيلته وسيطرتها على مكة .

على أن قبول الرسول هذين الشرطين لا يعد شهاونا منه في حقه أو استسلاما أمام قوة قريش ، بل إنه قبلهما سياسة منه . فالشرط الذي يلزمه أن يرد من يأتي إليه من قريش مسلماً لن يصيبه منه أى ضرر ، كما أنه لن يضعف من قوة المسلمين ، لأن الرسول أصبح لا يعبأ بحضور بعض أفراد إليه من قريش بعد أن نازعته ثلاثة عشر عاما ، ثم إنه من ناحية أخرى رأى أن يتفرغ لنشر الإسلام خارج الحجاز ، وإذا ما تم نجاحه في هذا السبيل يوجه قوته إلى محاربة قريش ويصبح من اليسير عليه إحضاع شوكتها . كذلك كان الرسول يرى أن من يلجأ إلى قريش من المسلمين ليس جديراً بأن يعود إليهم .

أما الشرط الذي يحتم على الرسول الرجوع إلى المدينة دون أن يؤدي العمرة ، ففيه تضحية بسيطة . لكن في مقابل هذه التضحية استفاد الصلح لمدة عشر سنوات يتفرغ فيها لنشر الدعوة الإسلامية ، ويتفرغ فيها أيضاً للتخلص من اليهود الذين زاد تقوؤهم في بلاد الحجاز في ذلك الوقت .

نهاية النزاع بين المسلمين في المدينة والقرشيين في مكة :

لما انتصر الرسول على اليهود في خير في السنة السابعة للهجرة وأبعد بذلك الخطر الذي كان يهدد المدينة من قبلهم وصارت دولته الإسلامية الناشئة في أمن وطمأنينة ، أمر الرسول أصحابه الذين شهدوا الحديبية بالخروج معه إلى مكة ليعتصروا قضاء^(١)

(١) عرفت هذه العمرة بعمرة القضاء لأنها ذائبة للعمرة السابقة التي لم يؤديها المسلمون ، كما يقال لها غزوة القضاء وعمرة الصلح ؛ وتعرف أيضاً بعمرة القصاص لأن القرشين صدوا الرسول في ذي القعدة سنة ٦ هـ — وهو من الأشهر الحرم — فاقتص رسول الله منهم فدخل مكة في ذي القعدة سنة ٧ هـ . ابن هشام : ج ٣ ص ٤٢٤ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٣٦ .

لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها^(١) — وكانت قريش قد أذنت له في صلح الحديبية بأن يؤدي العمرة في هذا العام — ، فلبوا دعوته . ولم يتخلف عنه إلا الرجال الذين استشهدوا بخيبر والذين ماتوا ، كما سارع إلى الخروج معه فريق آخر من المسلمين ، حتى بلغ عدد الخارجين بصحبة الرسول لأداء العمرة في ذى القعدة من سنة ٧ هـ ألفين .^(٢)

لما دخل المسلمون مكة ، نفذت قريش مأخذته على نفسها ، فصعدت في التلال حيث ضربت الخيام حتى لا يقع ما يعكر صفو العلاقات بين الفريقين . غير أن جماعات منها وقفت عند دار الندوة تتطلع إلى المسلمين أثناء طوافهم ببيت الله الحرام . واتخذ المسلمون الحيلة لدرء أى خطر يتعرض له الرسول أثناء طوافه حول الكعبة وسعيه بين الصفا والمروة ؛ فقاموا على حراسة خشية أن يعتدى عليه أحد سكان المدينة .^(٣)

لبث المسلمون بمكة ثلاثة أيام ، أتموا خلالها فرائض العمرة ، وزار المهاجرون منهم دورهم التي تركوها ، ثم أمرهم الرسول بالعودة إلى المدينة فوصلوا إليها في آخر سنة ٧ هـ .^(٤) وبعد قليل فرض عليهم الحج^(٥) وأصبح ركنا من أركان الشريعة الإسلامية .

* * *

كان لاتخاذ المسلمين الكعبة قبلة لهم في الصلاة في السنة الثانية للهجرة^(٦) ،

(١) التيهانى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٠٠ .

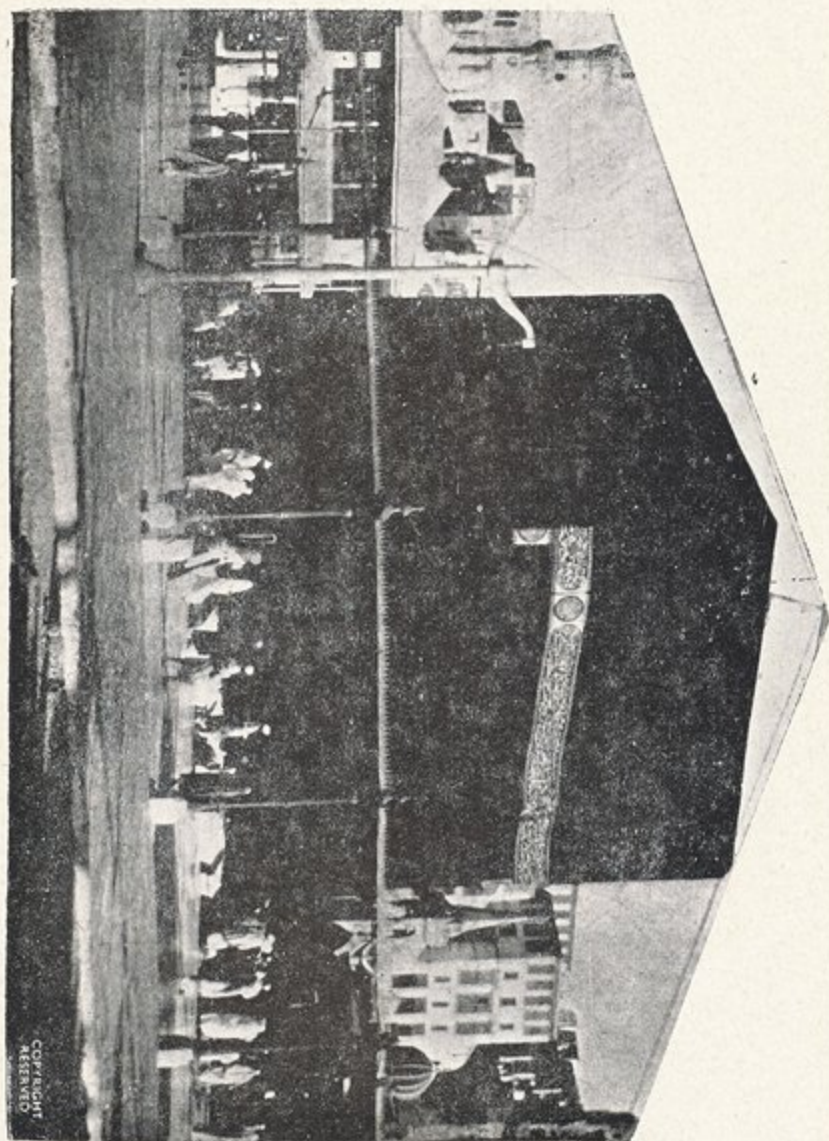
(٢) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٣٦ ، التيهانى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٠٠ .

(٣) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٣٧ — ٣٣٨ .

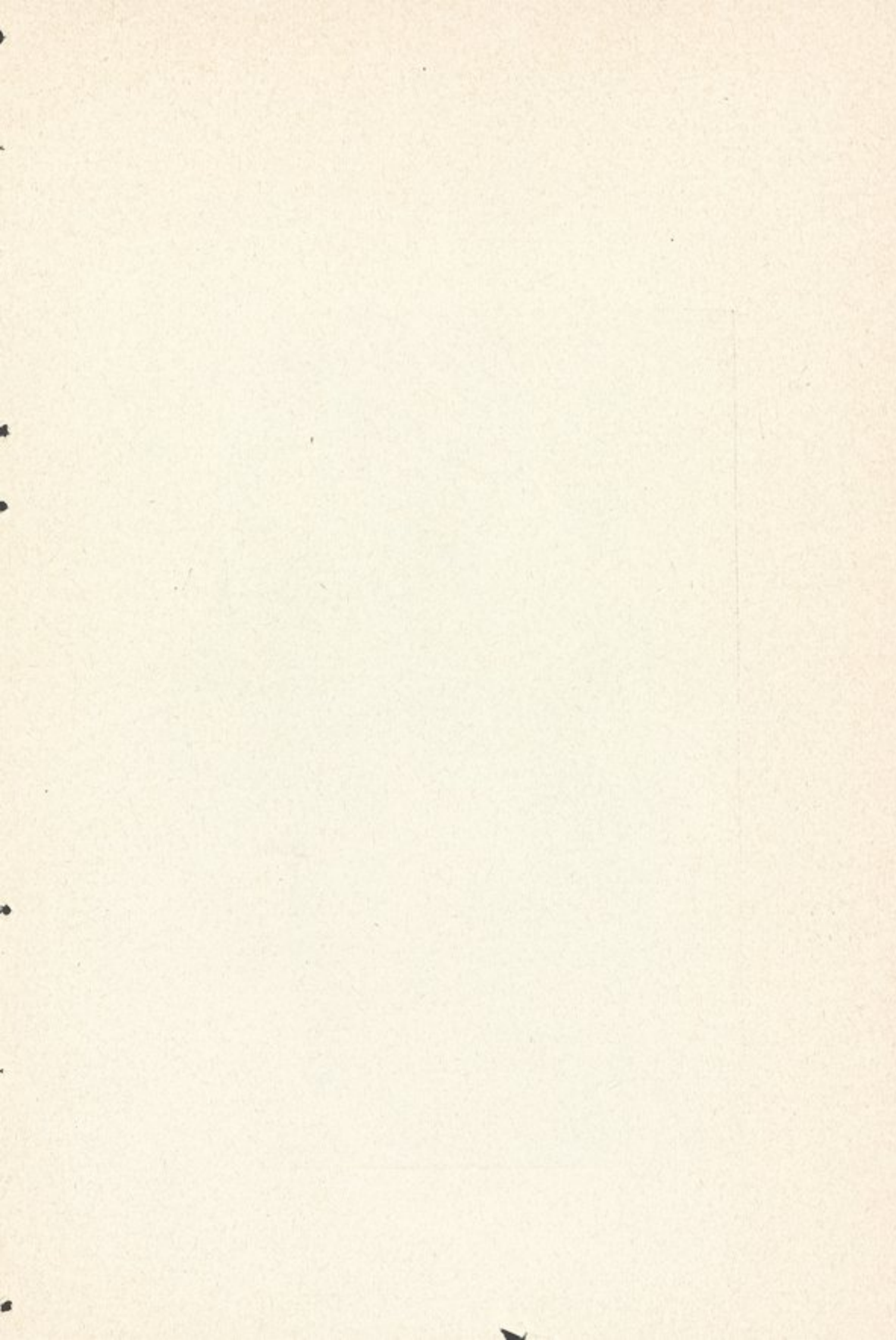
(٤) ابن هشام : سيرة النبی ج ٣ ص ٤٣٦ .

(٥) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٥٤ .

(٦) كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة يجعل الكعبة ببنه وبين بيت المقدس في صلته ؛ فيستقبل وسط جدار الكعبة الممتد من الركن اليماني إلى الركن الجنوبي الشرقي وهو الذى فيه الحجر الأسود . فلما هاجر إلى المدينة ظل ستة عشر شهراً يصلى إلى بيت المقدس . وكان يود



الكنيسة السريانية



وفرض الحج عليهم في السنة السابعة قيمة كبيرة من حيث العلاقة بين مكة والمدينة. فهذان التشريعان يساعدان على تقريب مسافة الخلف بين المسلمين في المدينة والقرشيين في مكة التي تسيطر عليها قريش لأن مكة أصبحت مكاناً مقدساً عند المسلمين يفدون إليه لزيارة بيت الله الحرام الذي هو في نفس الوقت قبلتهم في الصلاة. ولا يخفى علينا ما يترتب على ذلك من نمو العلاقات بين الفريقين وحرص المسلمين على أن يكونوا في أمن وطمأنينة إذا ما قدموا مكة لأداء فريضة الحج مما جعلهم يسارعون إلى فتحها في السنة الثامنة للهجرة.

أخذت قريش بعد صلح الحديبية تغير نظرها إلى النبي وتغير حكمها عليه، وأصبحت ترى أنه قرشي على الرغم من العداوة بينها وبينه، يجمعه وإياها نسب واحد وصارت تعجب في نفسها بعلو شأنه ونجاحه السياسي مما حمل بعض رجالها كعمرو ابن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة على الهجرة إلى المدينة ومبايعة الرسول على الإسلام^(١). وفضلاً عن ذلك فإنها أيقنت من عجزها عن القضاء على نفوذ ودعوته بعد أن جرّبت معه كل وسائل العنف من اضطهاد ومحاربة وتآليب قبائل العرب عليه.

أما الرسول فكان واثقاً من تفوقه على قريش، فأخذ يعاملها معاملة من يشعر بقوته، ذلك أنه قد اتفق معها في صلح الحديبية على أن يرد إليها من جاءه بدون إذن وليّه؛ فصار يرد من جاءه من الرجال مسالماً. ولما جاءه نسوة مؤمنات، أنزل الله عز وجل (يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لا هُنَّ حلّ لهم ولا هم

أن يصرف إلى الكعبة، فصار إذا ماسى يرفع رأسه إلى السماء ويدعو الله سبحانه وتعالى أن تكون قبلته قبل البيت الحرام، ففزلت عليه هذه الآية في سورة البقرة: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها. فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون). راجع ماورد عن صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة في (ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٦ - ٩)

يَحْلَتُونَ لَهُنَّ وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمُ أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمٍ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(١) .

فنهى الرسول عن رد النساء المسلمات حين طلبت منه قريش ردهن تنفيذاً لشروط الصلح^(٢) ، وأظهر استعداداه لدفع بعض الأموال لأولياء هؤلاء النساء أزواجاً كانوا أو غير أزواج . فإذا كان زوجاً أعاد له الصداق ، وإذا لم يكن كذلك أدى له بعض المال^(٣) . وقد أقام هذا الحكم على أساس شرعى وهو أن المرأة المسلمة لا يجوز أن تتزوج غير مسلم . وكان لبعض المسلمين زوجات وثنيات ، فأمرهم الرسول أن يطلقوا هؤلاء ، وأصبح ذلك قانوناً شرعياً ثابتاً ؛ فالمسلم لا يجوز له أن يتزوج كافرة ، والمسلمة لا يجوز لها أن تتزوج غير مسلم .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل على انتهاز الفرص لتصفية العلاقة بينه وبين قريش وإتمام النصر عليها . فلما بلغه أنها تقضت صلح الحديبية بإمدادها بعض قبائل بنى بكر بالرجال والسلاح فى الحرب التى قامت بينها وبين حليفته خزاعة ، عول على انتهاز هذه الفرصة للقضاء على مناوئتها وتحقيق رغبته فى دخول مكة وضمها إلى الكتلة الإسلامية ؛ فوعد رسول خزاعة بالمساعدة^(٤) .

على أن قريش ما لبثت أن ندمت على معاوتها بنى بكر ورأت أن ما فعلته نقض صريح للعهد الذى بينهم وبين الرسول ، ثم استقر رأيهم على أن يبعثوا أبا سفيان بن حرب إلى المدينة ليفاوض الرسول فى تجديد معاهدة الحديبية ومد أجلها . فقدم أبو سفيان المدينة ضارعا متذللا وحاول مقابلة الرسول ، فأعرض عنه ورفض طلبه وقال : « نحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبذل .. »^(٥) فرأى أبو سفيان أن يحدد مسعاه لدى أبى بكر وعمر وعلى — وهم من كبار الصحابة

(١) سورة المتحنة آية ١٠

(٢) الطبرى : ج ٢ ص ٢٨٥

(٣) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٣٧٦

(٤) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٨١ .

(٥) المفريزى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٨ .

لعل النبي يقبل رجاءهم ، فأبوا أن يحدثوا الرسول في شيء لا يوافق عليه ؛ فعاد أبو سفيان من حيث أتى ^(١) .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى إذ ذاك أن إخضاع قريش أصبح أمراً ميسوراً ؛ فأرسل إلى أهل البادية وإلى من حوله من المسلمين يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليحضر رمضان بالمدينة » . وبعث رسلاً إلى القبائل ، فوافاه بالمدينة قبائل : أسلم وغفار ومزينة وجُهينة وأشجع ، ولحق به قبائل أخرى في الطريق . وبلغ عدد الذين اجتمعوا إليه من المسلمين في النصف الأول من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة عشرة آلاف ، سار بهم قاصداً مكة ^(٢) .

وقعت في منتصف الطريق أثناء سير النبي إلى مكة عدة حوادث ، تدلنا على أنه كان هناك رغبة من جانب قريش في الاستسلام بطريقة لا تمس كرامتها ومكاتها ؛ من ذلك أن الرسول لقي عمه العباس بن عبد المطلب مهاجراً بعياله ^(٣) ، فأسلم بين يديه ^(٤) . وبعد مرحلة أخرى من مراحل الطريق ، لقي الرسول رجلين آخرين من كبار القرشيين هما : أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة يريدان الإسلام ؛ وأولهما ابن عم النبي والثاني ابن عمته . فالتمسا مقابلة الرسول ، فأعرض عنهما في بادئ الأمر . ولما ألحا عليه واعتذرا له أذن لهما بمقابلته وصفح عنهما ^(٥) .

هناك حادثة أخرى وقعت في الطريق ترينا رغبة سادة قريش في التوسط لأنفسهم وبلدهم لكي ينالوا أماناً من جيش المسلمين . فقد سار العباس بعد مقابلته الرسول يبحث عن رجل يبعثه إلى قريش ليأخذوا حذرهم ويبادروا بالاستسلام ، فلقي أبا سفيان بن حرب الذي خرج من مكة هائماً على وجهه مع بعض أصحابه سعيًا

(١) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٩ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٨٢ .

(٣) ابن هشام : سيرة النبي ج ٤ ص ١٨ .

(٤) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٦٧ .

(٥) ابن هشام : سيرة النبي ج ٤ ص ١٨ ، ابن الأثير : ج ٢ ص ٩٢ .

وراء مقابلة النبي ليأخذ منه أماناً للقرشيين . لكنه لم يحظ بهذا الشرف إلا بعد شفاعة العباس . ولما سمح النبي بمقابلته أسلم بين يديه ، ومنحه الرسول أماناً يتضمن أن « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن » ^(١) . فعاد أبو سفيان إلى مكة داعياً قريش إلى الإسلام ، وصار ينادي بها قائلاً : « يامعشر قريش ، ويحكم إنه قد جاء مالا قبل لكم به ، هذا محمد في عشرة آلاف ، عليهم الحديد فأسلموا تسلموا » ^(٢) .

لما اقترب الرسول من مكة ، اتخذ كل ما لديه من أهبة وحذر ، على الرغم من اعتناق بعض أشراف قريش الإسلام . فقسم جيشه أربعة أقسام ، جعل كل قسم منها يدخل من جهة معينة ليقضي على ما يصادفه من مقاومة ^(٣) . ولم يقع قتال يذكر بين الفريقين إلا مناوشات بسيطة بين القوة الإسلامية التي دخلت مكة من أسفلها - وعلى رأسها خالد بن الوليد - ، وبين فريق من القرشيين وأحايشهم ^(٤) في مكان يقال له الخندمة ^(٥) . لكن خالد ما لبث أن أخضعهم . وانهت هذه المناوشات بدخول المسلمين مكة . وتوجه رسول الله إلى الكعبة وطاف بها سبع مرات وشكر الله على هذا الفتح وحطم ما حولها من الأصنام ، ثم جاءته قريش وأسلموا بين يديه وبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .

عامل الرسول القرشيين معاملة تنطوي على كثير من التسامح ، فأصدر عفواً عاماً عنهم بقوله ^(٦) : « أتمم الطلقاء ، مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) . لذلك سمى أهل مكة الطائفة » ^(٧) .

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٤ ص ٢٠ - ٢٢ .

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ و ٣٧٦ .

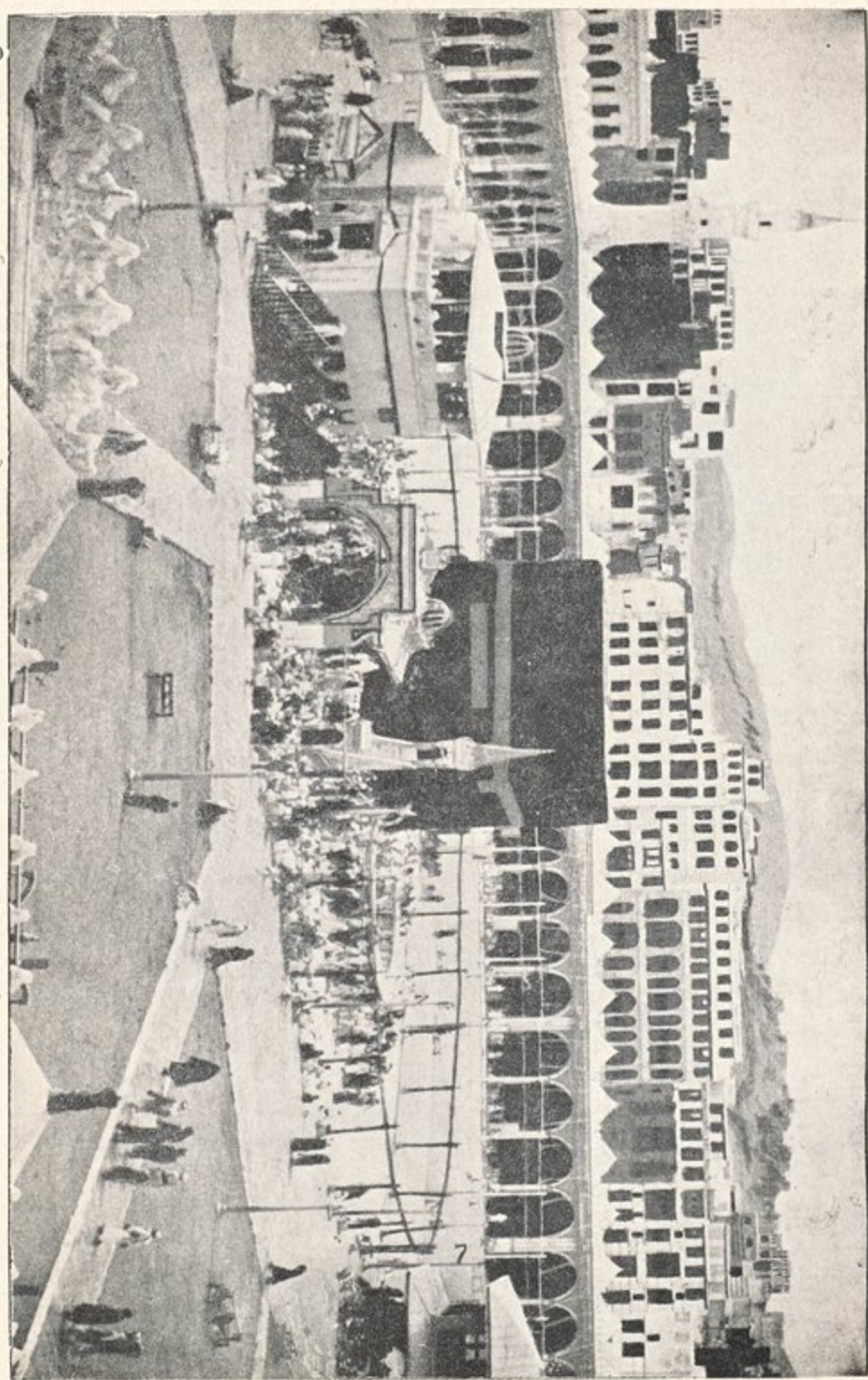
(٣) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٥ - ٢٦ ، اليعقوبي : ج ٢ ص ٤٤ .

(٤) الطبري : ج ٢ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

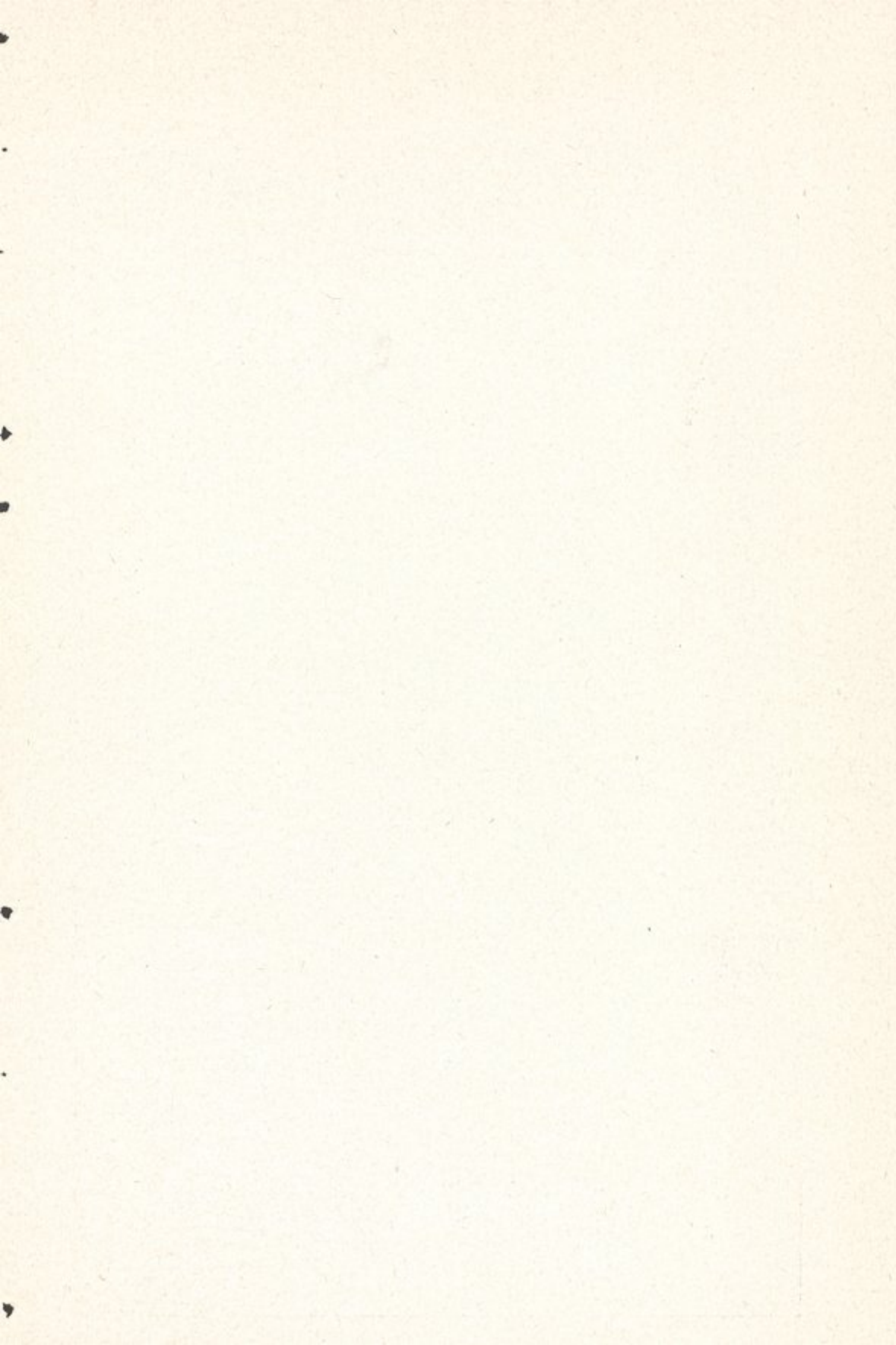
(٥) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٨٣ .

(٦) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٨٢ - ٣٨٦ .

(٧) ابن الأثير : ج ٢ ص ٩٦ .



مكة المكرمة يتوسطها بيت الله الحرام



كما نهى الرسول عن الهجرة بعد فتحه مكة ، وأبقى سقاية الحجاج في يد العباس ابن عبد المطلب وسدانة الكعبة في يد عثمان بن طلحة ^(١) .

كذلك أعلن الرسول حرمة مكة في اليوم التالي لدخوله هذه المدينة في خطبة ألقاها عند باب الكعبة ، فقال : ^(٢) « أيها الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، ويوم خلق الشمس والقمر ، ووضع هذين الجبلين ؛ فهي حرام إلى يوم القيامة ، لا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ولا يعصد ^(٣) فيها شجرًا . لم تحل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد يكون بعدي ؛ ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، ثم رجعت حُرمتها بالأمس ، فليبلغ شاهدكم غائبكم . »

أرسل النبي غداة الفتح بعض سراياه إلى ظواهر مكة وضواحيها لدعوة أهلها إلى الإسلام وللقضاء على معالم الوثنية فيها . فبعث هشام بن العاص إلى يَلَسَم ^(٤) ، وأخالد بن سعيد بن العاص إلى عُسْرَة ^(٥) ، وخالد بن الوليد إلى العزى بنخله ؛ فلما انتهى إليها هدمها ، وأنفذ عمرو بن العاص إلى سواع صنم هُذَيْل فهدمه . ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله وبرسوله فلا يدعن في بيته صنمًا إلا كسره أو حرقه وثمنه حرام » . وكانت بيوت القرشيين في مكة لا تخلو من الأصنام ، فسارع المساهون إلى كسرها والتخلص منها ^(٦) .

موقف قبائل هوازن وتغلب من الرسول :

كان لقريش حلفاء ظاهروها في حروبها مع الرسول ، نخص بالذكر منهم :

(١) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٨٨ .

(٢) ابن هشام : ج ٤ ص ٣٥ — ٣٦ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٨٩ .

(٣) يعصد = يقطع

(٤) بللم : موضع ، يقع إلى الجنوب من مكة ؛ وهو ميقات أهل اليمن ، فنه يحرمون إذا أرادوا الحج أو العمرة .

(٥) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ١ ص ١٢١ — ١٢٢

(٦) عزرة : واد بجذاء عرفات . (ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ١٥٩)

(٦) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٩٣ — ١٩٥ ، المقرئ : إمتاع

الأسماع ج ١ ص ٣٩٨ ، النبهاني : أنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١١٥ .

هوازن وغطفان وثقيف التي كانت تربطها بقريش بعض العلاقات . فلما قضى الرسول على قريش ومقاومتها ونظامها القديم القائم على الوثنية ، أصبح حلفاؤها هوازن وثقيف وغيرهم من القبائل العربية التي تقيم على مقربة من مكة معزولين أمامه ؛ فرأت هذه القبائل أن الرسول لابد أن يفكر في مهاجمتها . لذلك صممت على محاربتة قبل أن يهاجمها . وتجمع من هوازن وثقيف عدد كبير وساروا يريدون مكة تحت قيادة مالك ابن عوف النصرى سيد هوازن وساقوا معهم على عادة العرب في الجاهلية أموالهم ونساءهم ، ليكون ذلك حافزاً لهم على الاستبسال في الحرب ، كما خرج معهم الشاعر المعمر دُرَيْسُ ابن الصَّحْمَةِ لينتفعوا بخبرته وتجاريه . غير أنهم لم ينتصحوا بنصيحته حين اعترض — بعد نزولهم بأوطاس — على أخذهم أموالهم ونساءهم وأبناءهم في الوقت الذي يتأهبون فيه للقتال ^(١) .

لما علم الرسول بتجمع هذه القبائل لمحاربتة ، خرج من فوره لصد خطرهم على رأس الجيش الذي قدم به من المدينة لغزو مكة ، وانضم إليه ألفان من القرشيين الذين اعتنقوا الإسلام بعد الفتح ، كان من بينهم أبو سفيان بن حرب ^(٢) .

كانت المنطقة التي تقع شرق مكة حيث دارت المعركة بين المسلمين وقبائل هوازن وثقيف جبلية وتتخللها أودية وشعاب . فلما انتهى الرسول إلى حُصَيْن ^(٣) في ١٠ شوال سنة ٨ هـ وعسكر بها ، خال المسلمين شيء من الزهو والإعجاب لكثرة عددهم . أما هوازن وثقيف فكهمسوا في شعاب الوادي وجوانبه ومضايقه وتهيئوا للحرب ، ولما سار المسلمون لمهاجمتهم في الصباح الباكر والضوء لا يزال مختلطاً بالظلام لم يعثروا لهم على أثر . غير أنهم سرعان ما فزعوا واختل نظامهم حين خرج إليهم العدو وانقض عليهم من كل ناحية ؛ ففر كثير منهم وبخاصة الذين أسلموا حديثاً من قريش ^(٤) .

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٠١ — ٤٠٢ .

(٢) ابن هشام : سيرة النبي ج ٤ ص ٦٨ .

(٣) حنين : واد بينه وبين مكة ثلاث أميال بالقرب من الطائف . (المقرئى : إمتاع

الأسماع ج ١ ص ٤٠١) .

(٤) ابن هشام : سيرة النبي ج ٤ ص ٧١ ، المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٠٦ .

وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ هَذِهِ الْآيَةَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ (آيَةُ ٢٦) : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أُنْجِبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ ، فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ) .

رَأَى الرَّسُولُ أَنَّ يُعِيدَ تَنْظِيمَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَمَا وَهَنْتْ عَزِيمَتُهُمْ فَأَنْحَازَ ذَاتَ الْيَمِينِ مَعَ نَفَرٍ ثَبَتُوا مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَأَخَذَ يَنْادِيهِمْ ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ وَالتَفَوْا حَوْلَهُ ^(١) ؛ وَاسْتَوْفَى الْقِتَالَ ، فَأَبْلَى الْمُسْلِمُونَ بِلَاءً حَسَنًا فِي مَقَاتِلَةِ هَوَازِنَ وَثَقِيفٍ وَأَوْقَعُوا بِهِمُ الْهَزِيمَةَ ، فَوَلَّوْا هَارِبِينَ بِدَوْرِهِمْ ؛ وَسَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى الطَّائِفِ وَبَعْضُهُمْ إِلَى نَخْلَةٍ ، وَتَوَجَّهَ قَوْمٌ إِلَى أَوْطَاسٍ تَارِكِينَ أَمْوَالَهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ غَنِيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الرَّسُولُ بَعْضَ صَحَابَتِهِ يَتَعَقَّبُونَهُمْ لِيَقْضُوا عَلَى مَقَاوِمَتِهِمْ ^(٢) .

لَمْ يَشَأْ النَّبِيُّ أَنْ يَشْغَلَ الْمُسْلِمِينَ بِالْغَنَائِمِ ، فَأَمَرَ بِجَمْعِهَا وَوَضْعِهَا فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْجِعْرَانَةُ ^(٣) حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ أَمْرِ الْعَدُوِّ ، ثُمَّ تَأْهَبَ لِلْمَسِيرِ إِلَى الطَّائِفِ لِمُطَارَدَةِ فُلُولِ ثَقِيفٍ الَّذِينَ لَجَّأُوا إِلَيْهَا ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ إِذْ ذَاكَ مُحَصَّنَةً وَيَحِيطُ بِهَا سُورٌ يَحُولُ دُونِ اقْتِحَامِهَا . فَنَزَلَ الرَّسُولُ مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ حَصْنِ الطَّائِفِ ^(٤) ، فَأَعْتَدَى أَهْلُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ بِنَبَالِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، مِمَّا اضْطُرَّ الرَّسُولُ إِلَى أَنْ يَعْسَكَرَ بِمَكَانٍ آخَرَ يَأْمَنُ فِيهِ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنْ رَمَى أَهْلِ الطَّائِفِ ^(٥) . وَنَادَى مُنَادِيهِ أَثْنَاءَ حَصَارِهِ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بِأَنْ مَنْ يَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ عِبِيدِهَا يَصْبِحُ حُرًّا ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا ، فَأَعْتَقَهُمْ وَوَكَّلَ أَمْرَ النِّفْقَةِ عَلَيْهِمْ إِلَى بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا أَمَرَ بِتَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ ؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ ^(٦) .

ظَلَّ الرَّسُولُ يَحَاصِرُ الطَّائِفَ مَا يَقْرُبُ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا . وَلَمَّا حَلَّ شَهْرُ

(١) ابن هشام : ج ٣ ص ٧٢ — ٧٤ ، الطبري : ج ٢ ص ٣٤٧ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٢٠١ — ٢٠٢ ، الطبري : ج ٢ ص ٣٥١ .

(٣) الجعرانة : تقع بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب (ياقوت : معجم البلدان

ج ٣ ص ١٠٩)

(٤) القرظي : لمتاع الأسماع ج ١ ص ٤١٦ .

(٥) الطبري : ج ٢ ص ٣٥٤ ، النبهاني : الأنوار الحمديدية من الواهب اللدنية ص ١٢١ .

(٦) ابن هشام : ج ٤ ص ١٣٠ . ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٢١١ .

ذى القعدة . وهو من الأشهر الحرم — رفع عنها الحصار وانصرف عائداً إلى الجعرانة ليقسم سجنى أهل حنين وغنائمهم^(١) ، فوصل إليها في اليوم الخامس من هذا الشهر^(٢) .

قدم على الرسول أثناء إقامته بالجعرانة وفد هوازن وأخبروه بإسلامهم وإسلام قبيلتهم وتوسلوا إليه أن يرد عليهم ذراريهم وأموالهم . ولم يفت هذا الوفد أن يحدث الرسول عن الصلة الوثيقة التي تربطه بهوازن ، فقد قضى أيام الطفولة بين قبيلتهم حيث أرضعته السيدة حليلة — وهي من هوازن — ، فقالوا له : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، فامن علينا ، من الله عليك إنما في هذه الحظائر عمتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك^(٣) . . .

كان لهذا الحديث أثره في نفس الرسول ؛ فخيرهم بين أخذ السبي أو الأموال فقالوا له : « يا رسول الله ، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد علينا نساءنا وأبنائنا فهم أحب إلينا^(٤) » .

على أن النبي لم يرمبراً للاعتداء على حق جيشه في الغنيمة وعول على أن يتصرف في حقه الخاص وحق أهل بيته ؛ فقال لوفد هوازن : « أما ما كان لي ولبنى عبد المطب فهو لكم » فاقتدى به المهاجرون والأنصار ، وأبى بعض الأعراب النزول عن نصيبهم في السبي . فقام الرسول وألقى خطبته على أصحابه ، وعد فيها الذين يخلون سبيل ما عندهم من السبي بنصيب مضاعف في أول فيء يفيئه الله عليه ؛ فقال : « إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بهم ، خيرتهم بين النساء والأبناء والأموال ، فلم يعدلوا بالنساء والأبناء شيئاً ؛ فمن كان عنده منهم شيء ، فطابت نفسه أن يرده فسبيل ذلك ، ومن أبى منكم ويمسك بحقه فليرد عليهم ، وليكن ذلك فرضاً علينا ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا به » . فقالوا له : يا رسول

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٧ .

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٢٠ .

(٣) ابن هشام : ج ٤ ص ١٣٤ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٢٦ — ٤٢٧ .

(٤) ابن هشام : ج ٤ ص ١٣٥ .

الله ، رضيانا وسامنا . وما لبثوا أن ردوا على هوازن نساءهم وأبناءهم^(١) .

أما الأموال التي غنمها المسلمون من هوازن فقسمها الرسول على المؤلفة قلوبهم من كبار القرشيين وغيرهم من العرب الذين أساموا حديثاً ؛ ولم يعط الأنصار شيئاً منها مما جعلهم يغضبون في أنفسهم ؛ وقال بعضهم لبعض : « لقي والله رسول الله قومه » . ولما بلغ النبي حديثهم ، دعاهم ليزيل من نفوسهم الغضب والخوف ؛ وقال لهم : « يا معشر الأنصار ، ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ؛ ألم آتكم ضللاً فهذاكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم . . قالوا : بلى . . فقال الرسول ، وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في شيء من الدنيا تألفت به قوماً أساموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن تذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعر وترجعون برسول الله إلى رحالكم ؛ والذي نفسي بيده ، لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار . . . وختم حديثه بقوله . « اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » . فقال الأنصار : « رضيانا برسول الله قسماً وحظاً^(٢) » ؛ وبذلك هدأت نفوسهم .

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن ينصرف مع أصحابه إلى المدينة أن يؤلئى على مكة عتبات بن أسيد لينظم أمور المسلمين بها . وكان قد عينه قبل ذلك أميراً على الذين تخلفوا عنه بمكة حين خرج لمحاربة قبائل هوازن وثقيف ، كما ترك معه معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري ليعلموا الناس القرآن ويفقههم في الدين^(٣) .

لم تسارع قبيلة ثقيف إلى الدخول في الإسلام كما فعلت حليفتها هوازن ، بل احتفظت بوثنيتها وتملكها شيء من الزهو حين انصرف جيش المسلمين دون أن يفتح بلادهم . ولكن بعض زعمائها ما لبثوا أن وقفوا على حقيقة الحال في جزيرة

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٢٠٤ ، القرظي : إمتاع الأسماع

ج ١ ص ٤٢٨ — ٤٢٩ .

(٢) القرظي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٣١ — ٤٣٢ .

(٣) القرظي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٢٢ .

العرب ورأوا أن المسلمين أصبحوا بها قوة كبيرة ، وأن من مصلحتهم الدخول في الإسلام . ومن هؤلاء عروة بن مسعود الثقفي الذي لحق بالرسول في المدينة وأسلم واستأذنه في العودة إل بلده لتحويل عشيرته إلى الإسلام . فلما قدم الطائف أعلن نبذ عبادة الأصنام ودعا الناس إلى الإسلام . وبيدنا كان يقوم بنشر دعوته إذا بسهم يصيب منه مقتلاً^(١) ، فمات وهو يحمد الله على أن وهب له شرف الاستشهاد^(٢) .

ولما أيقن سادات ثقيف أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب الذين أساموا ، استقر رأيهم على أن يبعثوا إلى الرسول بالمدينة وفداً برئاسة عبدياليل بن عمرو ابن عامر ليعرض عليه صلح ثقيف معه واتفاقهم على الدخول في الإسلام . وكان من بين أعضاء هذا الوفد اثنان من الأحناف هما : الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب وشرحبيل بن غيثان بن سلمة بن معتب ، وثلاثة من بني مالك : هم عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان وأوس بن عوف ونعيم بن خرشة بن ربيعة^(٣) .

لما دنا وفد ثقيف من المدينة ، قابلهم المغيرة بن شعبه ، وسار مسرعاً إلى الرسول ليبشره بقدومهم ؛ فلقاه أبو بكر وقال له : « أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا الذي أحدثه » ، فأجاب المغيرة طلبه . وأخبر أبو بكر الرسول بوصول وفد ثقيف . فأمر لهم الرسول بثلاث خييات من حرير ، ضرب بن في مسجده^(٤) . وصار يجري لهم الضيافة في دار المغيرة^(٥) . وكان الرسول يأتي إليهم كل ليلة بعد العشاء فيحدثهم ويرغبهم في الإسلام^(٦) .

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ١٩٤ ، ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٧٦

(٢) أرنولد : الدعوة إلى الاسلام ص ٤١ (ترجمة)

(٣) ابن هشام : ج ٤ ص ١٩٥ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٨٩ — ٩٠

(٤) ذكر ابن سعد (كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٧٨) أن الأحناف من وفد ثقيف نزلوا على المغيرة بن شعبه فأكرمهم ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بأن يضرب لأعضاء هذا الوفد من بني مالك قبة في المسجد .

(٥) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٩٠ .

(٦) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٧٨ .

وعلى الرغم مما أظهره وفد ثقيف من استعدادهم للدخول في الإسلام ، فإنهم طلبوا من الرسول أن يدع لهم اللات لا يهدمها ، فأبى وعهد إلى أبي سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة بهدمها . كما سألوهم أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم . فقال الرسول : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه ^(١) .

كذلك سأل وفد ثقيف الرسول أن يحرم لهم وجاً ^(٢) . فكتب لهم هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين ، إن عضة ^(٣) وجٍّ وصيده لا يعصده ^(٤) ، فمن وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجحد وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبي محمداً ، وإن هذا أمر النبي محمداً رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . » . وكتب خالد بن سعيد بن العاص بأمر الرسول محمد بن عبدالله ، فلا يتعد أحد فيظلم نفسه فيما أمره به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥) .

أقبل وفد ثقيف على تعلم شرائع الإسلام بعد أن أقنعهم الرسول بأن الدخول في الدين الإسلامي يستلزم اتباع جميع أحكامه . ثم وقع اختياره على عثمان بن أبي العاص الثقفي ليكون أميراً عليهم مع أنه أحدثهم سناً لما رأى من حرصه على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن . وقال له : « اتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً ^(٦) . »

خرج وفد ثقيف من المدينة — بعد أن تم إسلامهم — قاصدين بلدهم ، لينشروا الدعوة الإسلامية بين قومهم . وبعث الرسول معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ليقوما بهدم اللات . فلما بلغوا الطائف ، أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان . فأبى عليه ذلك وقال له : ادخل أنت على قومك . ثم شرع المغيرة في هدم اللات وقام قومه

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ١٩٧ ، الطبري : ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) حرّم وجا : أى أعلن حرمة وج وهو اسم للعطائف موطن قبيلة ثقيف (حاشية رقم ٣

المقرئ : إجماع الأصماع ج ١ ص ٤٩٣)

(٣) عضة : شجر له شوك .

(٤) يعصده : يقطع . حاشية رقم ٢٠١ — ابن هشام ج ٤ ص ٢٠٠)

(٥) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٠٠ ، ابن سعد : الطبقات الكبير ج ٢ ص ٤٩ .

(٦) ابن هشام : ج ٤ ص ١٩٧ ، ابن الأثير : ج ٢ ص ١٠٩ .

بجأيته خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أصيب عروة بن مسعود من قبل^(١).

على أن أهل الطائف الذين حرصوا على التمسك بوثيتهم . سرعان ما دخلوا في دين الله وأصبحوا بعد إسلامهم من أخلص العرب للدين الإسلامي وأشدّهم حرصاً على الذود عنه^(٢) . وقد عبر المغيرة بن شعبه عن تمسك ثقيف بالإسلام بقوله : « فدخلوا في الإسلام . فلا أعلمُ قوماً من العرب بنى أب ولا قبيلة ، كانوا أصح إسلاماً ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله وليكتابه منهم^(٣) » .

٣ — موقف الرسول من يهود الحجاز

كان اليهود قبل ظهور الإسلام قد احتلوا أخصب بقاع الحجاز واستغلوها في الزراعة والصناعة والتجارة . وقد أدى استعمارهم تلك البقاع واعتدادهم بأنفسهم ودينهم وفي كراهة العرب لهم ورغبتهم في إخراجهم من الحجاز . ونلاحظ ذلك بصفة خاصة إلى يثرب حيث كان الأوس والخزرج يبذلون جهدهم للحلول محل اليهود في أراضيهم الخصب . فلما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حرص على تحقيق أحد أمرين : إما أن يختذب اليهود المقيمين بها إلى الإسلام أو يكتسب صداقتهم وإخلاصهم مع بقائهم على دينهم . وتحقيقاً لهذه الغاية ، كتب كتاباً بيّن فيه ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات . غير أنهم لم يدركوا حقيقة موقفهم . فصاروا في عداوة مع الرسول على غير هدى . وأخذوا يصرحون بالشك في رسالته لاشئ سوى أنه عربى والنبوّة في نظرهم مقصورة عليهم . ولأنه أيضاً بُعث في الحجاز والنبوّة في رأيهم إنما تكون في الشام موطن الأنبياء .

كذلك عمل اليهود على إثارة النزاع بين أصحاب النبي وخاصة أهل المدينة ؛ فأخذوا يذكرونهم بالانتصارات القديمة والحروب التي كانت بين الأوس والخزرج وعلى الأخص « يوم بعاث » الذي انتصرت فيه الأوس ، وما إلى ذلك من طرق

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ١٩٨ ، الطبرى : ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٢) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ١١٨ .

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٧٨ .

التفرقة . كما مالوا ناحية قريش حين وقعت الحرب بينها وبين الرسول . وقد ظهر ذلك واضحاً عقب واقعة بدر ، إذ قام شعراء من اليهود يرثون قتلى قريش ويعرضون بالمسلمين .

لم يكن اليهود في بلاد الحجاز متحدين ، وليس بينهم رابطة سياسية تجمعهم ، بل كانوا قبائل متفرقة ، تعيش كل منها في حدود نظامها . فلما أظهروا عداوتهم للمسلمين ، لم يكونوا جبهة واحدة للوقوف أمامهم ، فحاصرهم الرسول قبيلة بعد قبيلة وأجلاهم عن المدينة ، ثم أخذ يفتتق حركاتهم بعد أن اجتمع شملهم بخير ، فسار إليهم وأضعف من شوكتهم .

كانت قبيلة بنى قينقاع أول من استهدف من يهود المدينة لمقاومة المسلمين . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل بينه وبينهم أماناً وشرط عليهم شروطاً ، منها : ألا يظاهروا عليه عدواً . فلما قدم من بدر ، أظهر بنو قينقاع البغى والحسد ونقضوا العهد الذى عقده معهم ^(١) . فأنزل الله على نبيه في سورة الأنفال (آية ٥٨) (وإما تخافن من قوم خيانة ، فانذروهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين) . فجمعهم الرسول بسوق بنى قينقاع وقال : « يامعشر يهود ، أسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل واقعة قريش ، فوالله إنكم لتعلمون أنى رسول الله ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم » . فقالوا : يا محمد ، لا يغرنك من لقيت ، إنك قهرت قوماً أغماراً وإنا والله أصحاب الحرب ولئن قاتلنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا » ^(٢) .

لم يكن لبنى قينقاع حصون ولا معقل ، وإنما كانوا تجاراً وصاغة ، وهم حلفاء لعبد الله بن أبى بن سلول . فسار إليهم الرسول وحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى اضطروا إلى النزول على حكمه الذى تضمن أن تكون أموالهم غنيمته له ، وتكون النساء

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٦٨ ، المفريزى : إمتاع الأسماع

ج ١ ص ١٠٤ .

(٢) ابن هشام : ج ٢ ص ٤٢٦ ، المفريزى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٠٤ .

والذرية لهم . ثم أخلى سبيلهم بعد أن شفع فيهم عبد الله بن أبي ، وأمرهم بالجلاء عن المدينة . فساروا صوب شمال الحجاز حتى نزلوا بأذرعات ^(١) بنسائهم وذرائعهم وقسم الرسول ما غنمه منهم على المسلمين ^(٢) .

كذلك توترت العلاقة بين قبيلة بني النضير وبين الرسول بعد واقعة أحد . ويرجع السبب المباشر في ذلك إلى ما روى من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من الأنصار يعرفون بالقراء ليدعوا أهل نجد إلى الإسلام ^(٣) . فساروا من المدينة حتى نزلوا بئر معونة ^(٤) ، وأنفذوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل . فلما قدم عليه لم يقرأ كتابه وقتله ، ثم استعان بقبائل بني سُلَيم في مقاتلة القراء ، فقاتلوهم . ولم ينج منهم إلا عمرو بن أمية الضمري ^(٥) . وبينما كان هذا الرجل عائداً إلى المدينة لقي رجلين من بني عامر فقتلها — وكان الرسول قد عقد لهما أماناً وجواراً — . ولما علم الرسول بذلك قال لعمرو بن أمية : بئس ما صنعت ، قتلت رجلين قد كان لهما مني أمان وجوار ^(٦) . وبعث عامر بن الطفيل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب دية هذين الرجلين العامرين ^(٧) . فخرج الرسول ومعه بعض أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى إلى بني النضير يستعينهم في ديتهم لأن بني النضير كانوا حلفاء بني عامر ، فوعده بإعائته على دفع الدية . ثم خلا بعضهم إلى بعض وتأمروا على التخلص منه وذلك بإلقاء حجر عليه من فوق البيت الذي كان يجلس تحته . غير أن الرسول سرعان

(١) أذرعات : مدينة بأطراف الشام قبل الحجاز .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٦٨ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٠٥ .

(٣) النبهاني : الأنوار الحمودية من المواهب اللدنية ص ٧٩ .

(٤) بئر معونة : ماء لبني عامر بن صعصعة بين مكة وعسفان . (المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٧٠)

(٥) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٧١ .

(٦) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٧٣ — ١٧٤ .

(٧) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٩٥ .

ما فطن إلى، هذه المؤامرة. فقام من فوره عائداً إلى المدينة ولحق به أصحابه ^(١). ثم بعث إلى بني النضير رسولا من قبله، يأمرهم بالجلء عن بلده ^(٢) لتقضهم العهد بمحاولتهم الغدر به، وأمهلهم عشرة أيام يحاربون بعدها إذا لم يخرجوا؛ فأبوا عليه ذلك. فأمر الرسول أصحابه بالتهيؤ لمحاربتهم، ثم زحف إليهم في ربيع الأول سنة ٤ هـ، فوجدهم مقيمين بحصونهم، ولم تعنهم قرينة بل اعتزلتهم؛ كما أن عبد الله بن أبي وحلفاءهم من غطفان خذلهم ^(٣). فحاصرهم الرسول، وألقى الله في قلوبهم الرعب. فلما رأوا أنه ليس لديهم القوة لمحاربة الرسول، طلبوا منه الصلح ^(٤). فصالحهم — بعد أن ظل يحاصرهم خمسة عشر يوماً — على ألا يتعرض لأحد منهم بسوء، وأن يرحلوا من بلده ولهم ما حملت الإبل من أموالهم ومتاعهم، ورسول الله أرضهم ونخلهم وأسلحتهم ^(٥). فخرجوا من المدينة على ستمائة بعير نقلوا عليها ما استحسنوه من بيوتهم التي خرّبوها بأيديهم. ونزل أكثرهم بخيبر وذبحت طائفة منهم إلى الشام ^(٦).

أنزل الله تعالى في بني النضير وجلاتهم عن المدينة هذه الآيات في سورة الحشر ^(٥) :
(سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهم مَا نَعْتَهُمْ حَصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ، وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

(١) ابن هشام : ج ٣ ص ١٩١ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣١

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ٩٩

(٤) اليعقوبي : ج ٢ ص ٣٧

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣١

(٦) ابن هشام : ج ٣ ص ١٩٢ — ١٩٣ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٨٩

(٧) آية ١ — •

شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ، ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) .

كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ، أى أنها خالصة له يضعها حيث يشاء^(١) . يقول الله تعالى فى سورة الحشر^(٢) : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء) .

فلما غنم الرسول أموال بني النضير ، دعا الأنصار وذكركم بما صنعوا للمهاجرين وإنزلهم إياهم فى منازلهم ، ثم قال لهم : « ليس لإخوانكم من المهاجرين أموال ، فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً ، وإن شئتم أمسكتكم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة » . فقالوا : بل قسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت . فقسم الرسول ما أفاء الله عليه على المهاجرين دون الأنصار^(٣) .

لم يبق بالمدينة من اليهود بعد إجلاء بني النضير إلا بنو قريظة . وكان بينهم وبين الرسول عهد فنتقضوه وانحازوا إلى قريش فى واقعة الخندق^(٤) . وقد أصبح الرسول يرى بعد موقفهم العدائى منه فى هذه الواقعة أن وجودهم بالمدينة خطر عليه . لذلك نجده بعد انصراف الأحزاب يشرع من فوره إلى دعوة المسلمين لمحاربة بني قريظة . فساروا معه وحاصروهم فى حصونهم التى تحصنوا بها . فبعث إليه بنو قريظة رسولا من قبلهم يطلب منه أن يصالحهم كما صالح بني النضير ويخرجون من المدينة بنسأهم وذرائعهم وما حملت إبلهم ؛ فأبى الرسول لأنه رأى أن بني النضير بعد أن أجلاهم عن المدينة ألّبوا عليه الأحزاب ، فأثاروا قريشاً وعرب البادية من غطفان وغيرها ، فإذا ما أجلى بني قريظة كما أجلى بني النضير فإنهم قد بتحالفون مع بني

(١) ابن هشام : ج ٣ ص ١٩٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٣

(٢) آية ٧

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٣ — ٣٤ ، المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١

ص ١٨٢ — ١٨٣ .

(٤) البعقوى : ج ٢ ص ٣٩

جلدتهم من اليهود ضده ويشيرون عليه القبائل العربية التي لم تزل على وثنيها ، هذا إلى أن بنى قريظة كادت تكون سبباً في إلحاق الهزيمة بالمسلمين بمظاهرتها قريش في واقعة الخندق . لذلك رأى الرسول أنه لا بد من التخلص منهم . فلما اشتد عليهم الحصار ، نزلوا على حكمه بعد أن ظل يحاصرهم خمسة عشر يوماً ، فأمر باعتقال أسراهم وأبقى النساء والذراير في ناحية بعد أن أخرجهم من الحصون . وجمعت أموالهم ومواشيهم وأسلحتهم . فطلبت الأوس من الرسول أن يهب لهم بنى قريظة لأنهم حلفاؤهم ؛ فقال لهم : أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم ؟ فرحبوا بذلك . ووقع اختيار الرسول على سعد بن معاذ الأوسي ؛ فلقى هذا الاختيار قبولا منهم . وقضى سعد بأن تقتل رجالهم وتسبي النساء والذرية ، وتقسم أموالهم بين المسبيين . فأقر الرسول هذا الحكم وعمل على تنفيذه ^(١) .

ثم للنبي بالقضاء على بنى قريظة السيطرة على المدينة ، وأصبح يأمن فيها على نفسه بعد أن تخلص من العناصر المناوئة ، كما انتفع فقراء المسلمين بصفة خاصة من أنصار ومهاجرين بتلك الأراضي والمنقولات التي كان يمتلكها اليهود .

لم ينته خطر اليهود ببلاد الحجاز بإجلالهم عن المدينة ، فرأى الرسول بعد أن عقد مع قريش صلح الحديبية أن يهاجم خيبر حيث يقيم اليهود الذين كانوا يمتنون بصلات كثيرة إلى قبائل بني قينقاع و بني النضير . وكان الخطر من قبلهم على المدينة لا يزال متوقفاً . فتأهب الرسول للخروج إليهم في السنة السابعة للهجرة وأمر أصحابه بالتهيؤ للغزو ، وأعلن بينهم ألا يخرج معه إلا كل راغب في الجهاد ^(٢) . ثم سار قاصداً خيبر على رأس ألف وأربعمائة من المسلمين الذين كانوا معه في الحديبية .

كان يهود خيبر إذ ذاك يقيمون بحصون على نحو ما كان يفعل بنو جلدتهم ييثرب . ولم يدر بخاطرهم أن الرسول سيغزوهم لمنعتهم ووفرة سلاحهم وكثرة عددهم .

(١) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١١٧ — ١٢٠ ، المفريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٤ — ٢٤٦ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٥٢ ، المفريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٠٩ — ٣١٠ .

لكن الرسول ما لبث أن نزل بساحتهم ليلاً على حين غفلة منهم ، بحيث لم يستطيعوا أن يضمنوا اليهم حلفاءهم . فلما أصبح الصباح وشرعوا يتأهبون لأداء أعمالهم فوجئوا بمشاهدة المسلمين أمامهم ، فذعروا وولوا هاربين إلى حصونهم . ثم دار القتال بين الفريقين وهاجم المسلمون حصون اليهود حصناً بعد حصن وتمكنوا من فتح بعضها عنوة ، كما أخذوا البعض الآخر صلحاً . ومن الحصون التي فتحها المسلمون عنوة حصن الشق والنطاة وحصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ ؛ واستولى المسلمون على حصون الوطيح والكتيبة والسلام صلحاً .

أصبحت الحصون التي فتحت عنوة ملكاً للمسلمين . أما ما أخذ صلحاً ، فقد اتفق الرسول مع أصحابها على أن يبقوا بالأرض يزرعونها مناصفة ، النصف للمسلمين والنصف الآخر لليهود^(١) . ولما سمع أهل فدك^(٢) بتلك المعاملة الحسنة التي عامل بها الرسول أهالي حصون خيبر ، أرسلوا إليه يطلبون الصلح ، فصالحهم وصاروا يعطونه نصف غلة أرضهم^(٣) . وأصبحت فدك خالصة له لأن المسلمين لم يقفوا عليها بخيل ولا ركاب . أما مغنم خيبر فقسمت على أهل الحديبية^(٤) . يقول الله تعالى في سورة الفتح^(٥) : (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه .^(٦))

كان لا تنصر المسلمين في خيبر أهمية خاصة ، فقد ترتب عليه أن أصبح لدولتهم الناشئة أراضي مملوكة خارج المدينة يحبون منها الخراج ، كما أدى إلى وجود جماعة من اليهود يشملها السلطان السياسي للدولة الإسلامية . وهكذا وجد بتلك الدولة لأول مرة أهل ذمة . وقد سمح لهؤلاء الذميين بأن يظلوا على دينهم ويستغلوا أراضيهم وفق الشروط التي تؤخذ عليهم .

(١) ابن سعد : ج ٣ ص ١٦٠ ، المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣١٣ — ٣١٩ ، ٣٢٧ — ٣٢٨

(٢) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان . (ياقوت : معجم البلدان

ج ٦ ص ٣٤٢)

(٣) ابن هشام : ج ٣ ص ٣٨٩

(٤) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٢٦ .

(٥) آية ٢٠

(٦) يعنى خيبر

٤ — توجيه الدعوة الإسلامية إلى سائر بلاد العرب وخارجها

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تخلصه من يهود المدينة وعقده صلح الحديبية مع قريش أن يوجه نظره إلى خارج بلاد الحجاز لينشر بها الدعوة الإسلامية . فأخذ منذ بداية السنة السادسة للهجرة في إرسال رسل من قبله إلى قبائل العرب وأمرائها النواحي ، بل إلى ملوك الدول المعاصرة له . وتعدّ هذه السياسة نقطة تحول هامة في تاريخ بلاد العرب ؛ فبعد أن كانت تلك البلاد مفككة العرى ويخضع بعض أطرافها للنفوذ الأجنبي ، استطاع بسياسته التي اتبعها لتعميم الدعوة الإسلامية أن يمهّد السبيل للتوحيد بلاد العرب سياسياً ودينياً .

كان من بين أمراء العرب الذين أرسل اليهم الرسول كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام ، المنذر بن ساوى أمير البحرين ؛ فقد بعث إليه الرسول كتاباً مع العلاء بن الحضرمي . فكتب إليه المنذر : « أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضي يهود ومجوس ، فأحدث إليّ في ذلك أمرٌ » . فكتب إليه الرسول : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى ، سلامٌ عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أما بعد فإني أذكرك الله عزّ وجلّ فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رُسلِي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن رُسلِي قد أثنوا عليك خيراً ، وإني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب ، فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلن نعتلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية ^(١) » .

وكتب الرسول إلى أميري عُمان جَنْفَر وعُباد ابني الجُلْدَمِي كتاباً بعثه مع عمرو بن السَّهْمِي في ذي القعدة سنة ثمان ^(٢) ، جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ،

(١) النبهاني : الأنوار المحمدية من نواهب المدينة ص ١٦٩ — ١٧٠

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٢٨

من محمد عبدالله ورسوله إلى جيفر وعباد ابني الجملدى ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوكم بدعاية الإسلام ، أسلماً تسلماً ، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وأسيئتكما وإن أبيتما أن تقرّا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيل تحل بساحتكم وتظهر نبوتى على ملككما^(١) . « فأجابا إلى الإسلام وصدقاً بالنبي^(٢) .

وبعث الرسول سليط بن عمرو العامرى إلى هودبة بن على الحنفى وإلى ثمامة بن أثال أميرى اليمامة يدعوهما إلى الإسلام ، فلم يجيبا دعوته^(٣) .

وكتب الرسول إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب دمشق كتاباً بعثه مع شجاع بن وهب^(٤) ، جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبى شمر ؛ سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ؛ وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده ؛ لاشريك له يبقى لك ملكك » . فلما أتاه الكتاب ، قال : من ينزع منى ملكى ، أنا سائر إليه (أى محاربه) ولم يسلم . فقال الرسول : باد وباد ملكه . كذلك بعث الرسول الحارث بن عمرو الأزدي بكتاب إلى صاحب بصرى ، فلما نزل مؤتته^(٥) اعترضه شرحبيل بن عمرو الغسانى وقتله^(٦) .

وكتب الرسول إلى بعض أمراء اليمن ؛ منهم الحارث بن عبد كلال الحميرى وشريح بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال ، ونعمان قيل ذى يزن ومعاقر وهمدان ، وزرعة ذى رعة . يئيدعوهم إلى الإسلام ، وأمرهم أن يؤدوا الصدقة الجزية لمعاذ بن جبل ومالك بن مسرارة ، وأوصاهم بهما خيراً ؛ فبعث إليه مالك بن مسرارة يخبره بإسلامهم ودخولهم فى طاعته^(٧) .

(١) النبهانى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٧٠ .

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٢٧ .

(٣) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٧٩ ، ابن سعد : ج ٢ ص ٢٦ .

(٤) الطبرى : ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٥) مؤتته : قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام . (ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٠)

(٦) النبهانى : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٠٣ ، المقرئى : إمتاع الأسماع

ج ١ ص ٢٤٥ .

(٧) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٢ ص ٢٩ .

كذلك وجه الرسول إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة لجزيرة العرب كتباً مؤادها الترغيب في الدخول في الدين الإسلامي . ولم يطلب منهم الخضوع لسلطانه . فأوفد عمرو بن أمية الضممرى إلى نجاشي الحبشة ، وبعث معه كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام . فكتب إليه النجاشي رسالة يخبره فيها بقبوله دعوته وتصديقه إياها^(١) .

أما هرقل قيصر الروم ، فبعث إليه الرسول كتاباً مع دحية بن خليفة الكلبي ؛ جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ؛ سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ؛ فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين^(٢) . ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولّوا ، فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون^(٣) » . فكتب هرقل إلى الرسول : « إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى ، من قيصر ملك الروم أنه جاءني كتابك مع رسولك ، وإني أشهد أنك رسول الله ، نجدك عندنا في الإنجيل ، بشرنا بك عيسى بن مريم ، وإني دعوت الروم أن يؤمنوا بك ، فأبوا ، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك^(٤) » .

وبعث الرسول إلى كسرى فارس كتاباً مع عبد الله بن حذافة السهمي يدعو فيه إلى اعتناق الإسلام ؛ وإليك نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمد عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله عز وجل ، فإني رسول الله إلى الناس كلهم لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن توليت فعليك إثم

(١) ابن سعد : ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) أى فان عليك مع إثمك إثم الأتباع ، والأريس = الفلاح

(٣) الزبجاني : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٦٦ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٢ .

المجوس . « فلما قرىء عليه الكتاب مرزقه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مرزق ملكه ^(١) .

كذلك وجه الرسول إلى المقوقس حاكم مصر من قبل هرقل امبراطور الروم كتاباً مع حاطب بن أبي بلتعة ، جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم القبط . ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . فأحسن المقوقس استقبال رسول النبي وأجابه بقوله : « قد كنت أعلم أن نبيا قد بقى ، وقد كنت أظن أن مخرجه الشام — وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله — ؛ فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس ، والقبط لا تطاوعني في اتباعه ، ولا أحب أن يعلم بمحاوري إياك ^(٢) . » ؛ وبعث معه بهدية إلى النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

فهذه الكتب التي وجهها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمراء العرب والملوك المعاصرين له توضح لنا سياسته في العمل على تعميم نشر الدعوة الإسلامية ، كما تثبت لنا حرصه على تحقيق ما ورد في القرآن من مطالبة الناس جميعاً بقبول الإسلام . وفيما يلي بعض الآيات التي تشير إلى أن الدين الإسلامي أنزل للناس جميعاً :

قال الله تعالى في سورة (ص) ^(٤) : (إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين) .

وفي سورة (يُس) آية ٦٩ : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حياً ويحقق القول على الكافرين) .

(١) الطبري : ج ٢ ص ٢٩٦ ، النهاية : الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ١٦٦

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ج ٢ ص ٤٢ .

(٣) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ١٣٠

(٤) آية ٨٧ و ٨٨ .

وفي سورة (الفرقان) آية ١ : (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) .

وفي سورة (سبأ) آية ٢٨ : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وفي سورة (الأعراف) آية ١٥٨ : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) .

* * *

أتبع الرسول دعوته السامية لنشر الإسلام خارج بلاد الحجاز بغزو الأراضي الجنوبية لبلاد الشام حيث كان يقيم الغساسنة؛ فأعد جيشاً سنة ٨ هـ تبلغ عدته ثلاثة آلاف ، وأسند رياسته إلى مولاه زيد بن حارثة الكلبي ؛ وأوصى في حالة موته أن يخلفه جعفر بن أبي طالب ، وإذا قتل جعفر حل محله عبد الله بن رواحة الأنصاري ، وإن أصيب عبد الله بسوء فليتنفق المسلمون على إسناد القيادة لرجل منهم ^(١) . كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أمراء الجيش بهذه الوصية ^(٢) : « أوصيكم بتقوى الله ، وبمن معكم من المسلمين خيراً . اغزوا باسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ؛ وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث فإيتهم ما أجاوبك إليها ، فاقبل منهم واكفف عنهم: ادعهم إلى الدخول في الإسلام ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، إن دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم فأخبرهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين ، ويحرم عليهم حكم الله ولا يكون لهم في الفسيء ولا في الغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » .

« وإن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك أن تستنزلهم على حكم الله

(١) اليعقوبي : ج ٢ ص ٤٩

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٥ — ٣٤٦

فلا تستنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟ وإن حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا^(١) ذمتكم وذمة آبائكم خير لكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله».

« وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين للناس، فلا تعرضوا لهم... لا تقتلن امرأة ولا صغيراً ضرعاً^(٢)، ولا كبيراً فانياً، ولا تُغرِقن نخلاً، ولا تقلعن شجراً، ولا تهدموا بيتاً».

سار جيش المسلمين بقيادة زيد بن حارثة إلى تخوم البلقاء — وكانت موطن نفوذ الغساسنة —؛ ولما وصلوا بلدة مُعَان، بلغهم أن هرقل قد نزل مآب من البلقاء في مائة ألف من الروم ومعه من قبائل بهراء ووائل وبكر ونخع وجذام مائة ألف؛ يتولى قيادتهم رجل من قبيلة بليّ يقال له مالك بن رافلة^(٣). فأخذوا يفكرون في الأمر وأرادوا أن يكتبوا إلى الرسول بكثرة عدد العدو ليعث إليهم مدداً أو يأمرهم بالعودة إلى المدينة. فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي في القتال؛ وقال: «والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا بكثرة سلاح ولا بكثرة خيول إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، انطلقوا، والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلا فرسان، ويوم أحد فرس واحد، وإنما هي إحدى الحُسنيين؛ إما ظهور عليهم، فذلك ما وعدنا الله ووعد نبيّنا وليس لوعده خلف، وإما الشهادة فلنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان^(٤)». فتغلبت على المسلمين الحماسة الدينية وعزموا على المضي في سيرهم؛ فمضوا إلى بلدة مؤتة حيث وافاهم المشركون ومعهم ما لا قبل لهم به من العدد والسلاح والديباج والحرير والذهب^(٥). ثم دار

(١) أى تنقصوا ذمتكم ولا توفوا بها.

(٢) الضرع: الصغير السن، حاشية رقم ٣١١ (المقرئى: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٦).

(٣) المقرئى: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٧.

(٤) المقرئى: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٨.

(٥) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير ج ٣ ص ١٧٥.

القتال بين الفريقين ؛ فأخذ زيد بن حارثة اللواء وظل يقاتل حتى قتل ، فخلفه جعفر ابن أبي طالب في القيادة . غير أنه لم يلبث أن استشهد في ميدان القتال وخلفه عبدالله ابن رواحة فقتل ^(١) ؛ ثم ولى المسلمون عليهم خالد بن الوليد ^(٢) . فبذل جهده في النجاة ببقية جند المسلمين وعاد بهم إلى المدينة ؛ فقابلهم أهلها بشيء من السخط . غير أن الرسول لم يشاركهم في الإقلال من شأنهم ، بل أظهر أمله في عودتهم لمهاجمة العدو وإحراز النصر عليه .

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقضى على الآثار التي خلفتها غزوة مؤتة ويقوم بعمل حاسم يحول دون حدوث أى تهديد من قبل الروم . فلما تم له فتح مكة وانصرف عائداً إلى المدينة ، عوّل على غزو حدود بلاد الشام الجنوبية المتاخمة لأعالى الحجاز ليوطد نفوذه بتلك المنطقة ويدعو أهلها إلى الإسلام ؛ فبيّن لأنصاره الجهة التي سيغزونها ليتدبروا أمرهم ويأخذوا أهبتهم — وكان قد بلغه أن الروم جمعت جموعاً كثيرة بالشام وضموا إليهم نخم وجدام وغسّان وعاملة ^(٣) — ، ثم وجه الرسل إلى القبائل ورؤساء العشائر يحثهم على الخروج ويرغبهم في الجهاد ^(٤) . كما أمر بجمع الصدقات للانفاق منها في إعداد الجيش . فجاء أبو بكر الصديق بكل ماله — وهو أربعة آلاف درهم — ، وأعطاه عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما حمل إليه كل من العباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن عباد ومحمد بن مسامة وعاصم بن عدي مالا وفيراً ، وأقبل عثمان بن عفان بألف دينار ليستعين بها النبي على تجهيز جيش المسلمين . كذلك لبى دعوة الرسول الأثرىاء من الرجال والنساء فتبرعوا ببعض أموالهم ^(٥) .

كان الوقت الذي أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يستعد فيه لهذه الغزوة وقت

(١) ابن هشام : ج ٣ ص ٢٣٣ — ٢٣٥ .

(٢) ابن سعد : ج ٣ ص ١٧٥ ، الطبري : ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) ابن سعد : ج ٣ ص ٢١٨ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٤٦ .

(٤) اليعقوبي : ج ٢ ص ٥١ .

(٥) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٤٦ — ٤٤٧ .

عسر وضيق ، كما أن حرارة الصيف إذ ذاك كانت شديدة ، والثمار قد طابت ؛ ويؤثر الناس البقاء بجوار ثمارهم^(١) . فلما دعا الرسول المسلمين إلى الجهاد وجد ثاقلاً من بعض أصحابه وفئوراً من المنافقين . فاعتذر بعضهم بأعذار واهية منها مشاق السفر ومتاعبه وشدة الحر . كما جاء فريق من هؤلاء المنافقين يستأذنونهم في التخلف عن القتال دون أن يكون بهم علة يشكون منها . وتشير إلى ذلك هذه الآيات في سورة التوبة :

(يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إنثاقلتم إلى الأرض ، أأرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل .)
(آية ٣٨)

(لو كان عرضاً قريباً وسفرأ قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشئمة وسيخلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون .)
(آية ٤٢)

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون .)
(آية ٨١)

(إنما يستئذئك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون .) (آية ٤٥) .

(وجاء المعتذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ، سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم .) (آية ٩٠) .

لما تغلب الرسول على الصعاب التي لاقاها في سبيل تجهيز الجيش ، اعتزم المسير إلى حدود بلاد العرب الشمالية . فخرج ومعه ثلاثون ألفاً في أول رجب سنة تسع . وكان عبد الله بن أبي بن سلول إذ ذاك قد عسكر مع أنصاره خارج المدينة بمكان يعرف بثنية الوداع وأخذ يثبط عزائمهم بادعائه أن المسلمين لا محالة منهزمون إذا ما وقفوا أمام الروم ؛ ثم ما لبث أن تخلف عن النبي هو وأتباعه وعادوا إلى المدينة^(٢) .

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٥٠ .

لم يبال الرسول بتخلف هؤلاء المناققين ومضى في سيره حتى وصل تبوك^(١) ، فخطبها رحاله وصالحه أهلها على الجزية^(٢) ، ثم شاور أصحابه في التقدم شمالا والسير إلى حدود الشام ، فقال له عمر بن الخطاب : إن كنت أمرت بالسير فسر ؛ فقال الرسول لو أمرتُ به ما استشرتكم فيه ؛ فقال له بعض أصحابه : يا رسول الله ، إن للروم جموعاً كثيرة ، وليس بها أحد من أهل الإسلام ، وقد دُوت منهم حيث ترى ، وقد أفرغهم دُنُوك ، فلورجعت هذه السنة حتى ترى أو يُحدثُ الله لك في ذلك أمراً^(٣) . فاكتفى الرسول بالعمل على تأمين حدود بلاد الحجاز الشمالية وبعث سراياه إلى الجهات المجاورة لتبوك .

كان الرسول قد وجه رسالة إلى أحد الأمراء المقيمين على الحدود الشمالية ويدعى ليحْنة بن رُوْبة — صاحب أيلة — يطلب إليه فيها إما أن يعلن إسلامه أو يؤدي إليه الجزية^(٤) . فأقبل عليه هذا الأمير — بعد وصوله إلى تبوك — ومعه أهل جرباء^(٥) وأذرح^(٦) وبعض أهل الشام واليمن ؛ فصالحهم وفرض عليهم جزية معينة . وكان بأيلة ثلاثمائة رجل ، فقرر عليهم ثلاثمائة دينار ؛ وكتب ليحْنة بن رُوْبة هذا الكتاب^(٧) : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحْنة بن رُوْبة وأهل أيلة ، سفنهم وسيارتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمن أخذه من الناس وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماءً يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر . »

(١) تقع على بعد اثني عشر فرسخاً من المدينة .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٧١ .

(٣) المقرئزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٦٣ .

(٤) ابن سعد : ج ٢ ص ٤٢ .

(٥) جرباء : موضع من أعمال عمان بالبلقاء (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٧٢) .

(٦) أذرح : بلد في أطراف الشام من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز

(ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١٦١)

(٧) ابن هشام : ج ٤ ص ١٨٠ — ١٨١ ، ابن سعد : ج ٢ ص ٥٥ .

وكتب لأهل جرباء^(١) : « هذا كتاب من محمد النبي رسول الله ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل عليهم . »

وكتب لأهل أذرح^(٢) : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله ومحمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين ، من لجأ إليهم من المسلمين من الخفاة والتعزير^(٣) إذا خشوا على المسلمين وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه .

وكتب لأهل مقنا^(٤) — وكانوا يهوداً^(٥) — « أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم . »

كذلك رأى الرسول أثناء إقامته بتبوك أن يبعث خالد بن الوليد إلى دومة الجندل^(٦) على رأس حملة ، خشية خروج ملكها أكيدر بن عبد الملك ومعاونته جيوش الروم إذا ما أتت من ناحيته ، وتحقيقاً لسياسته التي ترمى إلى بسط سلطانه على شمال الحجاز . وكان أكيدر من كندة ويدين بالنصرانية ، فأمر الرسول خالد بأن يأتي به إليه ، ونهاه عن قتله . فسار إليه خالد وقبض عليه^(٧) ، وأظهر استعدادده ليجريه من القتل حتى يأتي به الرسول على أن يفتح له دومة الجندل ، فقبل أكيدر وفتحت أبواب دومة للمسلمين بعد أن تم الصلح بين خالد وأكيدر على أن ينزل هذا الأخير للمسلمين عن ألفي بغير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ؛ ثم قدم

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٦٨ .

(٢) ابن سعد : ج ٢ ص ٥٥ — ٥٦ ، المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٦٩ .

(٣) التعزير : النصرة بالسيف — (حاشية رقم ٥ — المقرئى : إمتاع الأسماع ص ٤٦٩ .

(٤) مقنا : تقع على مقربة من أيلة (ابن سعد : ج ٢ ص ٤١)

(٥) ابن سعد : ج ٢ ص ٤١ ، ٥٦ .

(٦) دومة الجندل : واحة خصبة ، يقيم بها بطون من كندة ، تقع شمال المدينة على بعد خمسة عشر ليلة .

(٧) الطبرى : ج ٢ ص ٣٧٢ — ٣٧٣ .

خالد بكيدر على الرسول بالمدينة^(١) ، فصالحه الرسول على أداء الجزية وأخلي سبيله^(٢) . وكتب له ولأهل دومة كتابا ، وفيما يلي نصه^(٣) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لكيدر ، حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد^(٤) والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها : أن له الضاحية^(٥) من الضحل^(٦) والبور ، والمعامى^(٧) ، وأغفال^(٨) الأرض ، والحلقة ، والسلاح والحافر ، والحصن ، ولكم الضامنة^(٩) من النخل ، والمعين^(١٠) من العمور بعد الخمس . لا تعدل^(١١) سارحتكم^(١٢) ولا تعدل^(١٣) فاردتكم^(١٤) . ولا يحظر عليكم الثبات . ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات^(١٥) . تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها . عليكم بذلك العهد والميثاق ، ولكم بذلك الصدق والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين . »

انصرف الرسول من تبوك بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة^(١٦) وعاد إلى المدينة دون أن يتابع السير إلى حدود بلاد الشام . ولم يقع قتال بينه وبين الروم كما كان

(١) ابن سعد : ج ٣ ص ٢١٩ — ٢٢٠ والمقرئزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٦٥ .

(٢) ابن سعد : ج ٢ ص ٥٤ — ٥٥ والبلاذري : فتوح البلدان ص ٧٢ — ٧٣ .

(٣) الأنداد : الأمثال والشركاء .

(٤) الضاحية : الأرض البارزة .

(٥) الضحل : الماء القليل .

(٦) المعامى : البلاد المجهولة .

(٧) أغفال الأرض : التي لا آثار بها .

(٨) الضامنة : ما حمل من النخل .

(٩) المعين : الماء الجاري .

(١٠) لا تعدل : لا تصرف عن مرعى تريد .

(١١) السارحة : الماشية التي تسرح في المراعى .

(١٢) الفاردة : ما لا تجب فيه الصدقة .

(١٣) الثبات : النخل القديم الذي ضرب عروقه في الأرض وثبت . راجع ابن سعد : ج ٢ ص ٥٤ — ٥٥ ، حواشي (المقرئزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٦٦ — ٤٦٧) ، حاشية رقم ١ (البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٣)

(١٤) المقرئزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٧٣ .

متوقعاً ، بل اكتفى بتوطيد سلطانه السياسي على شمال الحجاز . وقد تم له ذلك بعد أن أقبلت عليه وفود المستعمرات النصرانية واليهودية من المنطقة الواقعة على مقربة من الحدود الشمالية لبلاد الحجاز ، واتفق معها على أن يؤدوا إليه جزية معينة ؛ وبذلك تيسر له إخضاع أهالى تلك المنطقة لنفوذه السياسى وأصبحت بلاد الحجاز بأكملها تحت سلطانه.

٥ - تحقيق الوحدة السياسية والدينية بجزيرة العرب

كان من أثر انتشار الدعوة الإسلامية بجزيرة العرب أن وجدت رابطة دينية قوية بين أقطارها التي دخلت في الإسلام . وقد مهدت هذه الرابطة الدينية إلى قيام وحدة سياسية تجمع شمل العرب . وظهرت بوادر هذه الوحدة بعد عودة الرسول من تبوك في السنة التاسعة للهجرة حيث أخذت القبائل العربية تغد إليه معلنة إسلامها عن طوع واختيار . وفي ذلك يقول ابن هشام^(١) : « لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه » .

كان وفد ثقيف أسبق الوفود العربية في القدوم على الرسول . فلما تم إسلام قبيلتهم أصبحت الحجاز كلها تدين بالإسلام ، وأخذت القبائل العربية الأخرى التي كانت لا تزال محتفظةً بوثنيتها تحذو حذو ثقيف ، كما تهيأت كلها للدخول في الدين الجديد .

ولا شك أن فتح مكة وخضوع قريش للدولة الإسلامية الناشئة ، كان له أثر كبير في حمل القبائل العربية الأخرى على الإسراع في قبول الدعوة الإسلامية بعد أن كانوا من أشد المعارضين لها ؛ فسارت وفودها من جهات جزيرة العرب المختلفة قاصدة المدينة لتعلن دخولها في الاسلام وطاعتها للرسول بعد أن رأت أنه لا قبل لها بمحاربة المسلمين الذين واصلوا الجهاد سنين طويلة دون أن تفتر عزيمتهم^(٢) . يروى ابن هشام^(٣) عن ابن اسحق أنه « لما افتتحت مكة

(١) سيرة النبي ج ٤ ص ٢٢١ .

(٢) القرظي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٩٥ .

(٣) سيرة النبي : ج ٤ ص ٢٢٢ .

ودانت له (أى للرسول) قریش ودوخا الإسلام ، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله كما قال الله — عز وجل — أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه . يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً)^(١) .

عُرفت سنة تسع هجرية بعام الوفود لأن عدداً كبيراً من القبائل العربية وأهالي المدن ، أخذت توفد من قبلها في هذه السنة وفوداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسعلن خضوعها وحرصها على الدخول في الإسلام^(٢) .

كان الرسول يكرم وفادة رسل القبائل العربية ويعلمهم شرائع الإسلام . ويحيزهم ببعض الجوائز عند انصرافهم من المدينة عائدين إلى بلادهم ؛ كما كان يلبس أحسن ثيابه عند مقابلة الوفود ، ويأمر أصحابه بالاعتداء به^(٣) .

كان أعضاء الوفود العربية الذين يأتون إلى المدينة ليحفظوا بمقابلة الرسول يمثلون قبائلهم في أغلب الأحيان ، في التعبير عن رغبتهم الصادقة في اعتناق الإسلام والدخول في طاعة الرسول ، فإذا ما عادوا إلى مواطنهم نشروا الدعوة الإسلامية بين أهاليهم وقاموا بتعليمهم فرائض الإسلام وأحكامه . وكان بعض هذه الوفود يعودون حاملين كتباً من الرسول مسبيناً بها ما يفرضه عليهم الإسلام من واجبات .

ومن بين هذه الوفود التي وفدت إلى الرسول في سنة تسع وفد بني أسد بن خزيمة الذين قالوا له حين قابله : أتيناك في ظلمة الليل في سنة جدباء ، ولم تبعث إلينا بعثاً^(٤) ؛ فنزلت فيهم هذه الآية في سورة الحجرات (آية ١٧) : (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا يَمُنُّونَا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

(١) سورة النصر آية ١ — ٣ .

(٢) أرنولد : الدعوة إلى الإسلام (ترجمة) ص ٤٢ .

(٣) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠٩ .

(٤) ابن سعد : ج ٢ ص ٥٨ .

كذلك قدم بعض أشرف بني تميم — وعلى رأسهم — عطار بن حاجب ابن زراراة إلى المدينة سعياً وراء مقابلة الرسول ، فانتظروا في المسجد ؛ ولما استبطؤوه نادوه من وراء حجراته : يا محمد أخرج إلينا ، فأذى ذلك الرسول وخرج إليهم وأسلموا بين يديه ومنحهم العطايا^(١) . وقد نزلت فيهم هذه الآية في سورة الحجرات (آية ٤) : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) .

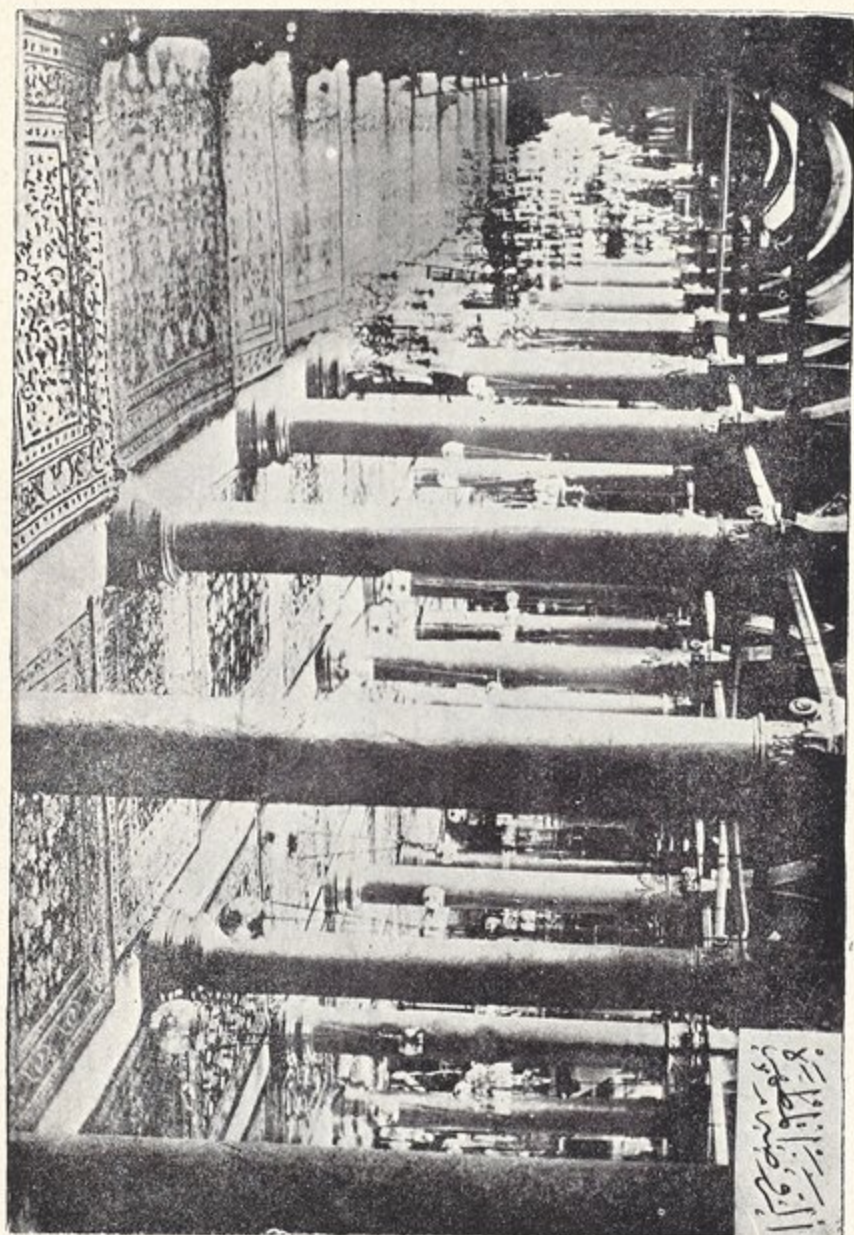
ولما استجاب ملوك حمير — وهم الحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيسل ذو رعين ومنافروهم — لدعوة الرسول — وكان قد كتب إليهم يدعوهم إلى الدخول في الإسلام — ، بعثوا إليه بعد عودته من تبوك كتاباً مع مالك بن مرارة الرهاوي يقولون فيه بإسلامهم^(٢) . فلما قدم مالك بكتابهم على الرسول ، رحب به وأضافه ، ثم كتب إليهم الرسول كتاباً جاء فيه^(٣) : « أما بعد ذلك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم فتفلسنا من أرض الروم ، فبلغ ما أرسلتم وخبّر عما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، فإن الله تبارك وتعالى قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغنم خمس الله وخمس نبيه وصفيته وما كتب على المؤمنين من الصدقة » .

توالى قدوم الوفود العربية على الرسول في السنة التاسعة للهجرة . ومن هذه الوفود : وفد بني فزارة — وعلى رأسهم — خارجة بن حصن ، جاءوا يعلنون إسلام قبيلتهم ، كما جاء وفد بني مرة وقالوا له : يا رسول الله إنا قومك وعشيرتك ونحن قوم من بني لؤي بن غالب ؛ وأظهروا له إسلامهم ، فمنحهم بعض العطايا . وقدم على الرسول أيضاً وفد بني كلاب — وهم ثلاثة عشر رجلاً — فسلموا عليه بتحية الإسلام وقالوا : « إن الضحاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله وسنتك التي أمرته وأنه دعانا

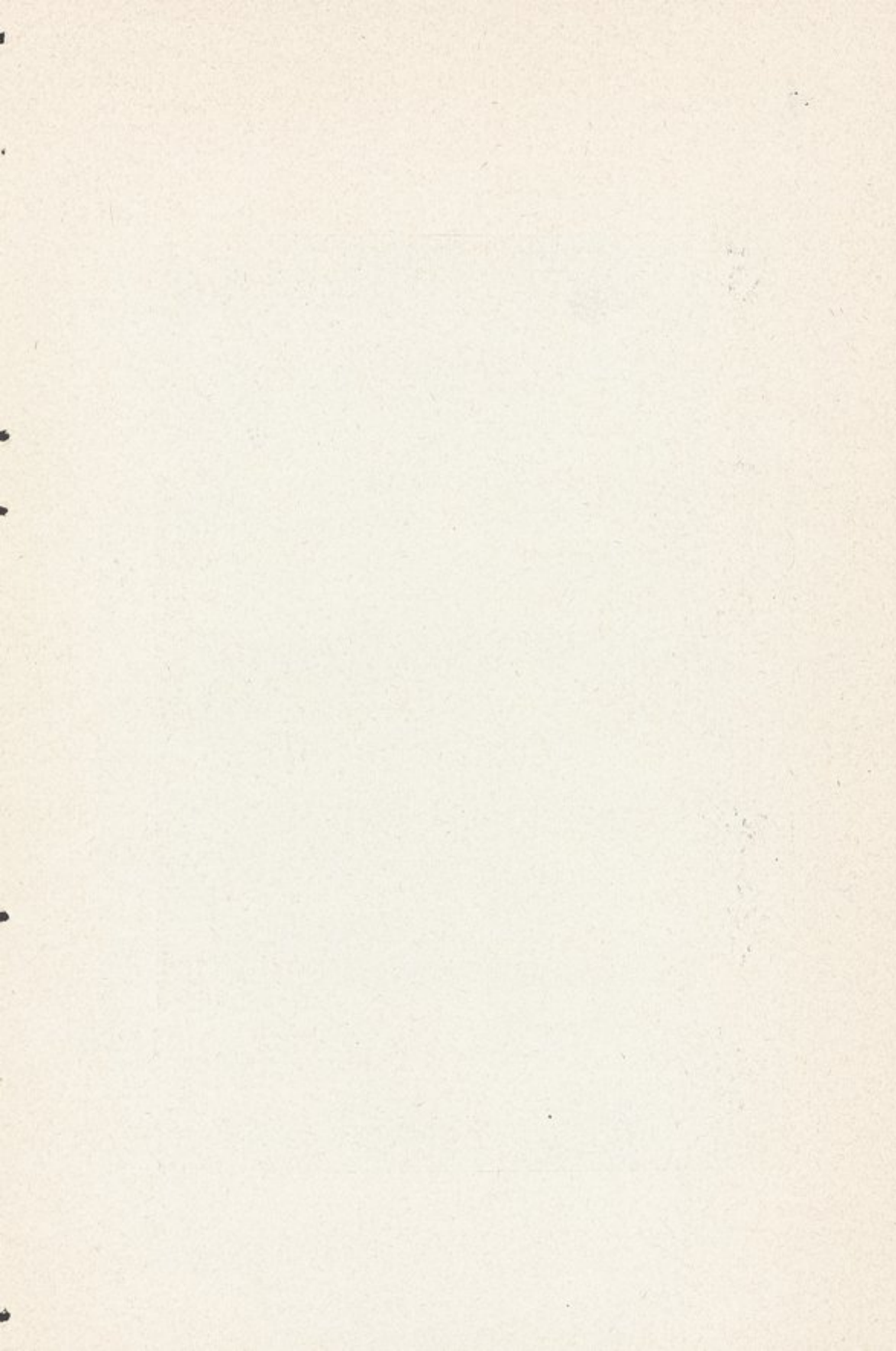
(١) ابن سعد : ج ٢ ص ٦٠ ، ابن الأثير : ج ٢ ص ١١١ .

(٢) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٥٨ .

(٣) ابن سعد : ج ٢ ص ١١٨ — ١١٩ .



الروضة الشريفة بالحرم النبوي الشريف



إلى الله فاستجبنا لله ورسوله وأنه أخذ الصدقة من أغنيائنا فردّها على فقرائنا^(١) .
كذلك أكرم الرسول وفد تجيب حين قدموا عليه مسلمين ومعهم صدقات أموالهم .
هناك وفود أخرى قدمت على الرسول لتؤكد له استعدادها للدخول في الإسلام ،
منها : وفد بلي ، بهراء ، ووفد عذرة ووفد الدارميين من نخم^(٢) . وقد أسامت
كل هذه الوفود بين يدي الرسول وتعلموا شرائع الإسلام ، ثم انصرفوا إلى أهلهم
بعد أن منحهم الرسول الجوائز التي اعتاد أن يمنحها لوفود القبائل العربية^(٣) .

أخذت ظاهرة الوحدة العربية شكلاً محسوساً في سنة تسع ؛ وقد ساعد انتشار
الدين الإسلامي بين العرب على إظهار هذه الوحدة . على أن الأمة العربية لم تدخل
بأسرها في الإسلام ، بل ظل هناك فريق يحرص على الاحتفاظ بنظامه القديم ؛ وهذا
الفريق كان أقلية لا يؤبه لها كثيراً . فلما نزلت سورة التوبة قبيل موسم الحج في
السنة التاسعة للهجرة ، تضمنت بعض آياتها أن المشركين — وهم ممن يشملون هذه
الأقلية — سيمهلون أربعة أشهر يحاربون بعدها إن لم يدخلوا في الدين الإسلامي ،
وأن الله ورسوله قد برئا منهم . يقول الله تعالى : (براءة من الله ورسوله إلى الذين
عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله
وأن الله مخزي الكافرين ، وأذن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن
الله بريء من المشركين ورسوله ، فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم
غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم
لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب
المتقين فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم
واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله
غفور رحيم^(٤)) .

(١) ابن سعد : ج ٢ ص ٦٢ — ٦٥ .

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٩٥ .

(٣) ابن سعد : ج ٢ ص ٩٤ — ٩٥ .

(٤) سورة التوبة آية ١ — ٥ .

كان بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين فريق من المشركين عهد عام ، يتضمن « ألا يُصَدَّ عن البيت أحد جاءه ولا يُخَافُ أحدٌ في الشهر الحرام » ، كما كانت بينه وبين بعض قبائل العرب عهد خاص لأجل معينة ^(١) . فلما نزلت عليه سورة التوبة وحلَّ موسم الحج في السنة التاسعة للهجرة ، رأى ألا يحج هذا العام حتى يرد إلى كل من عهد إليه من المشركين عهده ، كما كره الخروج للحج أيضاً لأن المشركين كانوا إلى ذلك الوقت يحجون مع المسلمين ، ويطوف رجال منهم بالكعبة عراة ، ليس على أحد منهم ثوب ؛ ويزعمون أنهم يعظمون بذلك حرمة بيت الله الحرام . فيقول أحدهم : « أطوف بالبيت كما ولدتنى أمي ، ليس على شيء من الدنيا خالطه الظلم » .

لذلك ولَّى الرسول أبا بكر الصديق أميراً على الحج ، وأمره أن يخالف المشركين في أداء مناسك الحج : فيقف في اليوم التاسع من ذي الحجة بعرفة ^(٢) ولا يقف بالمزدلفة ^(٣) ، ولا ينصرف من عرفة في ذلك اليوم إلى المزدلفة إلا بعد غروب الشمس ، ويبيت بالمزدلفة ليلة ثم يفيض منها قبل شروق الشمس يوم النحر ^(٤) إلى منى ^(٥) .

كذلك رأى الرسول أن موسم الحج أنسب وقت لإبلاغ المشركين بعض آيات سورة التوبة التي نزلت في نقض ما بينه وبين المشركين من عهد إلا ما عقد لأجل معين فإنه يبقى إلى أجله ^(٦) . فوقع اختياره على علي بن أبي طالب ليقراً هذه الآيات لأنه هو الذي عاهد المشركين نيابة عنه ^(٧) ؛ وقال له : « اخرج بهذه القصة من

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٠١ .

(٢) عرفة : يقال فيه أيضاً عرفات على الجمع ، وبه جاء القرآن في قوله تعالى : (فإذا أفضتم

من عرفات) الفلقشندی : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٣) المزدلفة : موضع على سرة الذهاب من منى إلى عرفة ، ويعرف أيضاً بالمشعر الحرام ،

ويبيت فيه الحاج إذا أفاضوا من عرفات (ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٤٥ ، الفلقشندی :

ج ٤ ص ٢٥٧) .

(٤) يوم النحر : هو اليوم العاشر من ذي الحجة .

(٥) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠٠ .

(٦) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٠١ .

(٧) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠١ .

صدر براءة^(١)، وأذن^(٢) في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهُوَ له إلى مدته . فلحق على بن أبي طالب بأبي بكر حتى إذا كان يوم الأضحى قام وأذن في الناس عند جرة العقبة^(٣) بمنى بما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم . فلم يطف بالبيت عريان بعد ذلك العام ، كما لم يحج مشرك تنفيذاً لقول الله تعالى في سورة التوبة : (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ، إن الله عليم حكيم) .

تعد الآيات التي وردت في صدر سورة التوبة الأساس المعنوي للدولة الإسلامية الناشئة التي كان لها عقيدة عامة يؤمن بها أهلها ، وعليهم أن يدافعوا عنها . ولما كانت عقيدة هذه الدولة هي الإيمان بالله وحده ؛ لذلك أصبح من المحتم ألا يكون بينها وبين أعدائها من المشركين عهد^(٤) ويجب أن تحاربهم الدولة الإسلامية . وقد وقف المشركون على هذه الحقيقة حين تلا عليهم على بن أبي طالب بعض آيات سورة التوبة ، فلام بعضهم بعضاً — بعد أن رجعوا من حجهم — على احتفاظهم بوثنيتهم إلى ذلك الوقت^(٥) ، وعول أكثرهم على اعتناق الإسلام . وسرعان ما أقبلت وفود القبائل العربية إلى المدينة في السنة العاشرة للهجرة ليعلنوا للرسول إسلامهم وولاءهم له .

أخذت وفود القبائل العربية تسير من أنحاء جزيرة العرب المختلفة قاصدة المدينة . ومن هذه الوفود ، وفد الأزدي برئاسة صرد بن عبد الله الأزدي الذي قدم على الرسول في بضعة عشر رجلاً ، فأسلموا جميعاً وحسن إسلامهم . وولى الرسول صرد بن عبد الله

(١) براءة : هي سورة التوبة .

(٢) أذن : ناد

(٣) جرة العقبة : تقع على يسار الداخل إلى منى من جهة مكة المكرمة .

(٤) انظر كتاب حياة محمد لهيكل باشا ص ٤٥٢

(٥) المفريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠١

أميراً على المسلمين من قومه ، وأمره أن يحارب بهم المشركين من قبائل النين ^(١) ؛ فخرج من المدينة عائداً إلى بلده . فلما وصل جُرَشَ — وهي من مدن اليمن الحصينة — دعا أهلها إلى الإسلام ، فأبوا ، فحاصروهم شهراً ، ودار القتال بينه وبينهم . ثم سار وفد من أهل جرَش إلى الرسول وأظهروا له إسلامهم ^(٢) . كما قدم عليه عمرو بن معديكرب الزبيدي في عشرة نفر من زُبيد ، وأسلم بين يديه هو ومن معه ؛ ثم منحهم الرسول الجوائز وانصرفوا إلى بلدهم ^(٣) . وجاء وفد خوَلان إلى الرسول يؤكدون له إسلامهم ؛ فقالوا له : « يا رسول الله ، نحن مؤمنون بالله ومصدقون برسوله ، ونحن على من وراءنا من قومنا ، وقد ضربنا إليك آباط الإبل وركبنا حزون الأرض وسهولها والمئة لله ولرسوله وقدمنا زائرين لك » . فقال عليه الصلاة والسلام : « أما ما ذكرتم من مسيركم إلى فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة ، وأما قولكم زائرين لك ، فإنه من زارني بالمدينة كان في جوارى يوم القيامة » . ثم علمهم شرائع الإسلام وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار ولا يظلموا أحداً ^(٤) . فعادوا إلى قومهم ونشروا الدعوة الإسلامية بينهم ، وحرّموا ما حرم عليهم الرسول ، وأحلوا ما أحل لهم ^(٥) .

كذلك قدم وفد مُراد معفوة بن مسيئك بن الحارث بن سامة المرادي مفارقاً ملوك كندة وجاهر بإسلامه ؛ فولاه الرسول على مراد وزبيد ومذحج ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص ليجبي الصدقات ^(٦) .

هناك وفود أخرى ، أوفدتها القبائل الغربية إلى الرسول ، منها وفد الرهاويين ^(٧) — وكانوا خمسة عشر رجلاً — فأسلموا وأجازهم الرسول ، وظلوا بالمدينة حتى تعلموا

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٥٦ ، النبهاني : الأنوار المحمدية ، ص ١٨٣

(٢) ابن سعد : ج ٢ ص ١٠١ — ١٠٢ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٥

(٣) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٥٢ ، ابن سعد : ج ٢ ص ٩٢

(٤) النبهاني : الأنوار المحمدية ص ١٩٠

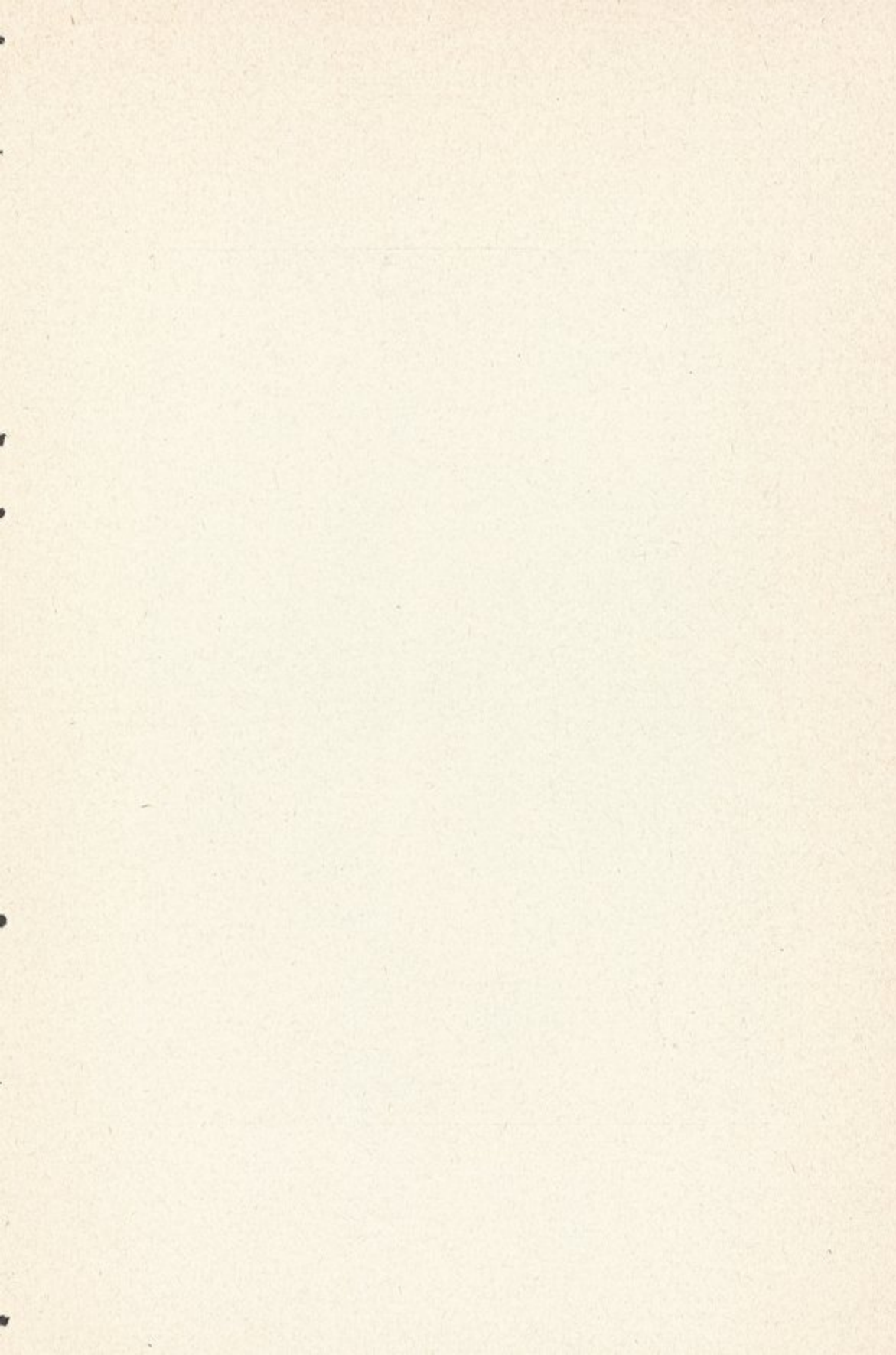
(٥) ابن سعد : ج ٢ ص ٨٨

(٦) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٤٩ — ٢٥١ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٥ — ٥٦

(٧) الرهاويون : بطن من مذحج ، ينسبون إلى زهاء بن منبه بن حرب القحطاني



محراب الرسول بمسجده بالمدينة



القرآن والفرائض ، ثم عادوا إلى بلدهم ، وقدم منهم نفر حجوا مع الرسول^(١) .

ومن الوفود العربية التي أقبلت إلى المدينة في السنة العاشرة للهجرة ، وفد بني حنيفة ؛ وكانوا بضعة عشر رجلاً فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفي ، فأسلموا وعادوا إلى موطنهم باليمامة . وادعى مسيلمة بعد عودته إلى بلده أنه شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة ، فافتتن به بعض الناس من قومه . وكتب مسيلمة إلى الرسول : « من مسيلمة إلى محمد رسول الله ، أما بعد ، فإني قد أشركت معك في الأمر ، وإن لنا نصف الأرض ولقریش نصفها ، ولكن قریشاً قوم يعتدون » . فكتب إليه الرسول : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فالسلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين^(٢) . »

كذلك رأت قبيلة كندة أن تنبذ ديانتها القديمة وتتحول إلى الإسلام ، فأرسلت وفداً إلى المدينة يتكون من ستين رجلاً برئاسة الأشعث بن قيس الكندي . وقد أقرؤا بإسلامهم بين يدي الرسول ثم عادوا إلى بلدهم^(٣) .

قدم أيضاً على الرسول وفد حضرموت ، ليعلنوا إسلام قومهم ، ورحب الرسول بقدوم وائل بن محجر الحضرمي ، وكتب له حين أزمع العودة إلى بلاده^(٤) : « هذا كتاب من محمد النبي لوائل بن حجر قيل حضرموت ، إنك أسلمت وجعلت لك ما في يديك من الأرضين والحصون وأن يؤخذ من كل عشرة واحد ينظر في ذلك ذو عدل وجعلت لك أن لا تعظم فيها ما قام الدين والنبي والمؤمنون عليه أنصار » .

ومن الوفود التي جاءت المدينة رغبة في لقاء الرسول والدخول في الإسلام : وفد غسان ، ووفد غامد ، ووفد طيء . وكان وفد غسان ثلاثة نفر ؛ فلما قابلو الرسول ،

(١) ابن سعد : ج ٢ ص ١٠٧ — ١٠٨ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠٧ .

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠٨ — ٥٠٩ .

(٣) ابن سعد : ج ٢ ص ٩٢ — ٩٣ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٠٩ — ٥١٠ .

(٤) ابن سعد : ج ٢ ص ١١٢ — ١١٣ .

أسلموا وشهدوا أن ما جاء به حق ، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم . غير أن قومهم لم يستجيبوا لهم حين دعوهم إلى الإسلام^(١) . أما وفد غامد فأقر بالإسلام وكتب لهم الرسول كتابا بين فيه شرائع الدين الإسلامي ، كما عهد إلى أُبَي بن كعب بتعليمهم القرآن^(٢) . وكان وفد طيء خمسة عشر رجلا برئاسة زيد الخيل بن زيد بن مُنْهَب الطائي ، فعرض عليهم الرسول الإسلام فأسلموا وقال : « ما ذكر لي رجل من العرب يفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه » . ثم سماه زيد الخير وأقطع له بعض الأراضي في ناحيته^(٣) .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام فإن استجابوا إليه فعليه أن يعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الإسلام وإن أبوا قاتلهم . فلما قدم عليهم خالد دعاهم إلى الإسلام ، فأجابوا وأسلموا ، وأقام بينهم يعلمهم شرائع الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ؛ وكتب إلى الرسول يعلمه بإسلامهم^(٤) ؛ وإليك كتابه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، لحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يُسلموا قاتلتهم ، وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث فيهم ركبانا ، قالوا : يا بني الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به وأنهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلى رسول

(١) ابن سعد : ج ٢ ص ١٠٢ — ١٠٣

(٢) ابن سعد : ج ٢ ص ١٠٩ ، النبهاني : الانوار المحمدية ص ١٩١

(٣) الطبري : ج ٢ ص ٣٩٩ ، المازيزي : إمتاع الاسماع ج ١ ص ٥٠٨

(٤) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٦٢ — ٢٦٣ ، الطبري : ج ٢ ص ٣٨٥ — ٣٨٦

الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله . وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ^(١) » .

أقبل خالد بن الوليد إلى المدينة ومعه وفد بني الحارث بن كعب برئاسة قيس ابن الحصين بن يزيد بن شداد ، ويقال له ابن ذى النُصَّة ^(٢) ؛ فلما رآهم الرسول قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث ابن كعب ؛ فسلموا عليه وقالوا : نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله . فقال الرسول : « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » ، ثم ولى عليهم قيس ابن الحصين وانصرفوا إلى قومهم ^(٣) . وعهد الرسول إلى عمرو بن حزم بالخروج إليهم ليعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم في الدين ويحجي منهم الصدقات ، وكتب له كتاباً بين فيه الأحكام والزكوات ومقادير الدييات ^(٤) .

كذلك أرسل نصارى نجران إلى الرسول صلى الله عليه وسلم العاقب — وهو أميرهم وصاحب مشورتهم — ، والسيد — وهو صاحب رحلتهم — في نفر من أشrafهم ^(٥) ، فلما قدموا عليه دعاهم إلى الإسلام فأبوا وانصرفوا . وفي الغد حضر إليه ثلاثة من ذوى رأى من رجالهم وقالوا له : « احكم علينا بما أحببت نعطك ونصلحك فصالحهم على ألفي حلة ، ألف في رجب وألف في صفر ، ثمن كل حلة

(١) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٦٣

(٢) المقرئى : إمتاع الاسماع ج ١ ص ٥٠١

(٣) ابن سعد : ج ٢ ص ١٠٣ ، الطبرى : ج ٢ ص ٣٨٥ — ٣٨٧

(٤) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٦٥ ، المقرئى : إمتاع الاسماع ج ١ ص ٥٠١ — ٥٠٢

(٥) ابن سعد : ج ٢ ص ١٢٩

أربعون درهما ، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً فما دونه ، وعلى أن عليهم عارية ثلاثين درهماً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إذا وقعت باليمن حرب . وجعل لهم عليه الصلاة والسلام ذمة الله وعهده على ألا يفتنوا ، ولا يؤخذ عشر أموالهم ولا يندبون للحروب ، ولا تفرض عليهم البعث ؛ واشترط عليهم ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به ^(١) .

على أن العاقب والسيّد لم يلبثا إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي وأسلما ؛ وظل نصارى نجران على ما كتب لهم النبي حتى توفي ^(٢) .

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن انتشر الإسلام في بلاد اليمن أن يوفد إلى أهالي تلك البلاد أبا موسى الأشعري ومُعَاذ بن جبل ليعلماهم أمور دينهم ، وأوصاهما بقوله : « يسرا ولا تمسرا وبشرا ولا تنفرا . » ، وقال لمعاذ : « إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم ، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فيأيك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب ^(٣) » .

ولما وصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن جماعة من أهل اليمن لا يزالون على ديانتهم القديمة ، أرسل علي بن أبي طالب يدعوهم إلى الإسلام ، كما بعث خالد بن الوليد من قبل لنفس هذا الغرض ^(٤) ؛ وأوصاه بقوله ^(٥) : « إمض ولا تلتفت ، إذا نزلت بساحتهم فلا تقا تلهم حتى يقاتلوك » .

خرج علي بن أبي طالب من المدينة في رمضان سنة عشر قاصداً بلاد اليمن في

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٥ — ٧٦ ، يعقوبي : ج ٢ ص ٦٧ ، المقرئ :

لمتاع الاسماع ج ١ ص ٥٠٢

(٢) ابن سعد : ج ٢ ص ١٢٠

(٣) النبهاني : الانوار المحمدية ص ١٣٢

(٤) ابن الأثير : ج ٢ ص ١١٥

(٥) ابن سعد : ج ٣ ص ٢٢٢

ثلاثمائة فارس ؛ فلما وصل أرض مَذْجَج لقي فريقاً من اليمنيين أبوا قبول دعوته في بادئ الأمر وهاجموه . غير أنه لم يلبث أن حمل عليهم بمن معه وألحق بهم الهزيمة ، ثم دعاهم إلى الإسلام فأجابوا دعوته ، وبايعه نفر من رؤسائهم ، وقالوا : نحن على من وراءنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا ، فخذ منها حقَّ الله ^(١) .

كتب على بن أبي طالب إلى الرسول يخبره بما أحرزه من نصر في بلاد اليمن وإقبال أهلها على الإسلام ؛ فسر الرسول بذلك ، وأمره بالشخص إلىه ، فلقيه بمكة وكان قد قدم إليها للحج ^(٢) .

وهكذا نجحت البعوث التي أوفدها الرسول إلى بلاد اليمن في أداء رسالتها ، فتتابع أهالي تلك البلاد على اعتناق الإسلام ^(٣) ، وأرسلوا الوفود لمقابلة الرسول ليعلنوا له إسلامهم . وكان آخر تلك الوفود وفد النخع — وهم مائتا رجل — قدموا إلى المدينة في الحرم من سنة إحدى عشر وأقروا بإسلامهم بين يدي الرسول وكانوا بمن بايع معاذ بن جبل باليمن ^(٤) .

* * *

لما اطمأن الرسول إلى أن جزيرة العرب أصبحت كلها تنضوي تحت لواء الإسلام استقر رأيه على الخروج للحج ، ودعا المسلمين لأداء هذه الفريضة معه ، فلقيت دعوته قبولا من نفوسهم ، فوفد إلى المدينة كثير من الناس يريدون أن يأتوا برسول الله في حجته ^(٥) .

وفي الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة ، سار الرسول من المدينة في جمع كبير من المهاجرين والأنصار وبعض قبائل العرب وأخلاط

(١) ابن سعد : ج ٣ ص ٢٢٢ — ٢٢٣ ، المقرئ : إمتاع الاسماع ج ١ ص ٥٠٣

(٢) المقرئ : إمتاع الاسماع ج ١ ص ٥٠٤ و ٥١٠

(٣) المقرئ : إمتاع الاسماع ج ١ ص ٥١٠

(٤) ابن سعد : ج ٢ ص ١١٠ ، النبهاني : الانوار المحمدية ص ١٩٣

(٥) ابن سعد : ج ٣ ص ٢٢٥

من الناس ، بلغ عددهم ما يقرب من مائة ألف^(١) ، تملأ قلوبهم الغبطة لذهابهم إلى بيت الله الحرام . ولما بلغوا ذا الحليفة ، أحرم^(٢) الرسول والمسلمون جميعاً ، ثم تابعوا سيرهم حتى وصلوا مكة ، فدخل الرسول المسجد الحرام وتبعه سائر المسلمين وطاف حول الكعبة سبع مرات ، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم ؛ وبعد فراغه من الصلاة خرج من المسجد إلى الصفا ، وسعى بين الصفا والمروة . وفي اليوم الثامن من ذى الحجة سار إلى منى ، فأقام بها ليلة ، ثم خرج في صباح اليوم التاسع إلى جبل عرفات والمسلمون يتبعونه^(٣) ؛ وهناك ألقى خطبته الخالدة التي يعتبرها المسلمون دستور الإسلام ؛ وإليك نصها :

« أيها الناس ، إني والله ما أدري لعلى لا ألقاكم بمكانى هذا ، بعد يومكم هذا ، رحم الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ، فرُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، واعلموا أن أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، واعلموا أن الصدور لا تُغفل على ثلاث : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أهل الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم . ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، وأول دماء الجاهلية أضع دم إياس بن ربيعة بن الحارث ابن عبدالمطلب — كان مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر فقتله هذيل — . وربا الجاهلية موضوع كله ، وأول ربا أضعه ربا عباس بن عبدالمطلب . اتقوا الله فى النساء ، إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن ، فاضر بهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين ، فلهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله . وأتم مسؤولون عني ، فما أتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . »

(١) النبهاني : الانوار المحمدية ص ١٣٢

(٢) أحرم : أى ليس ملابس الإحرام وهى إزار ورداء

(٣) القرينى : إمتاع الاسماع ج ١ ص ٥١٠ — ٥٢٢

(٤) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٧٥ — ٢٧٧ ، القرينى : إمتاع الاسماع ج ١ ص ٥٢٢ — ٥٢٣

تمت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة حيث أنزل الله تعالى عليه هذه الآية ^(١) في سورة المائدة : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) . وقد تلاها الرسول على المسلمين حين نزولها ، فكان لها أبلغ الأثر في نفوسهم .

أفاض الرسول من عرفات بعد غروب الشمس إلى المزدلفة ، فقفى بها ليلة ، ثم خرج منها قبل طلوع الشمس إلى منى حيث رمى جرة العقبة يوم النحر ، ثم نحر الهدى ، وسار إلى مكة في هذا اليوم ليطوف ببيت الله الحرام طواف الإفاضة ، ثم عاد إلى منى ، فأقام بها ليالى أيام التشريق ^(٢) ، وكان يرمى الجمار في هذه الأيام عند زوال الشمس ، ونهى أن يبيت أحد ليالى منى خارجها ، وفي اليوم الرابع من أيام عيد الأضحى ، ركب الرسول إلى مكة ، فطاف بالبيت طواف الوداع ، وبعد أن قضى بمكة بضعة أيام انصرف راجعاً إلى المدينة ^(٣) .

وهكذا أتم الرسول حجه وأدى الناس مناسكهم وأعلمهم ما فرض الله عليهم وما أحل لهم من حجهم وما حرم عليهم ^(٤) .

شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء حجه كيف علت كلمة الإسلام وانهار صرح الوثنية في جزيرة العرب حتى إنه لم يحضر موسم الحج في السنة العاشرة للهجرة وثني مطلقاً ، كما تحقق من إخلاص أمراء العرب وزعماء قبائلهم له وانضوائهم تحت لوائه . فلما رجع إلى المدينة مع أصحابه من المهاجرين والأنصار ، أصبح لا يخشى شيئاً من ناحية جزيرة العرب لانبساط سلطان الدين الإسلامى على أقاليمها ومدنها ، لكنه كان يرى أن دولته الإسلامية لا تزال مهددة بالخطر من ناحية الشمال حيث كان

(١) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٢٤ ، النبهانى : الأنوار المحمدية ص ٥٥٩

(٢) أيام التشريق هى الأيام الثلاثة الأخيرة من عيد الأضحى . وقد وصفها الرسول بقوله « إنها أيام أكل وشرب وذكر لله » ابن سعد : ج ٣ ص ٢٣٨

(٣) المقرئى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٢٤ — ٥٢٩ ، النبهانى : الأنوار المحمدية

ص ٥٥٩ — ٥٦٥

(٤) ابن هشام : ج ٤ ص ٢٧٨

الروم يرابطون على حدود الشام الجنوبية . لذلك وجه اهتمامه إلى تأمين حدود بلاد العرب الشمالية وتوطيد سلطان المسلمين عليها . ولم يمض غير قليل على عودته إلى المدينة حتى أمر بتجهيز جيش لغزو أطراف الشام الجنوبية ، أسند قيادته إلى مولاه أسامة بن زيد بن حارثة^(١) ؛ وأوصاه بقوله^(٢) : « اغز باسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ، ولا تمننوا لقاء العدو ، فإنكم لا تدرون لعلكم تُبْتَلون بهم ، ولكن قولوا : اللهم اكفناهم ، واكف بأسمهم عنا ، فإن لقومكم قد أجلبوا وصيَّحوا فعليكم بالسكينة والصمت ، ولا تنازعوا فتغشوا فتذهب ريحكم ، وقولوا اللهم إنا عبادك نواصينا ونواصيهم بيدك ، وإنما تغلبهم أنت . واعلموا أن الجنة تحت البارقة^(٣) » .

لقيت الدعوة التي وجهها الرسول إلى المسلمين للاشتراك في حملة أسامة قبولاً من كثير من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار كعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان ، غير أن بعض المهاجرين ساءه أن يتولى قيادة الحملة أسامة لحدائثة سنة^(٤) . فلما بلغ ذلك الرسول — وكان قد بدأ يشتكى من المرض الذي ألم به — غضب غضباً شديداً ، وألقى على المسلمين خطبة في المسجد قال فيها^(٥) : « أما بعد ، أيها الناس ، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله ، إن كان للامارة خليفاً ، وإن ابنه من بعده خليف للامارة ، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ ، وإنهما لخيلان لكل خير ؛ فاستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم » .

حرص الرسول صلى الله عليه وسلم — رغم المرض الذي اعتراه — على المضي

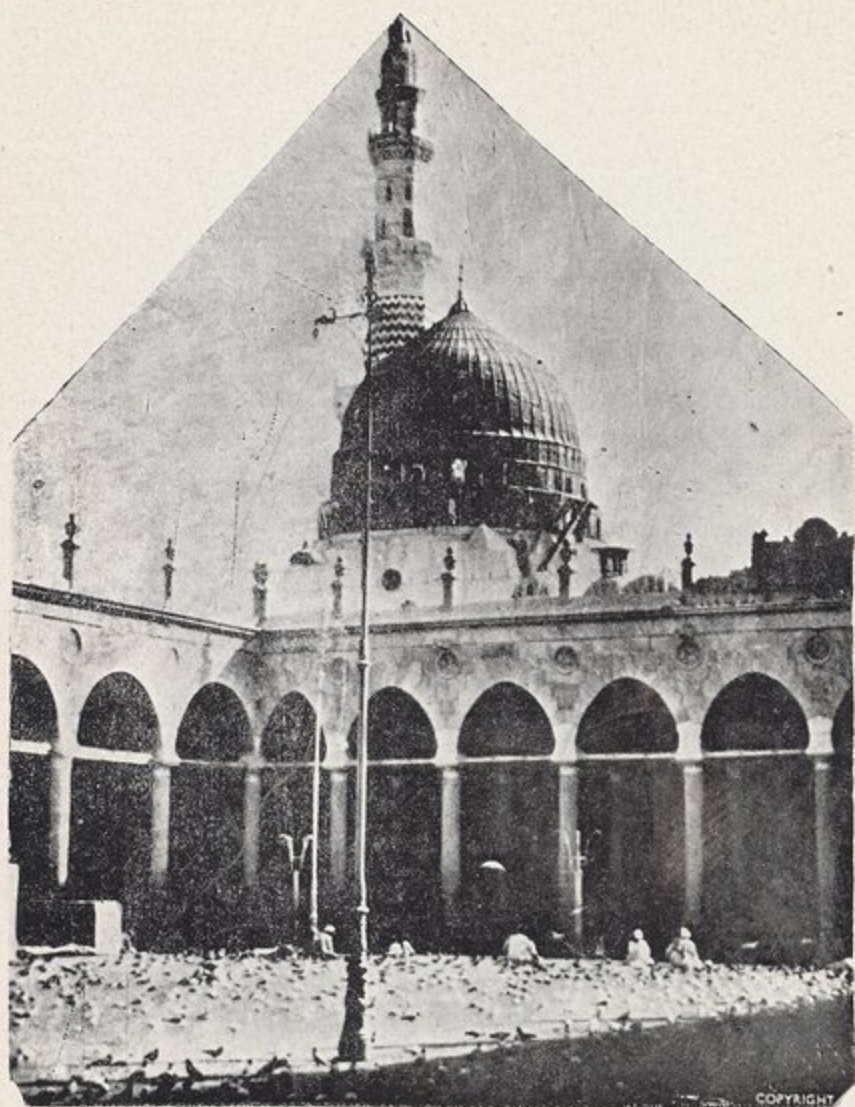
(١) الطبري : ج ٢ ص ٤٢٩

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٣٦ — ٥٣٧

(٣) البارقة : السيوف (حاشية رقم ١ — المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٣٧)

(٤) اليعقوبي : ج ٢ ص ٩٣

(٥) ابن سعد : ج ٤ ص ٣ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٣٧



الحرم النبوي الشريف والقبّة الخضراء

في إعداد حملة أسامة بن زيد لغزو حدود بلاد الشام الجنوبية ؛ فقال للمسلمين الذين جاءوا يودعونه قبل خروجهم مع أسامة : « أنفذوا بعث أسامة » ، فأخذ المسلمون يتهيئون للغزو ، وركب أسامة إلى معسكره — خارج المدينة — ، وطلب من أصحابه اللحاق به . غير أنه لم يكد يشرع في السير بحملته حتى أتاه خبر اشتداد المرض على الرسول ، فأقبل إلى المدينة وبعده فترة قصيرة من وصوله إليها ، انتقل الرسول إلى جوار ربه وذلك في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ^(١) ، وهو في الثالثة والستين من عمره ، بعد أن بلغ رسالة ربه ، وجمع شتات قبائل العرب تحت لوائه ، وأقام الدولة العربية الإسلامية على أسس قوية ، ودعائم متينة .

لما بويع أبو بكر الصديق بالخلافة ، بدأ عمله بإفناذ بعث أسامة بن زيد لغزو أطراف الشام الجنوبية تحقيقاً لما أمر به الرسول . فخرج أسامة في أول ربيع الثاني سنة إحدى عشرة على رأس الحملة التي أعدت في حياة الرسول ، ولم يتخلف عنه سوى عمر بن الخطاب الذي رأى أبو بكر إبقاءه بجواره في المدينة ليشير عليه . وبلغ من اهتمام أبي بكر بهذه الحملة أن خرج بنفسه يودع أسامة وقال له : « أستودع الله دينك وأمانتكم وخواتيم عملك ، إني سمعت رسول الله يوصيك ، فأنفذ لأمر رسول الله ، فإني لست آمرُك ولا أنهيك عنه ، إنما أنا منفذ لأمر به رسول الله^(٢) » .

مضى أسامة في سيره قاصداً البلقاء ؛ فلما وصل أُنبي^(٣) شن الغارة على أهلها وقتل من تعرض له منهم وسبي بعضهم كما حرق منازلهم ونخلهم^(٤) ، ثم عاد ظافراً إلى المدينة بعد أن قضى في غزوته ما يقرب من شهرين^(٥) .

(١) ابن سعد : ج ٤ ص ٤ ، المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٣٧ — ٥٣٩ .

(٢) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٣٩ — ٥٤٠ .

(٣) أنبي : موضع بالشام من جهة البلقاء ، ويقال إنها قرية بمؤته . (ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٩٧)

(٤) الزباني : الأنوار المحمدية ص ١٣٤ .

(٥) المقرئ : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٥٤٠ .

كانت حملة أسامة عظيمة الأثر، فقد أوقفت القبائل العربية التي تقيم في أطراف الشام الجنوبية على قوة المسلمين، كما أثارت الرعب في قلوب الروم — رغم أن أسامة لم يلق جيشهم —، فاضطروا إلى إرسال حامية قوية لترباط في البلقاء^(١). وفضلاً عن ذلك فإنها مهدت السبيل للحملات التي أرسلت فيما بعد لغزو بلاد الشام.

أصبحت بلاد العرب بعد انتشار الإسلام فيها تجمع بينها عقيدة واحدة، كما ظهر بين أهلها شعور بالوحدة القومية بعد أن دخلوا تحت لواء الرسول^(٢)، مما ساعد على قيام الدولة العربية الإسلامية على أساس الوحدة الدينية والسياسية.

وقد تمتعت مدن العرب وقبائلها بعد أن تحولت إلى الإسلام بقسط وافر من الاستقلال الذاتي داخل نطاق الدولة العربية الإسلامية، فصار الرسول يبعث عماله إلى البلاد التي تدين بالإسلام ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم في الدين ويحبون منهم الصدقات، ثم يوزعونها بين الفقراء من أهالي تلك البلاد أو يرسلونها إلى المدينة، وترك للأمرء الذين أسلموا ما كان لهم من سلطان في بلادهم قبل إسلامهم.

كان للمركز الديني الذي ظفرت به المدينة في حياة الرسول أكبر الأثر في جعلها الحاضرة الإسلامية الأولى للدولة العربية الموحدة؛ فهي التي آوت الرسول ونصرته، ونزل بها من القرآن أكثر مما نزل بمكة^(٣) فأصبحت بذلك مصدر التشريع الإسلامي، هذا إلى أن الرسول اتخذها مركزاً لدولته، فوجه منها رسله إلى الأمراء والملوك يدعوهم إلى الإسلام، كما أن المدن والقبائل أرسلت إليها وفودها تعلن إسلامها وولاءها للرسول، ومن ثم علا شأنها وأصبح العرب ينظرون إليها على أنها عاصمة دولتهم ومصدر سياستهم^(٤).

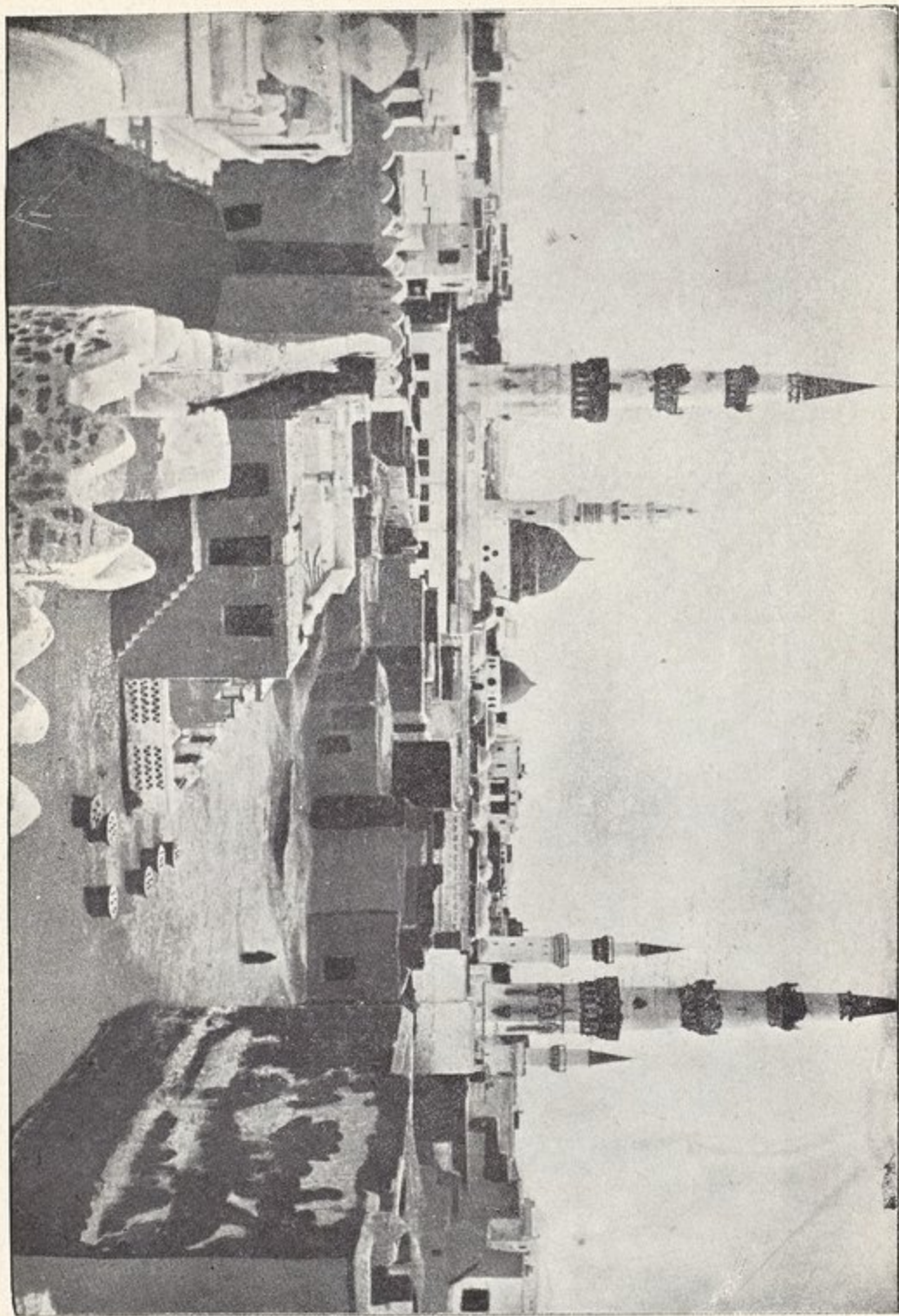
(١) ابن سعد: ج ٤ ص ٥.

(٢) راجع كتاب الدعوة إلى الإسلام ص ٤٣ (ترجمة).

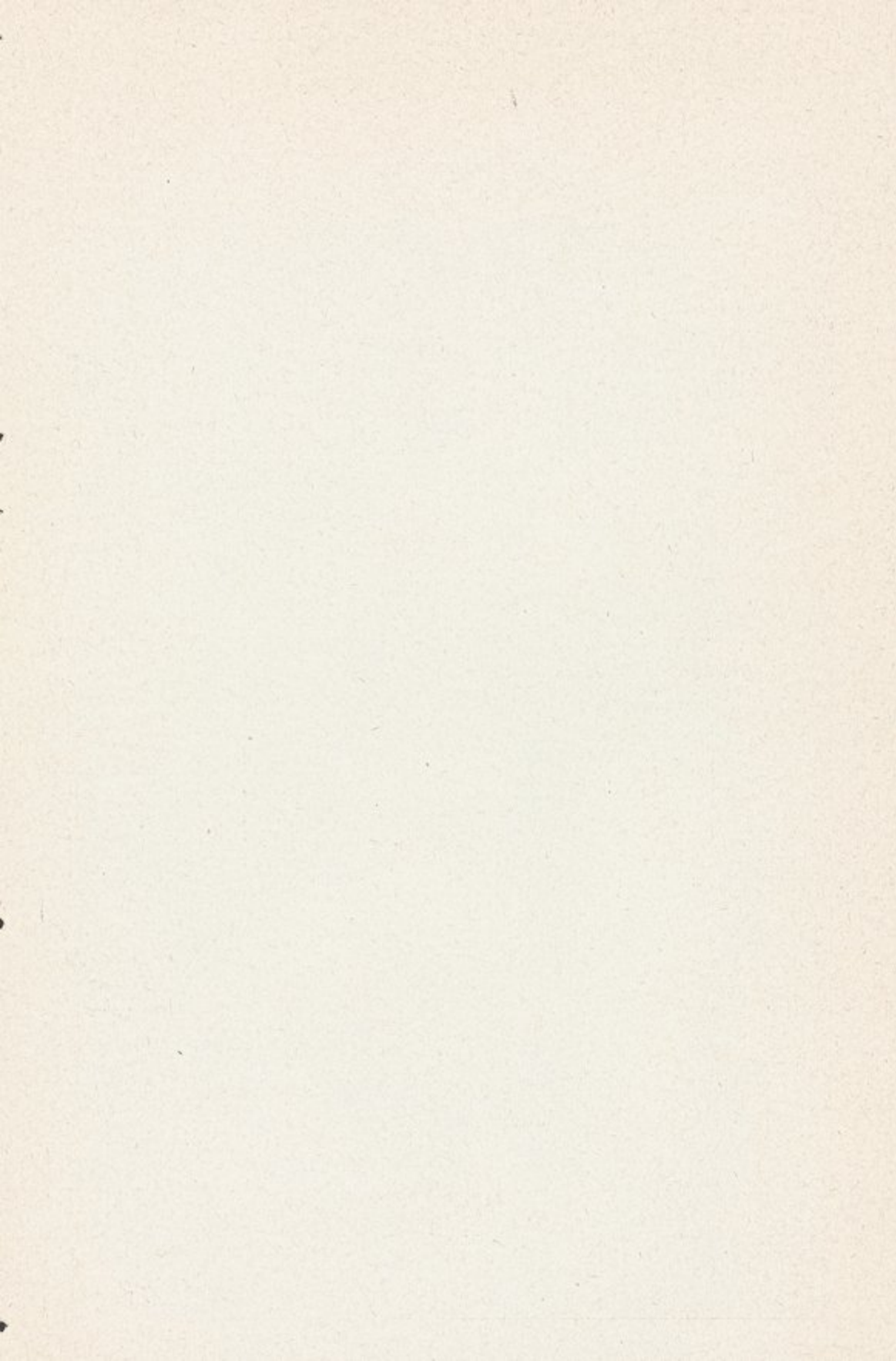
(٣) راجع اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٣.

(٤) راجع ما أورده هيكمل باشا في كتابيه: الصديق أبو بكر ص ٧٨، ٧٩، ٣٣٠.

والفاروق عمر ج ٢ ص ٢٠٧ — ٢٠٨.



المدينة المنورة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم



المصادر والفهارس الأبجدية

1840

مصادر الكتاب

ابن الأثير: (ت ٦٣٠ هـ و ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن أبي الكرم
(١) الكامل في التاريخ (١٢ جزءاً)
أحمد أمين:

(٢) فجر الإسلام (الجزء الأول — الطبعة الثالثة — القاهرة ١٩٣٥ م)

أرنولد — Arnold : Thomas W.

The Preaching of Islam. (٣)

نقله إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم حسن بك بالاشتراك مع الأستاذين
عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى تحت عنوان « الدعوة إلى الإسلام »

الأزرقى: (ت ٢٣٣ هـ) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد.

(٤) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (جزءان) (المطبعة المأجدية بمكة
المكرمة سنة ١٣٥٢ هـ).

الأصبهاني: (ت ٣٥٦ هـ و ٩٦٧) أبو الفرج
(٥) كتاب الأغاني (٢١ جزءاً).

الألوسى: السيد محمود شكرى البغدادي.

(٦) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (ثلاثة أجزاء) (مطبعة دار السلام
بيغداد سنة ١٣١٤ هـ).

أوليري: دى ليسي — O'Leary : De Lacy

Arabia Before Muhammad. (٧)

البكري: (ت ٤٨٧ هـ و ١٠٩٧ م) أبو عبيد الله بن عبد العزيز.

(٨) معجم ما استعجم.

البلاذرى : (ت ٢٧٩ هـ و ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر .

(٩) فتوح البلدان . (القاهرة ١٣١٨ هـ) .

جاد المولى : (محمد أحمد) .

(١٠) محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل .

(١١) أيام العرب في الجاهلية .

بالاشتراك مع الأستاذين على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

جويدى : Guidi .

L'Arabie Antéislamique. (١٢)

حسنى : فيليب : Philip : Hitti .

History of the Arabs. (١٣)

نقله إلى العربية الدكتور فيليب حتى بالاشتراك مع الدكتور إدورد جرجى

والدكتور جبرائيل جبور تحت عنوان « تاريخ العرب » (الجزء الأول)

ابن حجر : (ت ٨٥٣ هـ و ١٤٤٩ م) شهاب الدين أحمد بن على العسقلانى .

(١٤) الإصابة فى تمييز الصحابة . (أربعة أجزاء — القاهرة ١٣٥٨ هـ) .

حسن إبراهيم حسن .

(١٥) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (الجزء الأول —

الطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ م) .

حمزة الأصفهاني : (ت ٣٠٦ هـ) أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني .

(١٦) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء .

ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ و ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م) عبد الرحمن بن محمد .

(١٧) العبر وديوان المبتدا والخبر (٧ أجزاء) .

زيدان : جرجى

(١٨) العرب قبل الإسلام (الجزء الأول — القاهرة ١٩٠٨ م) .

- ابن سعد : (ت ٢٣٠ هـ) محمد .
 (١٩) كتاب الطبقات الكبير (طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية بالقاهرة)
 السهودي : أبو المحاسن بن عبد الله .
 (٢٠) كتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم (جزءان —
 القاهرة ١٣٢٦ هـ) .
 الشهرستاني : (ت ٥٤٨ هـ و ١١٥٣ م) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم .
 (٢١) الملل والنحل (٥ أجزاء) .
 الطبري : (ت ٣١٠ هـ و ٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير .
 (٢٢) تاريخ الأمم والملوك (٧ أجزاء — القاهرة ١٩٣٩ م) .
 ابن عبد الحكم : (ت ٢٥٧ هـ) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي
 (٢٣) فتوح مصر
 ابن عبد ربه : (ت ٣٤٩ هـ و ٩٤٠ م) شهاب الدين أحمد .
 (٢٤) العقد الفريد (٣ أجزاء)
 غنيمية : يوسف رزق الله .
 (٢٥) الحيرة المدينة والمملكة العربية (بغداد — سنة ١٩٣٦ م)
 أبو الفدا : (ت ٧٣٢ هـ و ١٢٣١ م) اسماعيل بن علي عماد الدين .
 (٢٦) المختصر في أخبار البشر (٤ أجزاء)
 ابن فضل الله العمري : (٧٤٢ هـ و ١٣٤١ م)
 (٢٧) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار
 (الجزء الأول — طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة)

فلي — Philby : H. St. J. B.

The Background of Islam. (٢٨)

ابن قتيبة : (ت ٢٧٦ هـ و ٨٨٩ م) أبو محمد عبد الله بن مسلم .
(٢٩) كتاب المعارف

القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ و ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد .

(٣٠) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (١٤ جزءا)

(٣١) قلائد الجمان فى التعريف بقبائل الزمان

(مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة)

الكلبي : (ت ٢٠٤ هـ) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب .

(٣٢) كتاب الأصنام

لامانس — Lammens : Père Henri

L'Arabie Occidentale avant L'Hégire (٣٣)

Le Berceau de L'Islam. vol. I. (٣٤)

مرجليوث — Margoliouth : D. S.

The Relations between Arabs and Israelites Prior to the
Rise of Islam. (٣٥)

المسعودى : (ت ٣٤٦ هـ و ٩٥٦ م) أبو الحسن على بن الحسين بن على

(٣٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر (أربعة أجزاء)

المقريزى : (ت ٨٤٥ هـ و ١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على

(٣٧) إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والخفدة والمتاع

(صححه وشرحه الأستاذ محمود محمد شاكر — القاهرة ١٩٤١ م)

النبهاني : يوسف بن اسماعيل

(٣٨) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية

نيكلسون — Nicholson : A. Reynold

Literary History of the Arabs. (٣٩)

ابن هشام : (ت ٢١٨ هـ و ٨٣٣ م) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب
المعافري الحميري .

(٤٠) كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

(أربعة أجزاء — القاهرة ١٣٥٦ هـ)

(٤١) التيجان في ملوك حمير

الهمداني . (ت ٣٤٣ هـ و ٩٤٦ م) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود .

(٤٢) صفة جزيرة العرب . (جزءان)

هيكل . الدكتور محمد حسين باشا .

(٤٣) حياة محمد (الطبعة الثالثة — القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ)

ياقوت : (ت ٦٢٦ هـ و ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي .

(٤٤) معجم البلدان . (١٠ أجزاء — القاهرة سنة ١٩٠٦ م)

اليقوبى : (ت ٢٨٢ هـ و ٨٩٥ م) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح .

(٤٥) تاريخ اليقوبى (٣ أجزاء) (نشر المكتبة المرتضوية بالنجف — سنة ١٣٥٨ هـ)

فهرس الاعلام

(١)

أسعد أبو كرب — ٥٢
إسماعيل عليه السلام — ٣٦
الأسود بن المنذر — ٣٠
أسيد بن خضير — ٩٣
الأشعث بن قيس الكندي — ١٣٩
الأصم عمرو بن قيس بن مسعود
الشيثاني أبو مفروق — ١٥
أكثم بن صيفي الأسدي — ١٧
أكيد بن عبد الملك — ١٣٠ ، ١٣١
أمية بن عبد شمس — ٤١ ، ٤٠
أوس بن عوف — ١١٢
إياس بن ربيعة بن الحارث — ١٤٤
إياس بن قبيصة الطائي — ٣٢ ، ٣١
إياس بن معاذ — ٦٩
أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري — ٧٤

(ب)

بازان (آخر ولاية الفرس باليمن) — ٢٨
بحيرا الراهب — ٥٩
أبو براء عامر بن مالك بن جعفر — ٢٢

آمنة بنت وهب — ٥٩ ، ٧٢
أبان بن سعيد بن العاص — ٩٧
إبراهيم عليه السلام — ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٦٠
أبرهة — ٢٧ ، ٢٨
أبي = مالك بن الحرث بن عبيد
أبي بن كعب — ١٤٠
أحمد رسول الله = محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم
أحيحة بن الجلاح الأوسي — ٤٨ ، ٢٠
الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف —
٤٣ ، ٦١
أرباط — ٢٧
أزاذبه — ٣٢
الأزرق — ٤٣

أسامة بن زيد بن حارثة — ١٤٦ ،

١٤٧ ، ١٤٨

ابن إسحاق — ١٣٢

أسد بن عبد العزى — ٤٠

(تنبيه) اعتمدنا في ترتيب الأسماء على أول الاسم دون المبالاة بأداة التعريف ؛ وبألفاظ :
الأب ، والابن والأم . مثال ذلك : (ابن حبشية) فقد ذكرناه في حرف الحاء ، و (أبوسفیان)
تجده في حرف السين ، و (أبو طالب) في حرف الطاء ، و (أم عمرو بن المنذر) تجدها في
حرف العين وهلم جرا .

جعفر بن أبى طالب — ٦١، ٦٥،

١٢٥، ١٢٦

جليلة بنت مرة بن ذهل — ١٧، ١٩

جمع — ٤٠

جندب بن عوف — ٤٨

أبو جهل بن هشام بن المغيرة — ٦٥، ٦٧

جيفر بن الجندى — ١٢١، ١٢٢

(ح)

حاجب بن زرارة — ١٦، ٥٣

الحارث بن أبى شمر الغساني — ١٢٢

الحارث بن جبلة — ٣٣، ٣٤، ٣٥

الحارث بن عبد كلال الحميرى —

١٢٣، ١٣٤

الحارث بن عمير الأزدي — ١٢٢

الحارث بن مرة — ١٩

حاطب بن أبى بلتعة — ١٢٤

الحباب بن المنذر — ٨٥

ابن حبشية بن سلول — ٣٨

حبيب بن عمرو بن عمير — ٦٨

حذيفة بن بدر (سيد ذبيان) —

٢٠، ٢١

حرام بن ملحان — ١١٦

حرب بن أمية — ٢٢، ٢٣

الحكم بن عمرو بن وهب — ١١٢

حمزة الأصفهاني — ٣٣

البراء بن معرور — ٧٠

البراض بن قيس بن رافع الكنانى ٢١

بسطام بن قيس — ١٣، ١٤

البسوس بنت منقذ — ١٧، ١٨

بطليموس الثانى — ٢٦

أبو بكر الصديق رضى الله عنه — ٢٩،

٦١، ٦٥، ٧٠، ٧٢، ٧٣،

٧٨، ١٠٤، ١١٢، ١١٦،

١٢٧، ١٣٧، ١٤٧

أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة القرشيّ

التمى = أبو بكر الصديق

البكرى — ٥٣

بلال — ٦٥

بليزارىوس — ٣٤

(ت)

تيم بن مرة — ٤٠، ٤٢

(ث)

ثعلبة بن عمرو بن عامر — ٣٧

ثمارة بن أثال — ١٢٢

ثيوفلس — ٥٣

(ج)

جبلة بن الأيهم — ٣٦

جسّاس بن مرة — ١٧، ١٨

جستنيان (الامبراطور الرومانى) —

٢٩، ٣٤

(ر)

الرباب — ١٧

الربيع بن زياد العبسي — ٢٠

ربيعة (أمير وائل) — ١٢

ربيعة بن حارثة بن عمرو (لحي) — ٣٧

ربيعة بن حرام — ٣٧

رقية بنت الرسول صلى الله عليه

وسلم — ٦٥

رهاء بن منبه بن حرب القحطاني — ٣٨

أبو الرئيس الحنظلي — ١٥

(ز)

الزبير بن العوام — ٩٢، ٦١

زرارة — ٥٢

زردشت (أحد فلاسفة الفرس) — ٥١

زرعة ذورعين — ١٢٢

زهرة بن كلاب — ٤٢، ٤٠

زهير بن جذيمة — ١٩

زهير بن جناب الكلابي — ١٢

زيد بن ثابت — ٨٧

زيد بن حارثة الكلبي — ٦١

١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ٧٨، ٦٨

زيد الخيل بن زيد — ١٤٠

زيد بن عدى — ٣٠

زيد بن عمرو بن نفيل — ٥٤

حمزة بن عبد المطلب — ٦٣، ٧٨

حنظلة بن مالك — ١٧

الحوفزان بن شريك — ١٥

حي بن أخطب النضري — ٩٠،

٩٤، ٩٢

(خ)

خارجة بن حصن — ١٢٤

خارجة بن زيد — ٧٨

خالد بن جعفر الكلابي العامري — ١٩

خالد بن سعيد بن العاص —

١٠٧، ١١٣، ١٣٨

خالد بن الوليد — ٨٩، ٣٢،

٩٧، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧،

١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٤٠،

١٤٢، ١٤١

خباب بن الأرت — ٦١

خديجة بنت خويلد (الطاهرة) —

٥٩، ٦٠، ٦٨

(د)

دحية بن خليفة الكلبي — ١٢٣

دُرَيْد بن الصُّمَّة — ١٠٨

(ذ)

ابن ذي القصة = قيس بن الحصين بن يزيد

ذو القرنين — ٦٤

ذو نواس — ٢٧، ٥٢

(س)

- سابور الأكبر (گسرى الفرس) ٢٩
 سعد بن أبى وقاص — ١٤٦، ٦١
 سعد بن زيد مناه — ١٧
 سعد بن عبادة — ١٢٧، ٩٣
 سعد بن معاذ الأوسى — ٨٤، ٩٣، ١١٩
 سعيد بن زيد بن عمرو — ١٤٦، ٦١
 سفيان — ٢٣
 أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب — ١٠٥
 أبو سفيان بن حرب — ٩٠، ٨٨، ٨٤، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٣
 سلامة بن ظرب — ١٥
 سلمان الفارسي — ٩٢، ٩١
 سلول (أم عبيد) ٤٦
 سليح بن عمرو بن حلوان — ٣٢
 سليط بن عمرو العامري — ١٢٢
 السمهودى — ٤٥
 السمّول بن عادية — ٤٤
 سمية أم عمار بن ياسر — ٦٥
 سهم — ٤٠
 سهيل بن عمرو — ٩٩، ٩٨
 السَّيد — ١٤٢٠، ١٤١
 سيف بن ذى يزن الحميري — ٢٨

(ش)

- شجاع بن وهب — ١٢٢
 شرحبيل بن عمرو الغساني — ١٢٢
 شرحبيل بن غيلان — ١١٢
 شريح بن عبد كلال — ١٢٢
 شمير عرش — ٢٦
 شينة) عبد المطلب بن هاشم — ٣٩

(ص)

- صرد بن عبد الله الأزدي — ١٣٧
 صهيب مولى عبد الله بن جدعان — ٦١

(ض)

- الضحاك بن سفيان — ١٣٤

(ط)

- أبو طالب بن عبد المطلب — ٣٩، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨
 الطاهرة = خديجة بنت خويلد
 الطبري — ٨٩، ٤٢
 طلحة بن عبيد الله — ١٢٧، ٦١

(ع)

- أبو العاص — ٢٣
 عاصم بن عدى — ١٢٧
 العاقب — ١٤٢، ١٤١
 عامر بن الطفيل — ١١٦، ١٤
 عامر العدواني — ١٧
 عامر بن فهيرة — ٦٥

- عباس بن الجلندی - ١٢٢، ١٢١
 العباس بن عبد المطلب - ٣٩، ٤١، ٤٦، ٧٠، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧
 ١٤٤، ١٢٧، ١٠٧
 عيد الدار بن قصي - ٣٨، ٣٩
 عبد الرحمن بن عوف - ٦١، ١٢٧
 عبد شمس بن عبد مناف - ٣٩، ٤٠
 عبد العزى بن قصي - ٣٨، ٣٩
 عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة - ١٠٥
 عبد الله بن أبي ربيعة - ٦٥
 عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي -
 ٤٦، ٧١، ٧٢، ٨٨، ١١٥، ١١٥
 ١٢٨، ١١٧
 عبد الله بن جبير - ٨٩
 عبد الله بن جحش - ٦١، ٨٢
 عبد الله بن جدعان - ٢١، ٢٢
 عبد الله بن حذافة السهمي - ١٢٣
 عبد الله بن رواحة الأنصاري -
 ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧
 عبد الله بن عبد المطلب - ٣٩، ٥٩
 عبد المطلب بن هاشم - ٤١، ٥٩
 عبد مناف بن عبد الدار - ٤١
 عبد مناف بن قصي - ٣٨، ٣٩
 عبد ياليل بن عمرو بن عمير -
 ٦٨، ١١٢
 أبو عبيدة بن الجراح - ١٤٦
 عبيدة بن الحارث بن المطلب - ٦١
 أبو عبيدة عامر بن الجراح - ٦١
 عتاب بن أسيد - ١١١
 عتيبة بن الحارث اليربوعي - ١٤
 عثمان بن أبي العاص الثقفي -
 ١١٢، ١١٣
 عثمان بن الحويرث - ٥٤
 عثمان بن طلحة - ٤١، ١٠٣، ١٠٧
 عثمان بن عبد الدار - ٤١
 عثمان بن عفان - ٦١، ٦٥، ٩٧
 ٩٨، ١٢٧
 عثمان بن مظعون - ٦١
 عدى بن زيد العبادي - ٣٠
 عدى بن كعب - ٤٠
 عروة بن عتيبة الكلابي - ٢٢، ٢٣
 عروة بن مسعود الثقفي - ٩٧
 ١١٢، ١١٤
 عطار بن حاجب بن زرارة - ١٣٤
 عفيف بن عوف بن عباد النصري
 ٤٧ -
 عقبة بن أبي معيط - ٦٧، ٨٧
 عكرمة بن أبي جهل - ٨٩، ٩٤
 العلاء بن الحضرمي - ١٢١

- علي بن أبي طالب — ٦١، ٥٠ ،
 ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٩٠ ،
 ١٠٤ ، ١١٦ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
 ١٤٢ ، ١٤٣
 عمر بن الخطاب — ٦٧ ، ٩٩ ،
 ١٠٤ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
 ١٤٦ ، ١٤٧
 عمرو بن أمية الضمري — ١١٦ ، ١٢٣
 عمرو بن حزم — ١٤١
 عمرو بن السهمي — ١٢١
 عمرو بن العاص — ٦٥ ، ١٠٣ ، ١٠٧
 عمرو بن عدى بن نصر — ٢٩
 عمرو بن لحي الخزاعي — ٢٧ ، ٤٩
 عمرو بن معد يكرب الزبيدي — ١٣٨
 أم عمرو بن المنذر (هند) — ٥٢
 عيسى بن مريم عليه السلام —
 ٦٥ ، ١٢٣
 عيينة بن حصن الفزاري — ٩١
 (ف)
 فاطمة بنت عمرو — ٣٧
 أبو الفدا — ٣٣
 فروة بن عسيك بن الحارث — ١٣٨
 فيميون — ٥٣
 (ق)
 قانوس بن المنذر (ملك الحيرة) — ٣٥
- قتادة بن النعمان — ١٤٦
 ابن قتيبة — ٢٣ ، ٤٢
 قسي بن منبه بن بكر — ٤٧
 قصي بن كلاب — ٣٧ ، ٣٨ ،
 ٣٩ ، ٧٣
 قيس بن الحصين بن يزيد — ١٤١
 قيس بن زهير — ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١
 قيس بن عاصم المنقري — ١٥
 قيصر (الروم) — ٩٧
 (ك)
 أبو كبشة — ٥٠ ، ٥١
 كرب بن صفوان — ١٦
 كسرى (فارس) — ٩٧ ، ١٢٣
 كسرى أبرويز بن هرمز — ٣٠ ،
 ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦
 كسرى أنوشروان — ٢٨ ، ٣٠
 كعب بن أسد القرظي — ٤٥ ، ٩٢
 كعب بن لؤي — ٢٨ ، ٥٤
 كلاب بن مرة — ٣٧
 كليب = وائل بن ربيعة
 (ل)
 لحي = ربيعة بن حارثة بن عمرو
 لقيط بن زرارة — ١٥ ، ١٦
 أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب —
 ٦٢ ، ٦٧

هرقل (قيصر الروم) — ١٢٣،

١٢٤، ١٢٦

ابن هشام — ١٢٢، ١٨٠، ٥٤

هشام بن العاص — ١٠٧

هشام بن المغيرة الخزومي — ٢٢

هام بن مرة — ١٨٠، ١٧

هودة بن علي الحنفى — ١٢٢

أبو الهيثم مالك بن التيهان — ٧١

(و)

وائل بن ربيعة (كليب) — ١٢،

١٢٦، ١٩٠، ١٨٠، ١٧، ١٣

الوادك بن الحارث — ١٥

وج بن عبد الحى — ٤٦

ورد بن مالك — ٢٠

ورقة بن نوفل — ٥٤

وهرز — ٢٨

(ى)

يحنة بن رؤبة — ١٢٩

اليربوعى — ٤٧

يعقوب البردعى — ٣٥

يوسف عليه السلام — ١٠٦

أبو موسى الأشعرى — ١١١، ١٤٢٠

موسى بن عمران عليه السلام — ٤٣

ميسرة — ٥٩

(ن)

نجاشى الحبشة — ١٢٢، ٩٧، ٦٥

النضر بن الحارث — ٨٧

النعمان (قيس) — ١٣٤، ١٢٢

النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) —

٢٥، ٣١، ٣٠، ٢٢، ٢١

النعمان الثالث أبو قابوس بن المنذر

الرابع — ٥٣، ٥٢

نعيم بن عبد كلال — ١٣٤، ١٢٢

نعيم بن مسعود الغطفانى — ٩٤، ٩٣

نمير بن خرشة — ١١٢

نوح عليه السلام — ٤٩

نوفل بن عبد مناف — ٣٩

(هـ)

هاجر (أم اسماعيل عليه السلام) — ٣٦

هاشم بن عبد مناف — ٤١، ٤٠، ٣٩

هانئ بن مسعود الشيبانى — ٣١

فهرس الأمم والقبائل والبطون والعشائر والطوائف

(١)

الأحباش — ٩٧، ٩١، ٨٨

أخبار اليهود — ٦٥، ٦٤

الأحباش — ٢٨، ٢٧

الأحلاف — ١١٢، ٤٨، ٤٧، ٤٠

الأزد — ١٣٧، ٢٢

أسلم — ١٠٥

أشجع — ١٠٥

أصحاب الكهف — ٦٤

أهل أذرج — ١٣٠، ١٢٩

أهل أيلة — ١٢٩

أهل البادية — ١٠٥

أهل البحرين — ١٢٩، ١٢١

أهل تهامة — ٢٢

أهل جرباء — ١٣٠، ١٢٩

أهل الحديبية — ١٢٠

أهل دومة الجندل — ١٣١

أهل الشام — ١٢٩

أهل الصفة — ٧٨

أهل الطائف — ١٠٩

أهل فدك — ١٢٠

أهل مقنا — ١٣٠

أهل مكة — ١٠٦، ٢٠

أهل نجد — ١١٦، ٢٢

أهل نجران — ٧٢

أهل اليمن — ١٠٧، ١٢٩، ١٤٢

الأوس — ٥٠، ٤٥، ٤٤، ٢٠

٩٣، ٨٠، ٧٧، ٧١، ٧٠، ٦٩

١١٩، ١١٤

إياد — ٣١، ١٢

(ب)

بكر بن وائل — ١٤، ١٣، ١٢

٣٨، ٣١، ١٩، ١٨، ١٧، ١٥

١٢٦، ١٠٤، ١٠٠، ٣٨

بلي — ١٣٥، ١٢٦

بنو أبي طلحة — ٤١

بنو أسد — ٢٠، ١٦

بنو أسد بن خزيمه — ١٣٣

بنو أسد بن عبد العزى — ٥٤، ٤٢

بنو إسرائيل = اليهود

بنو اسماعيل بن إبراهيم — ٣٧

بنو امرئ القيس بن زيد مناة — ٥٤

بنو أمية بن عبد شمس — ٤١

بنو بدر بن فزارة — ٢٠

بنو بكر = بكر بن وائل

- بنو عثمان بن عبد الدار — ٤١
 بنو عذرة — ٦٩ ، ١٣٥
 بنو عمرو بن عوف — ٧٣
 بنو غسان — ١٢ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٩
 بنو غسان — ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩
 بنو فزارة — ٦٩ ، ١٣٤
 بنو قريظة — ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١١٧
 ١١٨
 بنو قيس بن ثعلبة — ١٦
 بنو قينقاع — ٤٤ ، ٩٠ ، ١١٥
 ١١٩
 بنو كلاب — ١٣٤
 بنو كنانة — ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٢ ، ٨٧ ، ٩١
 بنو لحم — ٢٥
 بنو لؤي بن غالب — ١٣٤
 بنو مالك بن حنظلة — ١٤ ، ٤٧
 ١١٢ ، ٤٨
 بنو مرة — ٦٩ ، ١٣٤
 بنو المصطلق — ٨٨
 بنو المطلب — ٦٧
 بنو مغيث — ٥٠
 بنو النجار — ٧٢ ، ٧٤
- بنو تغلب — ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣١ ، ٥٤
 بنو تميم — ١٣ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٦٠
 بنو الحارث بن فهد — ٤٠
 بنو الحارث بن كعب — ١٦ ، ٥٢
 ١٤٠ ، ١٤١ ، ٦٩
 بنو حمير — ٢٧
 بنو حنيقة — ٦٩ ، ١٣٩
 بنو ذبيان — ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١
 بنو سالم — ٧٣
 بنو سعد بن بكر — ١٤٤
 بنو سليم — ٦٩ ، ١١٦
 بنو شيبان — ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٣١
 بنو عامر بن صعصعة — ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٦٩ ، ١١٦
 بنو عبد الدار بن قصي — ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١
 بنو عبد الدر بن الديان الحارثي — ٥٣
 بنو عبد شمس — ٤٢
 بنو عبد المطلب — ٦٧ ، ١١٠
 بنو عبد مناف بن قصي — ٣٩ ، ٤٠
 بنو عَبْس — ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٦٩

جينة - ١٠٥	بنو نصر بن معاوية بن بكر - ٢١
(ح)	٦٩، ٤٨، ٤٧
حمير - ٢٨، ٢٦، ٢٥، ١٢	بنو النضير - ٦٩، ٤٥، ٤٤
١٣٤، ٥٢، ٤٩	١١٨، ١١٧، ١١٦، ٩٤، ٩٠
حمير الأولى - ٢٦	١١٩
حمير الثانية - ٢٦	بنو نوفل بن عبد مناف - ٤٢
(خ)	بنو هاشم بن عبد مناف - ٤١
خشم - ٤٨	٦٧، ٦٤، ٥٩، ٤٢
خزاعة - ٦٨، ٥٠، ٢٨، ٢٧	بنو الهون بن خزيمه - ٨٨
١٠٤، ١٠٠	بنو يربوع - ٤٨، ١٤، ١٣، ١١
الخزرج - ٦٩، ٥٠، ٤٥، ٤٤	بهاء - ١٣٥، ١٢٦
٨٠، ٧٨، ٧٧، ٧٢، ٧١، ٧٠	البيزنطيون - ٣٥، ٣٣
١١٤، ٩٣	(ت)
خولان - ١٣٨	تغلب = بنو تغلب
(د)	تميم = بنو تميم
الداريون - ١٣٥	تنوخ - ٢٨
دوس - ٤٨	تهامة - ٩١، ٨٧
(ذ)	(ث)
ذبيان = بنو ذبيان	ثقيف - ٦٨، ٥٠، ٤٧، ٢٢
ذورعين - ١٣٤	١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ٩٦، ٨٧
ذويزن - ١٢٢	١٣٢، ١١٤، ١١٣، ١١٢
(ر)	(ج)
ربيعة - ٥٤، ١٣، ١٢	جيلة - ١٦
الرهاويون - ١٣٨	جذام - ١٢٧، ١٢٦
الروم - ٣٢، ٢٨، ٢٧، ٢٦	جرهم اليمنية - ٣٧، ٣٦
١٢٤، ١٢٣، ٥٣، ٣٦، ٣٥، ٣٣	

٦٩، ٦٥، ٦٢، ٦٠، ٥٩، ٥٥، ٥٢
 ١٠٣، ٩٦، ٩١، ٨٢، ٨١، ٧٧، ٧٠
 ١٢١، ١١٤، ١١٢، ١١١، ١٠٨
 ١٤٠، ١٣٥، ١٣٣، ١٣٢، ١٢٤
 ١٤٨، ١٤٧، ١٤٣
 عرب اليمن - ٣٧
 العالقة - ٣٦، ٤٦
 (غ)
 غامد - ١٣٩، ١٤٠
 غسان = بنو غسان
 الغساسنة = بنو غسان
 الغسانيون = بنو غسان
 غطفان - ١٦، ٩١، ٩٤، ٩٥
 ١١٨، ١١٧، ١٠٨
 غفار - ١٠٥
 (ف)
 الفراء - ١١٦
 الفرس - ٣١، ٣٠، ٢٨، ٢٧، ٢٦
 ٥٣، ٥١، ٣٦، ٣٣، ٣٢
 (ق)
 القبط - ١٢٤
 قريش - ٣٨، ٣٧، ٢٣، ٢٢، ٢٠
 ٤٦، ٤٥، ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩
 ٦٣، ٦٢، ٦١، ٥٤، ٥٣، ٥١، ٥٠
 ٧١، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤
 ٨٤، ٨٣، ٨٢، ٨١، ٧٩، ٧٣، ٧٢

١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩
 ١٤٨، ١٤٦، ١٣١، ١٣٠
 الرومان - ٤٤
 (ز)
 زيد - ١٣٨
 (س)
 الساسانيون - ٣٢
 السامريون - ٣٤
 السبثيون - ٢٥، ٢٤
 سعد - ١٦
 (ش)
 شيبان = بنو شيبان
 (ض)
 الضجاعة - ١٣
 (ط)
 الطلقاء = أهل مكة
 طيء - ١٤٠، ١٣٩، ٣١
 (ع)
 عاملة - ١٢٧
 العباد - ٢٩
 عبس = بنو عبس
 عنزة = بنو عنزة
 العرب - ٣١، ٢٩، ٢٦، ٢٥، ٢٢
 ٤٣، ٤١، ٤٠، ٣٨، ٣٧، ٣٣، ٣٢
 ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٤، ٤٣

معد — ١٧
 المعينون — ٢٤
 المناذرة — ٣٤، ٣٢، ١٢
 (ن)
 نزار — ١٢
 نصارى نجران — ١٤٢
 النصير = بنو النصير
 (هـ)
 هذيل بن مدركة — ١٤٤، ١٠٧، ٤٩
 همدان — ١٣٤، ١٢٣، ٤٩
 هوازن — ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧
 ١١١، ١١٠
 (ى)
 اليربوعيون = بنو يربوع
 اليمينيون — ١٤٣
 اليهود — ٥٢، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٢٨
 ٩١، ٩٠، ٨٦، ٨٠، ٧٩، ٧١، ٥٩
 ١١٩، ١١٨، ١١٥، ١١٤، ١٠١
 ١٢٠
 يهود الحجاز — ١١٤
 يهود خيبر — ١١٩
 يهود المدينة — ١١٥، ٩٦، ٩٢
 ١٢١

٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦، ٨٥
 ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢
 ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٩
 ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤
 ١٣٢، ١٢١، ١١٩، ١١٨، ١١٥
 ١٣٩، ١٣٣
 القرشيون = قريش
 قريظة = بنو قريظة
 قصي بن كلاب — ٣٧
 قضاة — ٣٨، ٣٧، ١٧، ١٢
 ٥٤، ٤٩
 القضاعيون = قضاة
 قيس عيلان — ٢٣، ٢٢، ٢١
 (ك)
 كلب — ٦٩، ٤٩
 كنانة = بنو كنانة
 كندة — ١٣٩، ١٣٨، ١٣٠، ٦٩
 (ل)
 لخم — ١٣٥، ١٢٧، ١٢٦، ٥٠
 مذحج — ١٤٣، ١٣٨، ٤٩، ١٧، ١٦
 مراد — ١٣٨
 مزينة — ١٠٥
 مضر — ١٣، ١٢
 معافر — ١٣٤، ١٢٢

فهرس البلاد والمدن والمواضع والجبال والبحار والأنهار والآبار

بلاد البحرين — ٥٠، ١١	(١)
بلاد بكر بن وائل — ١٤	آبار على* — ٩٦
بلاد تميم — ١٤٠، ١٣	آسيا الصغرى — ٣٤
بلاد الحبشة — ٦٥، ٢٦	أبني — ١٤٧
بلاد الحجاز — ١١٩، ١١٥، ١٠١، ٣٦	أحد — ٩٥، ٨٧، ٤٣
١٣٢، ١٢٥، ١٢١	أذرح — ١٣٠، ١٢٩
بلاد الحجاز الشمالية — ١٢٩	أذرعات — ١١٦
بلاد حمير — ٢٧	أصبهان — ٩١
بلاد الشام — ٥٩، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤	الأنبار — ٣٤
١٤٨، ١٣١، ١٢٥، ٩١، ٨٢	أوطاس — ١٠٩، ١٠٨
بلاد الشام الجنوبية — ١٤٦، ١٢٧	أيلة — ١٣٠، ١٢٩، ١١
بلاد العرب — ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٤٨، ٤٦	(ب)
١٤٨، ١٢١، ٩١	بادية الشام — ٣٦، ٣٢
بلاد العرب الشمالية — ١٤٦، ١٢٨	البحر الأحمر — ٢٦
بلاد الغساسنة — ٣٥	البحرين = بلاد البحرين
بلاد الفرس — ٥١، ٣٤	بدر — ١١٥، ٨٨، ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣
بلاد اليمن — ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٤، ١٢، ١١	براقش — ٢٣
١٤٣، ١٤٢، ٥٢، ٥١، ٤٤، ٣٢	البصرة — ١٦، ١٥
البلقاء — ١٢٩، ١٢٦، ١٢٢، ٤٩، ٣٢	بصرى — ١٢٢، ٥٩، ٣٢
١٤٨، ١٤٧	بعاث — ٧٢، ٧١، ٤٦
بئر معونة — ١١٦	بكة = مكة

البحرانة - ١١٠، ١٠٩	البيت الحرام (الكعبة) - ٢٢، ٢٠
بحرة العقبة - ١٢٧	٤٩، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٨، ٣٧، ٢٨
الجوف - ٢٤	٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٣، ٥٩، ٥٣، ٥٠
(ح)	١٠٣، ١٠٢، ١٠٠، ٩٩، ٩٧، ٩٦، ٨٣
الحبشة - ٨٠، ٦٧، ٦٦، ٦٥	١٤٥، ١٤٤، ١٣٧، ١٣٦، ١٠٧، ١٠٦
الحجاز - ٨٣، ٤٦، ٤٣، ٣٦، ١٣، ١١	البيت المعمور = البيت الحرام
١٢٠، ١١٦، ١١٤، ١٠١، ٩٦، ٩٠	بيت المقدس - ١٠٣، ١٠٢، ٦٨، ٣٦
١٣٢، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٧	(ت)
الحجر الأسود - ١٠٢	تبوك - ١٣٤، ١٣٢، ١٣١، ١٣٠، ١٢٩
الحديبية - ١٠٣، ١٠٢، ١٠٠، ٩٧، ٩٦	تدمر - ٣٤
١٢١، ١١٩، ١٠٤	تهامة - ٢٢
حراء - ٦٨	تياء - ٥٢، ٤٣
حران - ٥٠	(ث)
الحرم الآمن = البيت الحرام	ثنية الوداع - ١٢٨
حصن السلام - ١٢٠	ثيتل - ١٥
حصن الشق - ١٢٠	(ج)
حصن الصعب بن معاذ - ١٢٠	جبل أحد - ٨٩
حصن الكتيبة - ١٢٠	جبل ثور - ٧٣
حصن ناعم - ١٢٠	جبل سلع = سلع
حصن النطاة - ١٢٠	جدة - ٦٥
حصن الوطيح - ١٢٠	جرباء - ١٣٠، ١٢٩
حضر موت - ١٣٩، ٢٦، ٢٤	جرش - ١٣٨
حنين - ١٠٩، ١٠٨	جزيرة العرب - ٤٤، ٣٧، ٣٥، ٢٤، ١١
حوران - ٣٢، ٢٥	١٣٢، ١٢٣، ١١١، ٧٧، ٥٢، ٥٢
	١٤٥، ١٤٣، ١٣٧

(ر)	الحيرة - ١١، ١٢، ٢١، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٠
رأس خليج العقبة - ١١	٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٥٢
الروم - ٣٥	(خ)
ريدان = ظفار	الخليج الفارسي - ٢٦، ٢٧
(ز)	الحندي (حول المدينة) - ٩٢، ٩٣، ٩٥
زعم - ٣٧	الحنديمة - ١٠٦
(س)	خير - ٢٢، ٥٢، ٩٠، ٩١، ١١٥، ١١٧
ساحل البحر الأحمر - ٨٤	١١٩، ١٢٠
سبأ - ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٥١	خيوان - ٤٩
سد العرم = سد مأرب	(د)
سد مأرب - ٢٥، ٣٢	دار أبي سفيان - ١٠٦
سدرة المنتهى - ٦٨	دار بني مالك بن النجار - ٧٤
سلحين - ٢٣	دار عبد الله بن جدعان التيمي - ٤٢
سلع - ٩٢	دار المغيرة - ١١٢
السواد - ٣٠	دار الندوة - ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٧٣
سورية - ٢٤، ٤٤، ٥٢، ٥٣	دمشق - ٢٦، ١٢٢
سوق بني قينقاع - ١١٥	الذهناء - ١٣، ١٧
سوق عكاظ - ٢١	دومة الجندل - ٤٩، ١٣٠، ١٣١
(ش)	دير هند الصغرى - ٥٢، ٥٣
الشام - ٣٢، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٤٦	دير هند الكبرى - ٥٢، ٥٣
٤٩، ٥٩، ٨٤، ٨٧، ١١٤، ١١٦	(ذ)
١١٧، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩	الذنائب - ١٩
شعب جبلة - ١٦	ذو الحليفة - ٩٦، ١٤٤
الشعبية - ٦٥	ذو ريدان - ٢٦
	ذوقار - ٣١، ٣٢

عين أياغ - ٣٤	(ص)
(غ)	صحراء البحرين - ١١
غار حراء - ٦١، ٦٠	صحراء فلج - ١٤، ١٣
الغبيط - ١٣	الصخرة المقدسة - ٦٨
غبيط المدرة - ١٤	صرواح - ٢٤، ٢٣
غسان - ٣٢	الصفاء - ١٤٤، ٦٢، ٥٠
غمدان - ٢٣	صقلية - ٣٥
(ف)	صنعاء - ٤٩، ٣٧، ٢٥
فارس - ١٢٣، ٣٢، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٦	(ط)
فذك - ١٢٠، ٥٢، ٤٣، ٢٢	الطائف - ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٢٦، ٢١
الفرات - ٣٤، ٢٩	١٠٩، ١٠٨، ٨٢، ٦٨، ٥٠
(ق)	١١٤، ١١٣، ١١٢
قباء - ٧٣	(ظ)
قرناو - ٢٤	ظفار - ٥٣، ٢٦، ٢٥، ٢٣
القسطنطينية - ٣٥، ٣٤	(ع)
قنسرين - ٣٤	عدن - ٥٣
(ك)	العراق - ٩١، ٤٦، ٢٦
الكعبة = البيت الحرام	عرفات = عرفة
كعبة نجران - ٥٣	عرفة - ١٤٥، ١٣٦، ١٠٧
الكسلا ب - ١٧	عُمرَنة - ١٠٧
الكوفة - ٣١، ٢٩، ١٦	عسفان - ١١٦
(م)	العقبة - ٨٠، ٧٢، ٧١، ٧٠
مآب - ١٢٦	عكاظ - ٢٣، ٢٢
مأرب - ٢٥، ٢٣	عمان - ١٢٩، ١٢١، ١١

٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٨،

٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٧،

٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤،

٩٠، ٩١، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨،

٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤،

١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١،

١٢٧، ١٢٢، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤،

١٤٥، ١٤٨

منى — ٣٨، ٧٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤،

١٤٥

مؤتة — ١٢٢، ١٢٦، ١٤٧،

(ن)

ناعط — ٢٣

النباج — ١٥

نجد — ١١، ١٣، ١٩، ٢٢، ٩٠، ٩٦،

نجران — ١٦، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٥٢، ٥٣،

١٤٠، ١٤١

نخلة — ٢١، ٢٢، ٨٢، ١٠٧، ١٠٩،

النهي — ١٩

النيل — ٢٦

(هـ)

هجر — ١٤

(و)

وادي الفرات — ٢٨

مجتمع الأسيال — ٩٢

المدينة — ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٠، ٦٩،

٧٠، ٧٢، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠،

٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٨،

٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥،

٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣،

١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١١،

١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦،

١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٧،

١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣،

١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢،

١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨،

المروة — ١٤٤، ٥٠

المزدلفة — ١٣٦، ١٤٥،

المسجد الأقصى — ٦٨

المسجد الحرام = البيت الحرام

مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم — ١١٢

المشعر الحرام = المزدلفة

مصر — ١٢٤

معان — ١٢٦

معين — ٢٣، ٢٤

مقام إبراهيم عليه السلام — ١٤٤

مقنا — ١٣٠

مكة — ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٨، ٣٦،

٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢،

٤٣، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٢،

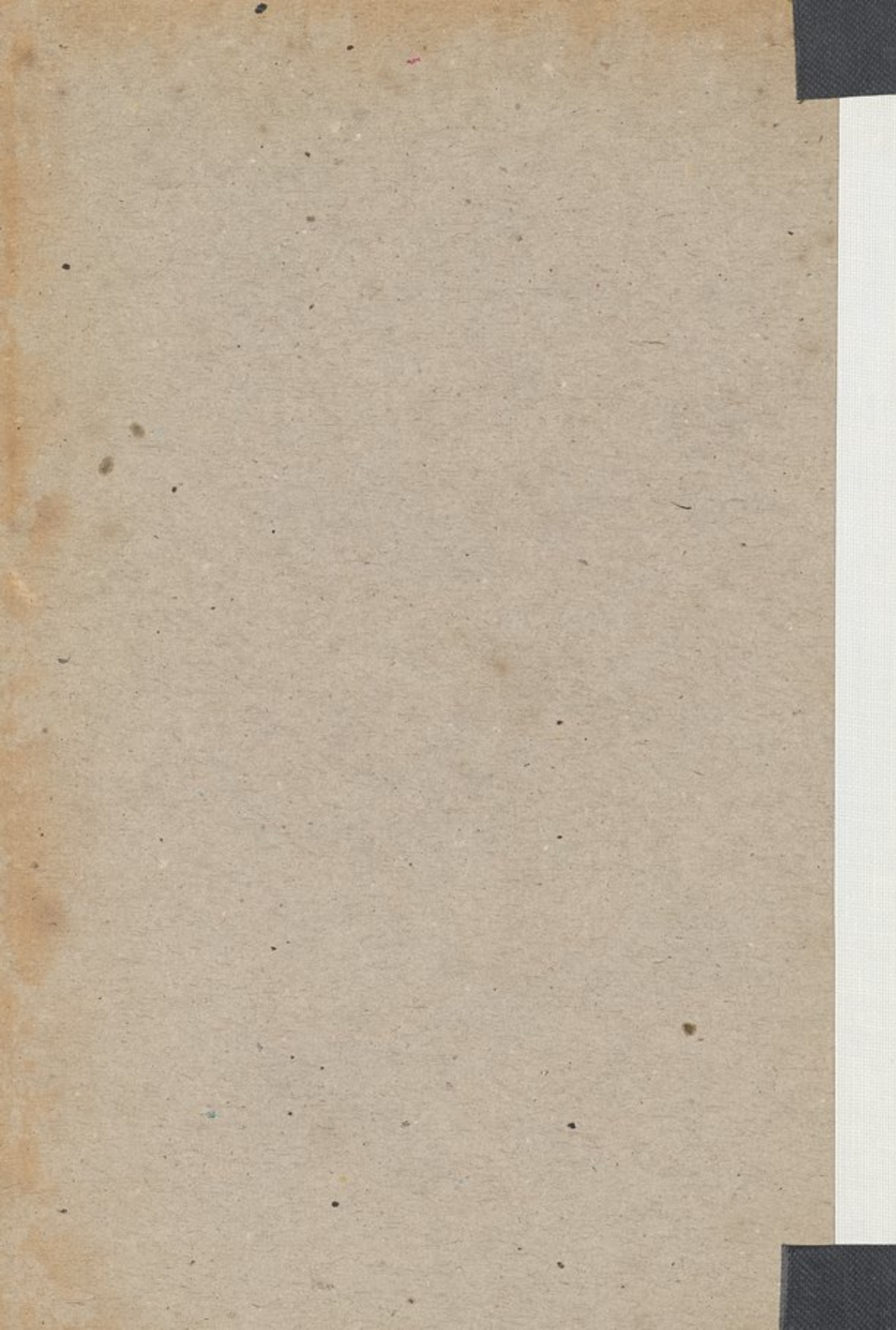
يللم — ١٠٧	وادي القرى — ٩١، ٥٣، ٤٧
اليمامة — ١٣٩، ١٢٢، ١٤، ١٣، ١١	وادي نخلة — ٥٠
اليمين — ٢٣، ١٩، ١٧، ١٦، ١٣، ١٢، ١١	وج = الطائف
١٢٢، ٥٩، ٤٦، ٤٢، ٢٨، ٢٧، ٢٦	(ي)
١٤٣، ١٤٢، ١٣٨، ١٢٩	يثرب — ٥٠، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٣٦
يمنات — ٢٦	٧٩، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٤، ٥٢
ينبع — ٤٩	١١٩، ١١٤، ٩٤

فهرس أيام العرب والغزوات والوقائع

وقعة بدر = غزوة بدر	(ح)
وقعة الخندق = غزوة الخندق	حرب البسوس - ١٧ ، ١٩
وقعة اليرموك - ٣٦	حرب داحس والغبراء - ١٩
(ي)	(غ)
يوم أحد = غزوة أحد	غزوة أحد - ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١١٦ ، ١٢٦
يوم بدر = غزوة بدر	غزوة الأحزاب = غزوة الخندق
يوم بُعثت - ٦٩ ، ١١٤	غزوة بدر - ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٠
يوم خزاز - ١٢	١١٥ ، ١٢٦
يوم الزورين - ١٤	غزوة الخندق - ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١١٨ ، ١١٩
يوم شعب جبلة - ١٥	غزوة مؤتة - ١٢٧
يوم عنيزة - ١٩	(ف)
يوم عين أباغ - ٣٤	فجار الأوس والخزرج = فجار يثرب
يوم الغبيط - ١٣	فجار يثرب - ٤٦
يوم الفجار الأول - ٢١	(ك)
يوم الفجار الثاني - ٢١	الكُلاب الثاني - ١٦
يوم النباغ - ١٥	(و)
	وقعة أحد = غزوة أحد

تصحیحات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١	فهد	فهر
٥٠	٤	مفي	من
٥٢	١	قتيبة	قتيبة
٨٢	١٩	بنهم	بنهم
٩١	١١	حد	أحد
٩٦	١٤	لي	ولي
١١٤	١٠	وفي	إلى
١١٤	١١	إلى	في
١٣٥	٤	الدارمين	الدارين



Princeton University Library



32101 072238965